دولة ليبيا

الحكومة الليبية المؤقتة

وزارة التعليم العالي

الجامعة الأسمرية

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية / زليتن

مظاهر الشخصية في شعر عبد المولى البغدادي

" دراسة تحليلية فنية "

بحث

" مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات الأدبية"

إعداد الطالبة : حنان علي سويسي

إشراف : الأستاذ الدكتور : محمد منصور التومي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينْ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾

سورة الأنعام : الأيتان 164 ، 165

(علمتُ أنَّ ما قَدَّرْتَهُ لِي ، فهو لِي ، فأطْمَأْنَنْتْ)

علي بن أبي طالب

الإهـــــــــداء

إلى :

روح والدي

إلى :

أمـــــــــي

إلى :

شقيقيْ الصديق وشعيب

إلى :

شقيقـاتـــــــــــي و أزواجهن

إلى :

كل عائلتـــــي ، أخوالي ، أعمامي

إلى :

كل من علمني حرفا

أهدي هذا البحث محبةً وتقديراً

واحتراماً

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلِّمِ البشرية الخيِّر، أفصح من نطق بالضّاد، وأُتِي جوامع الكلم محمد ﷺ.

إنّ تجربة عبد المولى البغدادي وفق الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها العالم العربي والإسلامي تركت مرارةً عميقةً في نفسه، وخلقت بداخله نوعين من الهموم: هَمٌّ ذاتي ينطلق من نظرةٍ عميقةٍ للحياة، وهَمٌّ إنساني ينطلق من شعور مشاركة الآخرين آلامهم وآمالهم وأحلامهم ، ولذلك فهو لم يدّخر جهداً في تسخير هذه الطاقة في التعبير عن هذه المشاعر عبر سكبها في قصائدَ كثيرةٍ أخذت بُعداً وطنياً وإنسانياً وقومياً صريحاً؛ لإيمانه بما للشّعر من دورٍ قد يترك صدى إيجابياً عند من تتلاقى رؤاهم وأحلامهم، بحيث تظلّ هذه التجربة، أرقى صياغةً، وأكثر عمقاً في الدّلالة، وبهذا كانت أشعاره متوثّبةً مناديةً صراحةً مدافعةً عن الإنسان، وفي قراءة شعر عبد المولى البغدادي ووقفةٍ على أعماله المكتوبة ومنها (ديوان على جناح نورس) عودةٌ إلى الأصالة ممزوجةٌ بروح التجديد، وفي ظلّ حركة الشعر الحديث أصبح للشّخصية موقعٌ متميّزٌ في الخطاب الفنّي المعاصر، وبخاصّةٍ بعد تعرّض مفهومها للتطور من القديم إلى الحديث ، حيث تطوّرت من كونها مجرّد إشارةٍ إلى أن أصبحت مُكوّناً فنّياً في رسم الصورة الشعّرية، وتفجير طاقات الشاعر؛ لتصل إلى المتلقي دون ضغوطٍ من كاتب القصيدة، وبذلك يوفّر له " فسحةً جماليةً يمكن من خلالها أن يرى العمل الشّعري دون ضغوطٍ عاطفيةٍ أو ذاتيةٍ يسلّطها كاتب القصيدة على القارئ"[1]، كما أنّها تتيح للشاعر أن يظهر عيوب مجتمعه ونواقصه وبذلك لا يقف الشاعر عند أشكالٍ معيّنةٍ في التعبير؛ لأن " جوهر الشعر، في المفهوم الجديد، أن يتنوّع ما شاءت التجربة والموهبة أن يتنوع"[2]، وبهذا التنوع كانت في شعره العديد من الدراسات المدروسة أو قيد الدرس منها (لغة الشعر في شعر عبد المولى البغدادي) و (الحداثة في شعر عبد المولى البغدادي) و(الانزياح في شعر عبد المولى البغدادي) وكان موضوع

[1] الشعر والتلقي : د. علي جعفر العلاق ، دراسات نقدية ، دار الشروق ، الأردن ، ط 1 ، 1997 : 105 .

[2] زمن الشعر : علي أحمد سعيد (أدونيس) ،دار العودة ، بيروت ، 1973 م ، ط3 : 150 .

بحثي (مظاهر الشخصية في شعر عبد المولى البغدادي) وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدّةُ أسبابٍ أوجزها في النّقاط التالية :

1- أنّ الشِّعر يأخذ المتلقي إلى عالمٍ خفي تتفتح فيه المدارك وتنفرج به الأحاسيس، وأنّ الصورة هي الوسيلة لدخول هذا العالم ، مع ما تثيره من دهشةٍ واستغرابٍ ومع أنها قد لا تفي بما أتوقعه من تحليل النص حيناً، ولكنه في أحيانٍ كثيرةٍ جسَّد معانٍ في أعماقي ، مما دفعني إلى البحث عنها دراسةً وتحليلاً .

2- الرّغبة في تكوين فكرةٍ عن الشعر والشعراء الليبيّين، إيماناً منّي بعطائهم، وبضرورة السّعي لخدمة هذا العطاء.

3- افتقار المكتبات العربية عامّةً والليبيّة خاصّةً إلى دراساتٍ في الأدب اللّيبي وروّاده الذين أسهموا في انتعاش الحركة الأدبية بليبيا، وكان الدافع لاختيار الأدب الليبي مجال بحثي الذي أتناول فيه بالتحليل شعر عَلمٍ من أعلامه، أعني الشاعر عبد المولى البغدادي ، وقد عنونته **(مظاهر الشخصية في شعر عبد المولى البغدادي)**.

4- أنّ أستاذي الدكتور محمد منصور التومي ـ أستاذ الأدب والنقد بجامعة المرقب ـ وجهني هذه الوجهة ، وشجعني على ذلك .

5- أنني لم أعثر على دراسةٍ تتناول هذا الموضوع بالشكل الذي أردت، واستوفته على النحو الذي قصدت ، فعزمتُ على ما رأيتُ أنه جديرٌ بالبحث والدّراسة .

6- أنّ الشاعر (عبد المولى البغدادي) من الشّخصيات الأكاديمية المتميّزة التي ساهمت في القضايا الشعرية والوطنية والعربية وعالجتها بالكلمة الهادفة والأسلوب الفنّي البديع .

7- أنّ الشاعر يتميّز بوطنيته العظيمة ، وانتمائه العربي والإسلامي، فقد وظّف شِعْرَه وسخّر قَلَمَهُ، للدفاع عن الشعوب العربية في فلسطين، واليمن، ولبنان، والعراق وغيرها .

8- وجوب الاهتمام بالأدباء الليبيّين بعامّةٍ، والشعراء بخاصّةٍ ، والكتابة عنهم أثناء حياتهم ـ خاصّةً حتى تتبلور شخصياتهم الأدبية ـ فيشعرون بنوعٍ من تكريم الباحثين

لهم واحتفاء المجتمع بهم فيزدادون تألُّقاً وإبداعاً ، فتزدهر الحركة الأدبية، والنّقدية في ليبيا ، وهذا ما نصبوا إليه جميعاً.

9- أنّ هذا الشاعر المتميّز في شعره ، وأسلوبه، لا يزال حياً . أطال الله في عمره . فيمكن الرجوع إليه ، لتوضيح ما قد يغمض من شعره ، وتجاربه الأدبية؛ لتفسيرها وتوضيحها فيزداد شِعرُهُ جلاءً ووضوحاً؛ ويزداد الشاعر تألُّقاً، وإبداعاً، وذلك ما أصبو إليه .

وقد رسمتُ خطته على : المقدمة وتحوي دوافع البحث ، وأهمية الموضوع وثلاثة فصول ، وخاتمة تضم نتائج البحث .

فالفصل الأول : قضايا في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الأول : قيمة الشعر لدى عبد المولى البغدادي ونظرته له .

المبحث الثاني :العروبة والوطن في شعر عبد المولى البغدادي.

الفصل الثاني: شخصيات في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الأول : المرأة في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الثاني : المعلم في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الثالث :السجين في شعر عبد المولى البغدادي .

الفصل الثالث : الشخصية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الأول : الشخصية الدينية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الثاني : الشخصية التاريخية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الثالث : الشخصية الأدبية والفكرية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الرابع: الشخصية الشعبية والأسطورية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

الفصل الرابع : الصورة الشعرية

المبحث الأول : التشبيه .

المبحث الثاني : الاستعارة .

المبحث الثالث : الرمز.

الخاتمة : وتحوي نتائج البحث

منهج البحث : يعتمد البحث على(المنهج الفني) الذي يعتمد النص وسيلةً بغية الكشف عن تقنيات القصيدة عند هذا الشاعر، مع الاستفادة من بعض معطيات المنهج التاريخيّ والنّفسيّ في بعض جوانب الموضوع ، إيماناً منّي بأنّ الشِّعر الذي أتناوله بالدرس لم يَأْتِ من فراغٍ، وإنما جاء نتيجة تضافر مجموعةٍ من العوامل السياسية، والاجتماعية ، والثقافية .

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني استعنت بدراسة سابقة تناولت شعر عبد المولى البغدادي وتناولت جانب من جوانب الإبداع الشعري لديه وهي (لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي) ، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير):إعداد الطالبة أم كلثوم محمد سعد المانع إشراف د.علي عبد المطلب الهوني ، للعام الجامعي 2005 . 2006 جامعة المرقب / كلية الآداب و العلوم الدراسات العليا إقسم اللغة العربية ، والتي حاولت أن تبرز بعض خصائص لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي ، فعالجت من خلال القصائد اللغة الشعرية وعلاقتها برؤيا الشاعر وتجربته الشعرية .

كما أنني استعنت كذلك بدراسة تناولت (الشخصية الفلسطينية في شعر أحمد دحبور) " دراسة موضوعية "، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير) : إعداد إسماعيل عبد المعطي كلاب ، إشراف د. ساسي سعيد رمضان ، للعام الجامعي 2009 جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم / الدراسات العليا قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، والتي تناول من خلالها الباحث تعريف الشخصية لغة واصطلاحاً ، والشخصية في الأدب العربي قديماً وحديثاً ، وحاول من خلالها الانتقال بمفهوم الشخصية من النمطي والتقليدي إلى الشكل الإبداعي الفني الجديد ، لتلعب الشخصية دوراً كبيراً في الشعر الحديث ؛ لما تحمله من أبعاد ثقافية وتراثية ودينية وأسطورية في رسم الصورة الفنية التي تعد المقوم الأساسي للقصيدة .

ولا أدّعي بهذا الجهد المتواضع أنني قد قلتُ الكلمة الأخيرة في الموضوع ، فالنتاج لدى عبد المولى البغدادي ، ما يزال في حاجةٍ إلى المزيد من الدراسة العميقة التي تكشف اللثام عن إسهام هذا الشاعر في إثراء الشعر الليبي والعربي .

وختاماً أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الشاعر عبد المولى البغدادي ، الذي منحني فرصة دراسة شعره ، وقد حظيتُ بملاحظاته القيّمة، كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد منصور التومي، الذي وجّهني هذه الوجهة، وتتّبع هذا البحث مُذْ كان فكرةً، حتى استقامت حالَتُهُ، وكانت إرادته تفوق إرادتي لاستكمال هذا البحث، باثاً روح العزيمة بداخلي، وقد استطاع معي صبراً بتوجيهاته العلميّة السّديدة، وأخلاقه الرّفيعة، متمنّيةً له الصحة، والعافية ، وطيب العطاء.

وعلى الله قصد السبيل

التمهيد

وُلِدَ الشّاعرُ عبد المولى محمد البغدادي بـ (شط الهنشير) وهي قريةٌ من قرى السّاحل اللّيبي على مسافة 5 كم شرقي طرابلس [1] في اليوم السابع من شهر مارس عام ثمانية وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد[2] ، فالشّاعر من مواليد مدينة طرابلس التي كما وصفها الرحالة العرب "فيها طرافةٌ، وبها دراسةٌ، وهي صفحةٌ من صفحات التاريخ، وسطورٌ طيبةٌ من الذكريات"[3].

عاش الشاعر طفولته في ظروفٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ صعبةٍ متمثّلةٍ في حزنٍ عامٍّ بسبب الاحتلال الإيطالي لليبيا، وحزنٍ خاص تمثّل في نفي جدّه لأبيه إلى إحدى الجزر الإيطالية وموته فيها، وقد عبّر الشاعر عن هذه المأساة، وما خلّفته من إحساسٍ عميقٍ بالمرارة والقهر، قهر الإنسان للإنسان بإخراجه من وطنه، وسجنه بعيداً عنه ، وإرغامه على العيش مع قوم لا يجيد لغتهم ، وبعدم معرفة مصيره لا بعودة ولا بدفن يكون الظلم قد تجاوز كلَّ مدى .

فيقول:

إنَّ "شَطَّ الهِنْشِّيرِ "لاَزَالَ يَرْوِي بَعْضَ أَحْدَاثِي الَّتِي سَبَقَتْنِي
قِصَّةَ الْفَارِسِ الَّذِي مَاتَ عِشْقاً فِي اغْتِرَابٍ عَنْ "لِيْبِيَاهْ "وَ سَجْنِ
....
وَتَوَارَتْ سَفَائِنُ الْغَدْرِ نَشْوَى وَهْيَ تَقْتَادُهُ بِحِقْدٍ وَضِغْنِ
وَاخْتَفَى البَدْرُ فِي دَيَاجِيرِ " رُومَا " بَيْنَ بُكْمٍ مِنْ الْعُلُوجِ وَلُكْنِ
وَامْتَطَى جُنْحَ أَسْرِهِ وَتَلاشَى وَطَنَاً رَاحِلاً عَلَى غَيْرِ مَتْنِ

---

[1] مقدمة ديوان على جناح نورس: عبد المولى البغدادي، تعليق: سعدون السويح ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 1999 م ، ط1 :18 .

[2] معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين: عبد الله سالم مليطان ، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني ، 2001 م ، ط1 : 1 : 38 .

[3] أعلام من طرابلس :علي مصطفى المصراتي ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1972 ، ط2 : 21 .

وَجُفُونٌ مِنَ اللَّظى مُبْحِرَاتُ إِثْرَهُ ، وَالسَّرَابُ يُقْصِي وَيُدْنِي
ثُمَّ لَجَّتْ بِهِ السُّنُونُ بَعِيداً لَمْ يُمَتَّعْ بِعَوْدَةٍ أَوْ بِدَفْنِ
وَتَحَمَّلْتُ وِزْرَهُ فَهْوَ جَدِّي ضَاعَ مَابَيْنَ خَاطِفِيهِ وَبَيْنِي[1]

تخلّل مرحلةَ الطفولة شيءٌ من الفرح تمثّل في أمرين :

الأول: خروج المحتل صِفْرَ اليدين، وبخروجه عمَّ الفرحُ كلّ أرجاء الوطن ؛لأنّ عيشةَ الضّيم والمهانة في ظلّ الاحتلال الإيطالي همٌّ انزاح عن كلِّ من كرهه من كل قلبه فالمهدوي• شاعر الوطنية ، الذي عاش منفياً بعيدًا عن وطنه بسبب بطش الحكم الإيطالي عبّر عن ذلك بقوله :

قَدْ "انْتَلَفَ •"الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرو فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الْحِمَارُ
إِلَى بِئْسِ الْمَقَرِ وَحَيْثُ أَلْقَتْ بِرِحْلٍ حَوْلَ سَاحَتِهِ الدَمَارُ
مَضَتْ مَصْحُوبَةً بِدُعَاءِ سِر يُكَرِّرُه شمات واحتقار[2]

أما الشاعر فقد عبّر عن هذه الفرحة بلسان والده فقال:

وَرَوَى كَيْفَ أَنَّهُ ذَاقَ أَشْهَى مُتْعَةٍ فِي حَيَاتِهِ مَرَّتَيْنِ
مَرَّةً عِنْدَمَا وُلِدْتُ، وَأُخْرَى بِخُرُوجِ الْعَدُوِّ، صِفْرَ الْيَدَيْنِ [3]

الثاني : طفولةٌ زاخرةٌ بالإيقاع، فمن الأزجال الشعبية التي كانت تجري على لسان أمّه إلى قصائدَ جميلةٍ من المدائح النبوية التي كان يردّدها الصبية وراء أستاذهم الشيخ شكري بن حمادي• فيقول:

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 202 ،203 .

• شاعر ليبي ولد ببلدة (فساطو) بالجبل الغربي عام 1898 م ، درس بالإسكندرية بالمعهد العلمي ، ثم بمدرسة الجمعية الخيرية ، هاجر إلى تركيا ثم عاد إلى بنغازي وعين عضواً بمجلس الشيوخ، لُقِب بشاعر الوطنية له ديوان مشهور بعنوان (ديوان شاعر الوطن الكبير) توفي عام 1961م. ينظر ترجمته في معجم الشعراء اللبيين51/1 .

• انتلف : لفظة عامية تعني ذهاب الشخص المكروه .

[2] رفيق شاعر الوطن دراسة عن الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي والحركة الحديثة بليبيا :خليفة محمد التليسي ، طباعة انترسينت مالطا ، 1976 م ، ط 3 :124 .

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي :203 .

هَمْسُ أُمِّي وَهَمْسُهَا لَمْ يَزَالاَ فِي شِغَافِي مُخَبَّئَاً نِصْفَ قَرْن [1]

تلقى الشاعر مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم في كتّاب قريته "بشط الهنشير " على يد الشيخ الطاهر عبد المولى السالك ثم الشيخ شكري بن حماد رحمهما الله، واستمرت دراسته بالكتّاب حتى أوائل 1952م [2]، حيث أتم حفظ القرآن الكريم، وكان عمره أربع عشرة سنة بجانب حفظه لعدة منظومات متنوعة من المدائح النبوية مثل مديح (" البغدادي" و "البهلول" و" البردة")[3] وكثير من التواشيح ، والأناشيد الدينية التي كانت تنشد خلال قصة المولد النبوي (البرزنجي).

فيقول :

يَا قُرَايْ التَّ ِي احْتَضَنْتُ رُبَاهَا مُنْذُ فَجْرِ الحَيَاةِ وَاحْتَضَنَتْنِي
وَمِهَادَاً وَمَرْتَعاً وَمَلاَذاً وَبِلاَداً وَعَيْتُهَا و وَعَتْنِي
وَعَرَفْتُ "الصَّبَا"وَلَوْنَ"البَيَاتِي" وَ" النَّهَاوَنْدَ "مُنْذُ أَنْ عَرَفَتْنِي
وَسَقَتْنِي أَنْوَارَهَا وَرُؤَاهَا ذَوْبَ أَنْفَاسِهَا الَّتِي أَثْمَلَتْنِي [4]

التحق الشاعر بجامع أحمد باشا •عام1952م[5]، حيث قضى به أربع سنوات أكمل خلالها دراسته الابتدائية، وأقام بالقسم الداخلي التابع له♦ سنة 1953م[6]، وفيه استمع إلى

• شيخ الشاعر في تحفيظ القرآن ، كان رفيقاً به مُنَمِّياً فيه ملكة الحس والذوق الفني، ولازال الشاعر يذكره بكلِّ تجلة وتقدير .

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 202 .

[2] ينظر لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي،رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير): إعداد الطالبة أم كلثوم محمد سعد المانع إشراف د.علي عبد المطلب الهوني، للعام الجامعي 2006/2005 جامعة المرقب كلية الآداب و العلوم الدراسات العليا إقسم اللغة العربية : التمهيد :3 .

[3] ديوان على جناح نورس : المقدمة :25 .

[4] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 201 .

• أسسه أحمد باشا 1738 م ، لعب دوراً في الحياة الثقافية في ليبيا، يماثله جامع الزيتونة في تونس ،والأزهر في مصر، ينظر مقدمة ديوان على جناح نورس : 27 .

دروس النحو والفقه ، والبلاغة ، ثم أكمل دراسته الثانوية والتي استمرت خمس سنوات في المعهد الديني في الظهرة ، وتلقى خلال هذه المرحلة دروس الفقه، والتفسير، والبلاغة، والعروض، والنحو، والتاريخ، والسيرة على يد شيوخ أجلاء مثل الشيخ عبد السلام خليل • أستاذه في مادة العروض، وكان له تأثيرٌ كبيرٌ في الشاعر وخصوصاً في هذه الفترة التي بدأ يقول فيها الشعر، وكان أستاذه يمثل الاتجاه التجديدي في ظل البيئة التقليدية التي تلزم الدارسين بهذا المنهج المحافظ ، فداوم البغدادي على حفظ الشعر بنوعيه وممارسة نظمه ، حتى أصبح عالمه، وفي ذلك يقول :(الخفيف)

وَفُتِنَّا بِالشِّعْرِ مُنْذُ وُلِدْنَا وَأَسْتَسَغْنَا بِهِ لَذِيذَ البُكَاءِ
فَأَحْتَسَيْنَاهُ نَشْوَةً وَ دُمُوعاً قَبْلَ عَهْدِ الشِّفَاهِ بِالأَشْيَاءِ
وَسَكَبْنَا دُمُوعَنَا فِي مَآقِيـ ـهِ يَنَابِيعَ فِي الرِّمَالِ الظِّمَاءِ
وَعَشِقْنَاهُ فَارِساً عَرَبِيّاً يَنْشُدُ الْحُبَّ قَبْلَ سَفْكِ الدِّمَاءِ[1]

و يضيف :

بُورِكَ الشِّعْرُ مِنْ حَبِيبٍ وَفِيٍّ فَاقَ مَا فِي الحَيَاةِ مِنْ أَوْفَيَاءِ

---

[5] الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث (بداياتها اتجاهاتها قضاياها أشكالها أعلامها): د . قريرة زرقون نصر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، مايو، 2004 م ، ط 1 :402.

♦كان القسم الداخلي عبارة عن حجرات صغيرة، وقد زار الشاعر هذه الحجرة بعد ما يزيد على نصف قرن وقال:

هَا هُنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ثِيَابِي فِي انْتِظَارِي و قِطْعَة من كتابي
هَا هُنَا لا يَزَالُ مِنْ لَمَسَاتِي أَتْرَابِي والأَبْوَابِ

[6] ديوان على جناح نورس : المقدمة :27 .

• أستاذ الشاعر في درس التطبيق و النصوص وهو يمثل الصوت المجدد في جامع أحمد باشا ، ولد عام 1923 ، وتوفي19| 04| 2004، فرثاه تلميذه الشاعر عبد المولى البغدادي في قصيدته (وا خليلاه !!!) ، والتي يقول فيها :

وَا .. خَلِيلاهُ !! أَيْنَ مِنِّي خَلِيلِي ؟ غَابَ عَنْ نَاظِرَيَ أَغْلَى خَلِيلِ
غَابَ عَنِّي مُعَلِّمِي ، وَإِمَامِي وَمَلاَذِي ، وَقُدْوَتِي ، وَدَلِيلِي
أَنَا أَرْثِي لأُمَّتِي اليَوْمَ نَفْسِي وَأُوَارِي فَجِيعَتِي، وَعَوِيلِي

[1] ديوان على جناح نورس :عبد المولى البغدادي : 63 .

طَيّعَ الحُبّ لَا يَمَلُّ وَفَاءً صَادِقَ الْوِدّ مُفْرِطاً فِي الْعَطَاءِ
تَمْتَطِيهِ الشِّفَاهُ جِيلاً فَجِيلاً دُونَمَا نُفْرَةٍ وَلا إِعْيَاءِ
شَاعِرٌ إِثْرَ شَاعِرٍ وَقَوَافٍ إِثْرَ أُخْرَى تَغُصُّ بِالشُّعَرَاء[1]

ويقول الشاعر عن الشعر التقليدي بأنه: "هو المحبب في هذه البيئة، لذا كنت أنتصر له ، و كنت أفتخر بما عرفت به من صفة الشعر"[2]

و يفهم من هذا الموقف النقدي أنّ الشاعر الناقد عبد المولى البغدادي من أنصار" القديم والحديث" معا، حيث أخذ من القديم أصالته ، وجزالته ، وعمقه ، وبلاغته ومن الجديد جدته،وطرافته، وعذوبته، ورشاقته صاغها في أسلوب عصري يتناسب مع ثقافته ، وثقافة عصره وهذه نظرة نقدية صائبة جديرة بالتقدير والاحترام تحسب له في ميدان الأدب والنقد ، وفي هذه المرحلة برزت موهبته في قول الشعر الذي ارتبط بالمناسبات الدينية والاجتماعية في قوالب جدية وهزلية ، ومنها قصيدته التي رحّب فيها بالشيخ الفاضل بن عاشور• رحمه الله . والتي مطلعها :

حَظَيْنَا الْيَوْمَ بِالشَّرَفِ الْعَظِيمِ لِمَشْرِقِ طَلْعَةِ الضَّيْفِ الْكَرِيمِ[3]

أما شعر الدعابة فتمثل في مناسبة احتراق خلوة أحد شيوخه يقول:

حَبِيبَانِ للرَّحْمَنِ مُوسَى وَشَيْخُنَا أَصَابَا شَيَاطِينِي فَمَاتَتْ شُورُرَهَا [4]

ومن هذه المرحلة ظهرت بوادر شخصية الجد والهزل لدى البغدادي، والتي يمكن تتبعها من خلال دراسة أشعاره، فالأديب الماهر في نظره : هو الذي يجمع بين بلاغة

---

[1] ديوان على جناح نورس :65 .

[2] النورس و العاصفة : نسق مقالاته د. علي عبد المطلب الهوني ، د . زهير غازي زاهد ، قدم له د . محمد مسعود جبران ، منشورات الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر ، طرابلس ، 2007 م ، د . ط : 28 ،29 .

• تونسي الأصل ،مُفَسِّر لكتاب الله في كتابه (التحرير و التنوير) وُلد 16 أكتوبر 1909 م ،زار معهد أحمد باشا في أواسط الخمسينات ، ينظر الحركة الأدبية والفكرية في تونس : محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، 1972 م د . ط : 8 .

[3] ديوان عال جناح نورس : المقدمة : 34 .

[4] المصدر : المقدمة :34 .

الجد وبلاغة الهزل حسب المقامات والمناسبات والبيئات والثقافات والشخصيات، والتي لا تخلو من ومضات ساخرة، فالهزل عنده ليس غاية في حد ذاته، بل هو مرح هادف، ووسيلة لشخصية ذات أفق متسع، لِيُوَّجِه لهؤلاء الذين يضيق بهم الذرع رسالة جدية في قالب هزلي دون أي اعتراض ولو قيلت في غير هذا القالب لما كُسِب غير العداء" فالسخرية تعني معاقبة الوضع المسخور منه، فهي في حقيقتها أسلوب في الهجوم، وهو أسلوب شديد الوقع، وقوي التأثير وبالغ الفاعلية، فالسخرية تفعل ما لا تستطيع القوة المادية فعله"[1] .

أما فلسفة السخرية عند عبد المولى البغدادي فقد عبّر عنها في قصيدة المدخل بأنها سخرية تجمع بين المرح و الحكمة، و فيها يقول : (الخفيف)

يَحْمِلُ الْجِدَّ فِي قَـوَالِبِ هَزَلٍ حِينَ تَخْفَى حَقَائِقُ الْأَشْيَـاءِ
وَيَلُفُّ الضَّبَابُ أَشْرِعَةَ الشَّمْـ ـسِ فَيَأْتِي الْمَسَاءُ قَبْلَ الْمَسَاءِ

....

وَ تَغُوصُ الْأَوْجَاعُ فِـي كُلِّ قَلْبٍ ضَاقَ ذَرْعاً بِالسُّذَّجِ الْأَذْكِيَاءِ

....

عِنْدَهَا تَبْرُزُ الدُّعَابَةُ وَ الْجِـ ـدُّ بِوَجْهَيْنِ مُظْلِمٍ وَمُضَـاءِ
(إِنَّهَا نُكْتَةٌ وَ إِنْ شِئْتَ مَأْسَـ ـةٌ) لِجَلْبِ الْإِضْحَاكِ وَ الْإِبْكَاءِ
وَالدُّعَابَاتُ أَحْرَجَتْ مِنْ قَدِيمٍ مَوْقِفَ الْوُجَهَاءِ وَالْعُظَمَـاءِ
يَنْطِقُ الْفَنُّ إِنْ بَدَا سَاخِرَ الشَّكْـ ـلِ وَإِنْ جَدَّ فَهْوَ كَالْمُومِيَـاءِ
وَمُزَاحُ الْفُنُونِ أَجْدَى مِنْ الْجِـ ـدِّ وَأَبْقَى مِنْ حِكْمَةِ الْحُكَمَـاءِ
مَرَحٌ هَادِفٌ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّـ ـعْرِ وَلَا أَلْفُ مِدْحَةٍ عَصْمَاءِ

....

[1] الفصول الأربعة ، مجلة فكرية ثقافية تصدر فصلية عن رابطة الأدباء و الكتاب ،يوليو 2001 ، السنة الثالثة والعشرين ،العدد 96 : 6 .

وَكِبَارُ النُّفُوسِ أَكْـبَرُ مِنْ أَنْ يَغْضَبُوا لِدُعَابَةٍ بَيْضـَاءِ [1]

أما بيئة المعهد فهي تمثل الاتجاه التقليدي ، وهي البيئة التي أحبها الشاعر . كما ذكرت سابقا . وقد تعلق بالشيخ عمر الجنزوري• الذي كان يشجعه على كتابة الشعر ، ويتمثل بشعره في دروسه الرمضانية الشهيرة مثل :

لا يُثْمِرُ التَّضْلِيلُ فِي أَوْطَانِنَا فَـاخْتَرْ لِزَرْعِكَ مَنْبَتاً وَتُرَاباً[2]

وهذا البيت هو نهاية قصيدة رداً على قصيدة• لخالد زغبية • التي هاجم فيها الشيوخ أصحاب العمائم ، وفي ظل هذه الفترة التي درس فيها الشاعر في معهد أحمد باشا

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي :67 ، 68 .

• واعظ ومرشد درّس الفقه والتفسير ،توفي شهر يناير 1986 م .

[2] ديوان على جناح نورس : المقدمة : 38 .

• قصيدة الراهب والشيطان والتي نشرت بجريدة (العمل) الليبية عام 1958 وكانت رداً على من هاجم قصيدته (يا بلادي) ويقول فيها :

ضَجَّ (المُعَمِمْ) بالشكاة ، وعَابَا و مَضَى يُهَدِدُ بِالوَعِيدِ ، رِقَابَا !
لَمْ يُغْنِهِ (الجِلْبَاب) عَنْ تَفْكِيرُهْ فَغَدَا يُهَرْطِقُ ، لا يَرُومُ صَوَابَا !
مَا بَالَهُ خَلَعَ الوَقَار وَقَاحَةً مِنْهُ فَحَادَ عَنْ الصَّوَابْ و خَابَا !؟
....
يَا مَنْ يُرِيدُ الطَّعْنَ فِي (آدَابِنَا) هَوِّنْ عَلَيْكَ ، فَلَنْ تُصِيبَ صَوَابَا
لَكِنَّمَا (الالف) التِّي ، مَرَّتْ عَلَيْكَ فَخِلْتَ نَفْسَكَ قَدْ كَشَفْتَ مُعَابَا !
هِيَ مِنْ صَنِيعِ القَائِمِينَ عَلَى الحُرُو فِ و لَمْ تَكُنْ مَقْصُودةُ ، اعْرَابَا !
لَكِنَّمَا أَخْطَأْتَ ، حِينَ جَعَلْتَهَا (أُمُّ ضَلَلَتِكَ حَنَاجِرَ و رِقَابَا) !
يَا ذَا (المُعَمِمْ) لَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَدْ تَ و لَنْ تُصِيبَ بِسُخْفِكَ (الآدَابَا)

ينظر ديوان إيقاعات متداخلة : خالد زغبية ، منشورات مجلس الإبداع الثقافي ، ، 2004 ، ط1.

• شاعر ليبي ولد ببنغازي سنة 1933 م ، متحصل على ليسانس لغة عربية سنة 1961 م ، بدأ كتابة الشعر منذ العام 1954 م ، اشتغل في العديد من الجهات والمناصب ، وشارك في كثير من المؤتمرات والندوات من مؤلفاته : ديوان السور الكبير ، أغنية الميلاد ، غداً سيقبل الربيع ، إيقاعات متداخلة ، وكتب منها : شاعر المرأة الأول ، صور من الشعر الليبي المعاصر وغيرها ، وهو من أنصار الحداثة في الشعر " الكلاسيكية المجددة " معجم الشعراء الليبيين : عبد الله مليطان ، دار مداد طرابلس ، 2008 م ، ط1 : 1 : 357 .

أُتيحت له نشأة تقليدية كان يرى فيها "امرأ القيس، و علقمة الفحل، و الشنفرى، وجرير، والفرزدق ، مُثله العليا في الشعر"[1] .

وقد لاقى الشاعر في هذه الفترة تشجيعاً من شيوخه " على نشر قصائده الأولى في أواخر الخمسينيات ببعض الجرائد التي كانت تصدر آنذاك مثل (طرابلس الغرب) و(الرائد)و(فزان) و(الطليعة)" [2].

أنهى الشاعر دراسته الثانوية بالمعهد الديني سنة 1961م [3]، و قد قضى بهذا المعهد زهاء تسع سنوات في بيئة تقليدية درس بها الشعر الجاهلي مع قراءته الحرة " لمقالات عن الشعر والشعراء الجدد . كالشابي• . في كتابات التليسي•، وأبي القاسم كرو• وغيرهم" [4] وظهر هذا التأثر بالشابي باستخدامه مفردات من قاموس أبي القاسم الشَّابي الشعرية مثل (الدُّجى، كهف الحياة، الشعب، القيود، القدر، البشر، الخطر ، الضجر، السحر، العطر، الزهر، الحفر...) في قصيدة (حوار مع الشابي حول إرادة الحياة) واستخدامه لروي الراء الساكن، يقول البغدادي محاوراً الشابي حول إرادة الحياة: (متقارب مجزوء)

---

[1] ديوان على جناح نورس : المقدمة : 32 .

[2] ديوان على جناح نورس : المقدمة : 32 ،33 .

[3] المصدر نفسه : المقدمة : 37 .

• شاعر تونسي وُلد 1909 في الشابيّة إحدى ضواحي توزر له ديوان تنوعت مناسباته بين الشكوى والحب والغزل والرثاء والطبيعة والوجدان توفي عام 1934 م عن عمر يناهز 25 سنة .

• أديب وكاتب وناقد وشاعر ليبي ولد عام 1930 م متحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة نابولي، له ديوان مطبوع ومؤلفات منها النفيس من كنوز القواميس، الشابي وجبران ، وروائع الشعر العربي ورفيق شاعر الوطن ،رحلة عبر الكلمات ، معجم سكان ليبيا وغيرها . توفي 2010 م ورثاه الشاعر بقصيدة " بيت القصيد تخلى عن قصائده ". تنظر ترجمته في : معجم الأدباء والكتاب الليبيين 1| 53 ، 54 .

• أديب تونسي، ولد بقفصة في تونس عام 1924 م، تلقى تعليمه بالزيتونة في العاصمة ،أسس العديد من الجمعيات الثقافية والأدبية ،عاش فترات طويلة في طرابلس وشغل منصب مدير المركز الثقافي التونسي "ابن خلدون " له كتابات عديدة منها آثار الشابي وصداه في الشرق .ينظر الفصول الأربعة (الرقيعي والشابي) : نجم الدين غالب :العدد 5 :232، 238 .

[4] النورس والعاصفة :28 .

هَلُمّي افْتَحِي بَابنَا للرَّبيع لِنَمْرَحَ فِي رَوْضِهِ المُزْدَهِرْ
هَلُمّي نُغَادِرْ كَهْفَ الحَيَاةِ فَقَدْ ملَّنا الكَهْفُ حَتَّى ضَجَرْ
هَلُمّي نعُانِقْ طَيْفَ الْكُرُومِ وَنَنْهَلُ مِنْهُ الرُّضَابَ العَطِرْ
فَلَوْ جَمَعَ الشَّعْبُ يَوْماً قُوَاهُ وَكَشَّرَ عَنْ نَابِهِ أَوْ زَأَرْ
لَفَكَّ القُيُودَ وَدَكَّ الحُدُودَ وَثَارَ بِعُنْفٍ عَلَى مَنْ غَدَرْ [1]

ويقول الشابي : (متقارب مجزوء)

إِذَا الشَّعْبُ يَوْماً أَرَادَ الْحَيَاة فَلاَبُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ
وَلاَبُدَّ لِلَيْلِ أَنْ يَنْجَلِي وَلاَبُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرْ
....
"وَمَنْ لاَ يُحِبُّ صُعُودَ الْجِبَا لِ يَعِشْ أَبَدْ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرْ"
فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءَ الشَّبَا بِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاح أُخَرْ
وَأَطْرَقَتُ، أُصْغِي لِقَصْفِ الرُّعُو دِ وَعَزْفِ الرِّيَاحِ ، وَوَقْعِ الْمَطَرْ[2]

وظهر بوضوح مدى تأثر الشاعر بروح الشابي الثائرة والنضالية في الحياة وفي الشعر على الرغم من الإخفاق و الإحباط الذي لازمه للخروج من واقعٍ ذاكرته مثخنتاً بالجراح والآلام، حيث نرى نوعاً جديداً من الشعر لم يتعوّد عليه الشاعر، شعرٌ به معانٍ وصور جديدة ، وقد تخلص فيها قائلها من قيود الخيال والفكر، ومع ذلك يظل هذا النوع من الشعر تراثاً عربياً مفعماً بالعطاء .

[1] ديوان على جناح نورس : 145 .

[2] شرح ديوان أبي القاسم الشابي : تعليق د . يحي شامي ، دار الفكر العربي ، بيروت 1997 ، م ، ط 1 :67 ، 68 .

يقول: (الخفيف)

تَمَلكَّنِي خَاطِرٌ يَعْرُبـيٌّ بِخَضْرَائِنَا فِي رَبِيعِ خَضِرْ
صَحَوْتَ عَلَى صَوْتِهِ المُتجَلّي مَعَ الْفَجْرِ فِي خَلَجَاتِ السَّحَرْ
أَلَسْتَ ابْنَ هَذَا التُرَاثِ الأَصِيلِ وَهَذَا الحِمَى العَاطِرِ المُزْدَهِرْ
....
وَأَشْرِقْ عَلَيْنَا بِشِعْرٍ بَدِيـعٍ جَدِيدِ المعَانِي جَدِيدِ الصّـوَرْ
يُحَرّرُنَا مِنْ جُمُودِ الخَيَالِ وَيُخْصِبُ أَمَالَنَا بِالْفِكَـرْ
قَصَائِد مُفْعَمَةٌ بِالْعَطَـايَا يَطِيبُ جَنَاهَا وَ يَحْلُو الثَّمَرْ[1]

تأثر البغدادي بشعر أحمد رفيق المهدوي ، وبدا هذا التأثر واضحاً في طغيان الاهتمام بالحدث الخارجي عن التأمل الذاتي، والإحساس بعواطفه الشخصية، حيث يُطل كل منهما على الأحداث من أفق إنساني واسع مستوحياً الأفكار الإنسانية الخالدة التي تتجاوز الحادثة لتعيش في وجدان الإنسان، ويعُدّ الرثاء المتصل بالنزعة الوطنية من أكثر المواضيع اشتراكاً بينهما ، فكان مرثِيُوهم العلماء والكتاب والشعراء والمثقفين في أوطانهم غير الإقليمية، فعندما يرثي عبد المولى البغدادي شاعراً أو كاتباً فكأنما يرثي جميع الكتاب والشعراء ، ففي قصيدة "بيت القصيد تخلّى عن قصائده "المهداة إلى روح المرحوم خليفة التليسي يزداد الإحساس عمقاً ليصلَ إلى رثاء الشعر والوطن، فيقول : (البسيط)

بَيْتُ الْقَصِيدِ تَخَلّى عن قَصَائِدِه وَ ًأَصْبَحَ الشِعْر لاَ بَيت وَلاَ حَرَسُ
أَيْنَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهِ وَيَحْضُنَـهُ وَيَحْرِسُ البَيْتَ وَالفُصْحَى وَيَحْتَرِسُ
لَمْ يُطْفِئْ الدَّمْعَ فِي الْأَشْعَارْ حُرْقَتَهَا كَأَنَّمَا البَحْرُ فِي أَعْمَاقِهَا يَبِسُ
مَنْ ذَا يُعِيدُ إِلَى الأَجْدَادِ مَجْدَهُمْ فَكُلُّ دَرَّةَ رَمـلٍ بَيْنَنَا قَـبَسُ

[1] ديوان على جناح نورس : 141 .

خَلِيفَةُ الشَّعْرِ قَدْ أَنْهَى خِلافَتُـهُ وَلا خِلافَةَ لِلأشْعَارِ تُلْتَمَـسُ
سَاسَ الحُرُوفَ فَلَمْ يَبْدَأْ كَمَا بَدَأَ الْمُرْفَهُونَ وَلَمْ يَدْرُسْ كَمَا دَرَسُوا
يَا خَيْرَ مَنْ حَرَّكَ التَّارِيخَ فِي وَطَنِي وَمَنْ تَبَاهَتْ بِهِ فَخْرًا طَرَابُلُسُ
عَرَائِسُ الْمَجْدِ لا تُهْدَى طَوَاعِيَة فَمَهْرُهَا بِالدِّمَاءِ الْحَمْرِ مُنْغَمِسُ[1]

التحق الشاعر بكلية اللغة العربية في البيضاء لاستكمال دراسته الجامعية ، ولم تختلف هذه البيئة عن بيئة المعهد الديني من حيث الأجواء الدينية، والثقافية، والتقليدية، ولكنها فتحت أمام الشاعر آفاقاً أرحب للبحث والتعمق في اللغة والأدب ليتخرّج فيها عام 1965 م[2] وهو يحمل درجة الليسانس بتقدير ممتاز .

هذه الدراسة الجادة والتأكيد على الشعر القديم في المعهد الديني وكلية اللغة العربية بالبيضاء والتي استمرت زهاء ثلاث عشرة سنة جعلت من لغة الشاعر واضحة التأثر، عذبة الموسيقى، سلسة العبارة، وأثرت هاتين البيئتين في شكل القصيدة في شعره "حيث غلب عليها الشكل العمودي باستثناء بعض القصائد التي كتبت في إطار شعر التفعيلة مثل " هل يسمح الخليل أن أثور؟ " .[3]

وعلى الرغم من تمثل الشاعر بالقدماء و حفظه للشعر القديم واستحواذ التراث عليه وحبه له فهو لم يتحفظ داخل هذا باستخدام أسلوب "التناص "أو "التناصص "، فالتناص كما عرّفه محمد مفتاح هو: "تعالق الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[4] دون أن يتحوّل هذا الأسلوب إلى عملية نسف و تدمير للغة ذاتها، وساعدته ثقافته الدينية والأدبية في عملية فك اللغة وإعادة تركيبها دون الوقوع في العبثية و الفوضى .

---

[1] قصيدة مخطوط مؤرخة بتاريخ الجمعة 15/ 01 / 2010 .

[2] ديوان على جناح نورس : المقدمة : 37 .

[3] النورس والعاصفة : 101 .

[4] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) : محمد مفتاح ، المركز الثقافي 1992 م ، ط 3: 121 .

بعد أن أنهى الشاعر دراسته الجامعية التحق بجامعة الأزهر في القاهرة لاستكمال دراسته العليا للحصول على درجة الماجستير وكان موضوع رسالته (الشاعر أحمد رفيق المهدوي) وتكلّلت بالنجاح عام 1968م[1] ، ثم واصل الشاعر دراسته في جامعة الأزهر ، وذلك لنيل رسالة الدكتوراه عام 1971 ، والتي كان موضوعها: (الشعر الليبي الحديث : مذاهبه، وأهدافه)[2]، وهي " تُعد من بواكير الدراسات الأكاديمية للأدب العربي في ليبيا"[3] مما جعل الشاعر في شبه انقطاع عن كتابة الشعر، وقد سيطرت عليه الحياة الأكاديمية من خلال القراءة والبحث للمدرسة التقليدية المجددة أمثال أحمد الشارف•، وأحمد رفيق المهدوي ، واللّذان كانا امتداداً لشعراء المشرق أمثال أحمد شوقي• ، وحافظ إبراهيم•، والزهاوي•، وخليل مطران •، متأثراً بالبيئة الثقافية الجديدة بالقاهرة "تلك البيئة القاهرية الغنية بتيارات الفكر، ونظريات الأدب، ومدارس الفلسفة، على ما بينهما من تباين وتفاوت"[4] ، ويقول البغدادي : "في القاهرة كانت صدمتي بقراءة كتابات♦

---

[1] ديوان على جناح نورس :المقدمة : 37 .

[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 41 .

[3] اللسان المبين :مجلة دورية محكمة متخصصة تصدر سنوياً مؤقتاً عن قسم اللغة العربية . كلية الآداب جامعة طرابلس ، العدد الأول 2002 : 155 .

• شاعر ليبي ولد ونشأ بمدينة زليتن عام 1864 م ، درس علوم اللغة والقرآن و تلقى علومه على يد شيوخ الأسمري ،تعمق في علوم الفقه واللغة ،اشتغل بالقضاء ، وعمل قاضياً بتاورغاء ،والقره بولي ، وسرت ، سجنه الإيطاليون لمواقفه الرافضة من خلال شعره ، توفي عام 1959 م ، ديوانه (أحمد الشارف دراسة وديوان) . ينظر ترجمته في معجم الشعراء البيين 1| 61 .

• ولد عام 1868 م لقب بأمير الشعراء ، اشتهر بالبديهة الفياضة في صناعة الشعر ونظمه ، له ديوان مطبوع (الشوقيات) توفي عام 1932 م

• شاعر مصري لقب بشاعر النيل

• شاعر وناقد عراقي ولد 1868 وتوفي 1932 .

• شاعر لبناني ورائد من رواد التجديد في الشعر العربي، ولد ببعلبك عام 1872م، له ديوان مطبوع ، توفي 1949

[4] ديوان على جناح نورس 38 .

♦ (أبيات شوقي التي لم يرد في فلسفة الشحاذين مثلها) ينظر الديوان عباس ،والمازني دار الشعب ط 3 :16 .

العقاد والمازني* عن شوقي وشعره ، وكنت أحب شعر شوقي فقد صورته كتاباتهم بصورة تناقض ما في ذهني عنه، مما أثار في نفسي أشياء غريبة. فإذا كان شوقي كبير شعراء عصره بهذه الصورة عند العقاد، فكيف بالذين مازالوا على شواطئ الشعر"[1] هذه الرؤيا النقدية الجديدة للشعر جعلت الشاعر يفكر في التخلي عن نظم الشعر، ولعّل هذه الدرّاسة الأكاديمية، والتي استمرت فترة من الزمن هي التي صقلت موهبة الشعر لديه، لتجعل منه شيئاً له خصوصيته في عالم الشعر بشعرٍ وطنيٍ رصينٍ ملتزمٍ يحمل هموم الوطن وأبناء الأمة، بعد ذلك مارس مهنة التدريس الجامعي ، والعمل الإداري داخل الجامعة،

وقد شغل منصب وكيل التربية سنة 1973م[2] ثمّ منصب أمين لجنتها الشعبية سنة 1974م[3] ليصبح بعدها نائباً لأمين اللجنة الشعبية لجامعة الفاتح 1975 م[4] ، وشكلت مرحلة العمل الجامعي منعطفاً مهماً في مسيرة الشاعر الفكرية والشعرية، فالشاعر يعتبر هذه المرحلة مرحلة الشعر القوي العزيز الذي يركب الأهوال والصعاب واثقاً الخطى؛ لأنّ الحروف صارت تسمع وترى وتُفكر قبل أن تنطق، مَانِحَة الخيال الخصب والتجديد في الرؤى والأفكار من هذه الحياة الجامعية المليئة بالتجارب والخبرات الاجتماعية والسياسية، ومع إضافة وعيه بالتراث وإحاطته به، وهذا يختلف عن تقليده وإعادته ، وهذا الوعي هو الذي أعطاه القدرة على استعمال هذه اللغة والتصرف بألفاظها وأساليبها

* هو إبراهيم بن محمود بن عبد القادر المازني ولد سنة (1308 هـ . 1890م) وهو أديب مجدّد من كبار الكتاب امتاز بأسلوب حلو الديباجة وقرأ كثيراً من الأدبين العربي والإنجليزي ، نظم الشعر ، ترك ديوان شعر وله مؤلفات كثيرة متعددة ، توفي سنة (1368 هـ . 1949 م) . ينظر الأعلام 1 | 72 .

[1] النورس و العاصفة : 30 .

[2] ديوان على جناح نورس : 42 .

[3] نفسه :42 .

[4] نفسه :42 .

"فليست اللفظة الواحدة إلاّ حلقة في سلسلة التراكيب التي تتكوّن منها اللغة والتي تحتفظ للناس بثمار تجاربهم مركزة في شكل رموز"[1]

في سنة 1981م[2] انتقل الشاعر إلى روما للعمل في مجال النشر والتوزيع، لفترة قصيرة، وكأنّ نفس الشاعر لم تسترح لهذه المهنة الإدارية شأنها شأن المناصب التي تقلدها في الجامعة، فيقول :

وَأُوتِيتُ تَوْزِيعَ الْكِتَابِ وَنَشْرِهِ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَاب وَلاَ النَّشْرِ
فَمَالِي وَمَا لِلنَّشْرِ لَوْلاَ تَسَرُّعِي وَمَا النَّشْرُ إِلاَّ الْحَشْرِ أَوْ دُونَهُ الحَشْرِ[3]

ليسافر إلى الحبشة سنة 1982م[4] لتدريس اللغة العربية بجامعة "أديس أبابا" بعد أن قضى سبع سنوات في الحبشة نتج عنها حب للقارة الإفريقية وخصوصاً إنّ الحبشة كانت قد احتضنت المسلمين في عهد النبي محمد ﷺ لتتعمق لدى الشاعر قضية الإنسان في شعره حيثما كان ومهما كانت ديانته أو لونه أو جنسه انطلاقاً من ثقافته الإسلامية ، حيث إنّ الإسلام يعترف بالقومية ولا يدعو إليها لقوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[5] .

ليعُود الشاعر إلى الوطن عام 1989م[6] للتدريس بكلية اللغات بجامعة طرابلس ، ثمّ انتُدب♦ للتدريس بجزيرة مالطا عام[7] 1992 وفي عام 1999[8] قام بإصدار ديوانه الأول

---

[1] النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير : د. عبد الاله الصائغ ،المركز الثقافي العربي 2000 ، ،ط1 : 226 .

[2] ديوان على جناح نورس :42 .

[3] المرجع نفسه : 227 .

[4] المرجع نفسه : 43 .

[5] سورة الحجرات 13 .

[6] ديوان على جناح نورس : 44 .

"على جناح نورس "، وإنْ أصبح العمر عائقاً أمام ممارسة المهنة بحكم قانون التقاعد الإجباري فهو ليس عائقاً أمام الإبداع، فيقول :(الكامل)

يَا شَاطِئ السِّتِّينْ جِئْتُكَ سَابِحاً وَتَرَكْتُ فِي عَرض الرِّيَاحِ مَرَاكِبِي
أتراي أَعْتَزِل الرَّحِيلَ ، وَأَنْتَهِي مِنْ حَيْرَتِي وأُرِيح كُلَّ مَتَاعِبِي
وأُعِيدُ أَنْفَاسِي إِليَّ، وَأَكْتَفِي بِخَسَائِر حَقَّقْتُهَا ومَكَاسِبِ
أَمْ أَنَّنِي سَأَظَلُّ رَغْمَ كُهُولَتِي مُتَشَبِّثاً بِأَعِنَّتِي وَرَكَائِبِي [1]

فرُوح الشاعر المتمردة تأبى أن تتوقف عن مصارعة التيارات العاتية على الرغم من زحف السنين، ولكن هذه الروح المتمردة تمرُّ بلحظات قلق، وعدم وضوح في الرؤيا شأنه شأن كلِّ المبدعين الذين لا يتسرب الرضا إلى نفوسهم تجاه إبداعاتهم ، لقناعتهم الراسخة بأنهم في أول الطريق، فيقول : (الخفيف)

ثُمَّ مَاذَا وَكَيْفَ أُلْقِي بِنَفْسِي فِي خِضَمٍّ يَضُجُّ بِالْمُبْدِعِينَا
وَأَنَا قَاصِرَ الْمَدَى لَسْتُ أَدْرِي أَيَّ نَهْجٍ أَسِيرُ بِالْبَاحِثِينَا
لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاتِعِ الشِّعْرِ أَحْبُو رَغْمَ أَنِّي أُنَاهِزُ السَّبْعِينَا
تَائِهًا فِي الدُّرُوبِ أَبْحَثُ عَنْ ذَا تِي وَأَسْتَنْطِقُ الرُّؤَى وَالظُّنُونَا
مَنْ تُرَى ذَلِكَ الْمُكَبَّلُ بِالْوَهْـ ـمِ ألاَ رَجْعَة تُعِيدُ الْيَقِينَا
مَارَسَ الشِّعْرَ كَيْفَ شَاءَ رَفِيعاً وَوَضِيعاً وَهَازِلاً وَرَصِينَا
بَرْزَخٌ بَيْنَ عَالمَيـنِ نَقِيظَيْـ ـنِ وَ كُلٌّ يُمَارِسُ التَّهْجِينَا

♦ انتدب للتدريس بجامعة مالطا فترتين : الأولى من سنة 1992 . 1998 الثانية من سنة 1998 . 2006 وقد حاول المسؤولون عرقلته في الفترة الثانية وأُقف ستة أشهر إلا أنه استطاع بعد ذلك أن يخترق الصعاب . وله قصيد في هذا الصدد بعنوان : (وقف العمر حائلاً دون عزمي)

[7] المرجع نفسه : 44 .

[8] النورس والعاصفة : 21 .

[1] المرجع نفسه : 273 ، 274 ، 280 .

وَتَظَلُّ الْأَحْلاَمُ وَاللَّهْفَةُ الْعَطْشَى تَحُثّانْ خَاطِرِي أَنْ يُبِينَا
مِنْ هَشِيمِ الْعُصُورِ لَمْلَمْتُ شِعْرِي بَاحِثًاً عَنْهُ فِي زُكَامِ السِّنِينَا
فَالأَرِيجُ الْقَدِيمُ لاَ زَالَ يُغْرِيـ ـنِي فَآوِي إِلَيْهِ حِيناً فَحِينَا [1]

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 19 ، 20 .

الفصل الأول : قضايا في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الأول : قيمة الشعر لدى عبد المولى البغدادي ونظرته له:

المبحث الثاني : العروبة والوطن في شعر عبد المولى البغدادي

قيمة الشعر لدى عبد المولى البغدادي ونظرته له:

البغدادي لا يجد تعريفاً للشعر فهو مولودٌ به ؛ ولكنه يتمنى أن يجد فيه دفعاً للأهوال ولكنه قد يرجع ثائراً غاضباً وقد يصيب إنساناً تقياً فيظهر شعره مليئاً بالحكم والمثل العليا، وقد يصيب إنساناً آخر يكاد يفقد صوابه مما يعتريه من ربة الشعر ولكن الشعر يظل دائماً أقوى من ضربة السيف، ولهذا، فالشاعر لا يصنف الشعراء جيدين وغير جيدين وإنما يصنف القصائد جيدة و غير جيدة ، ولا يستثني البغدادي نفسه بهذه النظرة النقدية" فلئن كانت وظيفة الشعر اكتشاف الكون ، فإن وظيفة الناقد اكتشاف الشعر..."[1]: ويؤكد البغدادي على دور الشاعر المهم ، ويعده المسئول عمَّا يكتبه من شعر نحكم عليه بأنه جيد أو رديء ويعتبر الكلام الغث والزائف هو قضية الشاعر لا الشعر وهو بهذا يقول الشعر معتلاً ومعتدلاً، يقول : (البسيط)

ولُذْتُ بالشِعْرَ عَلَّ الشِعْرَ يُنْقِذُنِي مِنْ هَوْلِ مَا لَيْسَ لِي فِي دَفْعِهِ قِبَلُ
وَرُبَّمَا ارْتَدَّتِ الأَشْعَارُ ثَائِرَةً غَضْبَى، فَتُخْطِيءُ مَرْمَاهَا وَتَشْتَعِلُ
فَقَدْ تُصِيبُ مَلاَكاً نَاسِكاً وَرِعاً يُسَبِّحُ الله فِي صَمْتٍ وَيَبْتَهِلُ
وَقَدْ تُصَادِفُ شَيْطَاناً فَتَجْعَلَهُ يَكَادُ مِنْ لَسَعَاتِ الشِعْرِ يَخْتَبِلُ
وَضَرْبَةُ السَّيْفِ قَدْ تُنْسِي إِذَا الْتَأَمَتْ لكِنَّمَا الشِعْرُ مَضْرُوبٌ بِهِ الْمَثَلُ
وَقُلْتُ مَا قُلْتُ مُعْتَلاً وَمُعْتَدِلاً فَالشِّعْرُ نَوْعَانِ : مُعْتَلٌ وَمُعْتَدِلُ[2]

إن هاجس الحرية عند الشاعر رافد قوي من روافد شعره ، بل إن أهم مقومات الشعر عند عبد المولى البغدادي هو عنصر الحرية فالشعر الذي لا تحركه الحرية لا يصغي إليه أحد ولو دقت له الطبول ويعلو الشعر بمعاني الحرية ويتجسدها عندما يتمثل مثل خصم صعب المراس ضد كل من ظلم ومثل صديق وفي لكل من عدل ، ومثل تاريخٍ لا يغفر لشاعرٍ عملاقٍ زلت به قدم، يقول الشاعر: (البسيط)

[1] الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش : ميشال خليل جحا : 15

[2] خمسون عاما زرعنا روضها أملا : عبد المولى البغدادي : 27 .

وَالشِعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ حُراً فَلاَ أَحَدٌ يُصْغِي إِلَيْهِ وَلَوْ دُقَّتْ لَهُ الطبُلُ
الشَّعْرُ خَصْمٌ عَنِيدٌ ضِدَّ مَنْ حَمَلُوا ظُلْماً ، وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ لِمَنْ عَدَلُوا
وَيَفْقِدُ الشَّاعِرُ العِمْلاَقُ قِيمَتَهُ إِنْ طَأْطأَ الرَّأْسَ ، أَوْ زَلَّتْ بِهِ الجُمَلُ[1]

فالمثل العليا تظل توجهه فيتمنى للشعر الذي لا توجهه هذه المثل أنْ لا يرى النور ولا تكتبه يد ؛ لأن شعر العقول خطير جداً ، فقد يحمل الشعر النقيضين وقد يسوغ شعر المديح أشياء مزورة وهذا النوع من الشعر يرفضه الشاعر رفضاً قاطعاً ويرى أن العقل السليم لا يتعاطى مع هذا النوع من الشعر، فالشعر كلمة والكلمة يجب أن تكون صادقة وإن كان الشعر يبني مجداً فالمجد لا يكون إلا بمبادئ تدفع لأجلها الأرواح" فالشعر استكشاف دائم لعالم الكلمة ، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة " [2] يقول : (البسيط)

الشِّعْرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نُصْحاً وَمَوْعِظَةً يا لَيْتَهُ لمْ يَرَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُقَلِ
الشِّعْرُ أَخْطَرُ مَا تَسْعَى العُقُولُ بِهِ يَحْوِي النَّقِضَيْنِ مِنْ سُمّ وَمِنْ عَسَلِ
كَمْ سَوَّغَ الْمَدْحُ أَفْعَالاً مُزَوَّرَةً وَجَرَّ مِنْ مِحَنٍ وَاحْتَالَ مِنْ حِيَلِ
لاَ يَصْدُقُ الشِّعْرُ إِلاَّ حِينَ يَصْدُرُ عَنْ عَقْلٍ سَوِيّ حَيِيّ غَيْرِ مُبْتَذَلِ
وَأَيُّ مَعْنًى لِشِعْرٍ لاَ يُتِيحُ لَنَا إِلاَّ التَّغَنِّي بِسِحْرِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ
لاَ يَبْلُغُ الْمَجْدَ إِلاَّ شَاعِرٌ فَطِنٌ يَخُطُّ أَحْرُفَهُ الحَمْرَاءَ بِالنُّصُلِ [3]

---

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 28 ، 29 .

[2] الشعر العربي المعاصر (قضاياه الفنية والمعنوية) : عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت ، د . م ، د . ط : 173 ، 174 .

[3] مولاي عبدك بين اليأس والأمل : عبد المولى البغدادي : 31 .

وتظل الحكمة كنز يثري بها البغدادي قصائده، ويمكن تتبع ذلك من خلال قراءة قصائده• إذ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائده ، وربما لا يصح أن يقصر شاعر قصيدته على رثاء إنسان مهما بلغ شأنه أو التعبير عن واقع مهما كانت قساوته بقدر ما كانت توضع الحكم في مكانها أو أن وجود هذه الحكم يخلد هذه القصائد ؛ لأنها نابعة من لحظات تأملية منبثقة عن معاناة ذاتية واقترابها من الحكمة المجردة وبذلك يقترب من تعريف شوقي للشعر، فالشعر عند شوقي يرتكز على ثلاث ركائز: الذكرى، والعاطفة، والحكمة " لا يزال الشعر عاطلاً حتى تزينه الحكمة ولا تزال الحكمة شاردة حتى يؤويها بيت من الشعر"[1]، وبيت الشعر محصن في القصيدة العربية بسياج من القافية والوزن والموسيقى الشعرية ، فلا يمكن أن يخْترق ، وتظل الحكمة مصونة بداخله بلا تغيير ولا تبديل ، فالشعر عند البغدادي صفاء وارتقاب ونشوة وشعاع وبلسم وحنان ونبض الحياة" الشعر فكر وعمق وتصوير للحياة التي هي بدورها ليست فاترة ولا هي سهلة بسيطة تدرك بلا جهد ولا عناء"[2]، كما يقول خليل مطران : (الخفيف)

أَنْتَ يَا شِعْرُ فِي ضَمِيرِ الْبَرَايَا مُنْذُ كَانَ الضَّمِيرُ بِكْرَ الْحَيَاءِ

....

إِنَّهُ الشِّعْرُ مَهْبِطَ الْوَحْيِ فِي الأَرْضِ وَمَهْدِ الصَّفَاءِ لِلأَصْفِيَاءِ

وَارْتِقَابِ وَنَشْوَةٌ تَتَحَدَّى حَالِكَ اليَأْسِ فِي عُيُونِ المَسَاءِ

وَشُعَاعٌ يُنِيرُ لَيْلَ الحَيَارَى وَشِرَاعٌ يَشُقُّ دَرْبَ الرَّجَاءِ

إِنَّهُ الشِّعْرُ بَلْسَمُ الزَّمَنِ المُرِّ وَمَهْدُ الحَنَانِ لِلْبُؤَسَاءِ

فِيهِ نَبْضُ الْحَيَاةِ مَهْمَا تُوَارَى فِيهِ مَا فِي الظُّنُونِ مِنْ أَهْوَاءِ[3]

• من أشهرها قصيدة مولاي عبدك بين اليأس والأمل بها العديد من الأبيات الشعرية التي بها الحكم

[1] أسواق الذهب (مسرحية) : أحمد شوقي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1993 م :134 .

[2] خليل مطران (باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث) :د. ميشال جحا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1981 ، ط1 : 37

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 63 ، 64 .

وبهذا يقترب البغدادي من أهمية الشعر بالنسبة لعلي صدقي عبد القادر• الذي يرى أنّ الحياة لا معنى لها بدون الشعر لأنه برفقة الشعر يصبح سفر العمر أسهل، وليله الطويل أقصر .. يقول:

بِدُونِكَ أَمْضَغُ الأَيَّامَ ، أَلْفُظُهَا ، وَلاَ أَسْأَلْ
بِدُونِكَ خِفْتُ أَنْ يَأْكُلَنِي اللَّيْل ، فَلَمْ أَهْجَعْ
بِدُونِكَ صَارَ مِصْبَاحِي بِلاَ عَيْنَيْنِ
وَدِيوَانِــي بِـلاَ أَشْعَـارِ [1]

فالشاعر يرفض شعر المديح ويؤكد على أن شعره ليس سلعة تباع وتشترى؛ لأن الغِنَى عنده غِنَى المبادئ، والشاعر أرقى من أن يُصنَّف سلعة مثله مثل قطيع الماعز والضأن، فيقول: (الخفيف)

لَمْ أَبِعْ مُغْزَلِي وَلاَ جِئْتُ يَوْماً أَبْتَغِي وَافِرَ الثَرَاءِ بِفَنِّي
لَسْتُ لِلْبَيْعِ سِلْعَةً أَوْ مَـزَاداً فِي قَطِيعٍ مَا بَيْنَ مَعْزٍ وَضَأْنِ [2]

إن طبيعة الشعر عند البغدادي تتفق مع طبيعة الشعر عند الشابي التي حددها بقوله " إن الشعر هو الحياة نفسها، في حسنها ودمامتها، في صمتها وضجتها ، وفي هدوئها وثورتها، في نومها ويقظتها، في كل صورة من صورها ولون من ألوانها"[3] وعليه فالشعر

• شاعر ليبي ولد سنة 1924 م بطرابلس ، متحصل على إجازة المحاماة ، وقد ترجمت أشعاره إلى عدة لغات عالمية ، من دواوينه : أحلام وثورة ، صرخة ، زغاريد ومطر بالفجر ، الكلمة لها عينان وغيرها ، ينظر ترجمته في معجم الشعراء الليبيين ،1 : 57 .

[1] الأعمال الشعرية الكاملة : علي صدقي عبد القادر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1957 ، ط 1 : 649 .

[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي :201 .

[3] آثار الشابي وصداه في الشرق : أبو القاسم كرّو بيروت ، دار الغندور ، 1961 م ، ط 1 : 130 .

عند البغدادي هو الحياة ويموت الشعر إذا صار وسيلة للتكسب ونيل المناصب فيقول: (الخفيف)

وَيَمُوتُ النَّشِيدُ إِنْ صَارَ وَسْماً هَامِشِيّاً فِي خَوْذَةٍ أَوْحِـذَاءِ
أَوْ فِرَاشاً مِنَ الحَرِيـرِ وَتَاجَا فِي رُؤُوسٍ مَصْفُوعَةِ الْأَقْفَاءِ[1]

وهذا يتفق مع كبرياء الشاعر عند علي الرقيعي• حيث" يظل كبرياء الشعر لديه ينعكس على كبرياء الشاعر، فينبغي للشاعر أن لا ينحني فيجعل شعره رخيصاً لمدح الحكام إنما ينبغي أن يجعله للشعب يصل إليه بأقرب طريق وأسهل تعبير وأن يكون الشعر تعبيراً عن صوت الشاعر بدون مراوغة أو نفاق"[2] وذلك برفضه لشعر المديح بصيغة التعجب التي تقترب من السؤال الإنكاري (ما أقبح الشعر) فيقول: (البسيط)

مَا أَقْبَحَ الشِّعْر إِنْ صِيغَتْ مَقَاطِعَهُ مِنَ الرِّيَاءِ فَلاَ رَوْحٌ وَلاَ قِيَمُ
مَا أَقْبَحَ الشِّعْرَ أَلْفَاظاً مُنَمَّقَةً يَتِيهُ فِيهَا الْوَنَى والزَّيْفُ والسَّأَمُ
الشِّعْرُ مَلْحَمَةٌ تَشْدُو الجُمُوعُ بِهَا لِلشَّمْسِ يَحْمِلُهَا طُوفَانُهَا الْعَرِمُ [3]

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 69 .

• هو علي محمد علي الرقيعي ولد عام 1934 بطرابلس ودرس بها حتى المرحلة الثانوية ، ثم اضطرته الحاجة إلى هجر مقاعد الدراسة قبل استكمال دراسته ، فالتحق بالعمل الوظيفي بوزارة الصحة بقسم الحسابات ، نشر نتاجه الأدبي بعدد من الصحف والمجلات المحلية من بينها : طرابلس الغرب ، وهنا طرابلس الغرب ، وصوت المربي ، وكان له نشاط بارز من خلال نادي الشباب الليبي ، قدم للإذاعة مجموعة من البرامج الأدبية منها برنامج بعنوان (همسات الليل)، توفي رحمه الله تعالى في حادث سيارة يوم 23|11|1966 ، من دواوينه : الحنين الظامي ، أشواق صغيرة ، لم يمت ، الليل والسنون الملعونة ، ينظر معجم الشعراء الليبيين ج|1 : 371 .

[2] مجلة الفصول الأربعة (علي الرقيعي وهموم الحداثة : د. زهير زاهد) العدد 98 : 11 .

[3] أشواق صغيرة : علي الرقيعي: تقديم سليمان كشلاف ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1978 ، ط 2 . : 118 ، 119 .

أما عبد المولى البغدادي فيقول : (البسيط)

قبّحَ الشِّعْر إنْ يَكُنْ غَيْرَ حُرٍّ سَابِحٍ فَوْقَ هَامَةِ المُسْتَحِيلِ [1]

فالشعر المنمق الذي يتيه في الزيف والكذب هو شعر قبيح عند كلاً من الرقيعي والبغدادي ، ولهذا نرى حافظ إبراهيم يدعو الشعراء إلى فك قيود النسيب والمديح والهجاء والرثاء التي يتمسك بها دعاة التقليد وعدم التجديد في الشعر وهذه دعوة للتغيير يصفها الشاعر بريح الشمال التي كما هو معروف تجلب الخير، ويقول حافظ إبراهيم :(الخفيف)

ضِعْتَ بَيْنَ النُّهَى وَبَيْنَ الْخَيَالِ يَا حَكِيمَ النُّفُوسِ يَا بْنَ الْمَعَالِي
ضِعْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودٍ لَمْ يُفِيقُوا وَأُمَّةٍ مِكْسَالِ
قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أُنْسٍ وَكَأسٍ وَغَرَامٍ بِظَبْيَةٍ أَوْ غَزَالِ
وَنَسِيبٍ وَمِدْحَةٍ وَهِجَاءٍ وَرِثَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضَلاَلِ
....
آنَ يَا شِعْرُ أَنْ تَفُكَّ قُيُوداً قَيَّدَتْنَا بِهَا دُعَاةُ المُحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمِ عَنَّا وَدَعُونَا نَشُمُّ رِيحَ الشَّمَالِ[2]

ويلتقي البغدادي مع الرقيعي والشابي وحافظ إبراهيم في تعريفهم للشعر، حيث يكون الاعتماد بشكل أساسي على المضمون فهو الغاية والمقصود وذلك بالتغني للحياة والناس، وليس التركيز على الأغراض القديمة من مدح وهجاء ورثاء وغزل، وغيرها فلم تعد هدفاً للشاعر، يقول الشابي :

لاَ أَنْظِمُ الشَّعْرَ أَرْجُو بِهِ رِضَاءَ الْأَمِيرِ
بِمِدْحَةٍ أَوْ رِثَاءٍ تُهْدَى لِرَبِّ السّرِيرِ

[1] وا .. خليلاه !!! إلى روح أستاذي العالم الجليل والشاعر المبدع فضيلة الشيخ عبد السلام محمد خليل من تلمذه عبد الملى البغدادي ، في حفل تأبينه بمركز دراسات جهاد الليبيين ، إشراف الهيءة العامة للأوقاف ،

[2] ديوان حافظ إبراهيم ، دار العودة . بيروت 1996 م : 237 ، 238 .

حَسْبِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَنْ يَرْتَضِيهِ ضَمِيرِي
مَا الشِّعْرُ إِلاَّ فَضَاءٌ يَرِفُّ فيهِ مَقَالِي
فِيمَا يَسُرُّ بِلادِي وَمَا يَسُرُّ المَعَالِي
وَمَا يُثِيرُ شُعُورِي مِنْ خَافِقَاتِ خَيَالِي
لاَ أَقْرِضُ الشِعْرَ أَبْغِي بِهِ اقْتِنَاصَ نَوَالِ[1]

ويؤكد خليفة التلّيسي على هذه الفكرة بأنه لا يقول الشعر طمعاً في نفوذ أو مرتبة، فمرتبته محفوظة كما كل الشعراء ، فيقول :

أَنَا لا أَقُولُ الشِّعْر أَبْغِي رُتْبَةً تَعْلُو بِهَا رُتَبِي وتُكْسِبُ وَافراً[2]

ومسؤولية شعر المديح عند البغدادي تشمل الممدوح وكل من يستمع للشعر، فإن كان للشاعر مبررات الارتزاق فإن الممدوح يعلم أن المدح هو هجاء وأنه شعر كاذب وجدير بالممدوح أن يرفض مثل هذا الشعر:

مَرَحٌ هَادِفٌ بِبَيْتٍ مِنَ الشِّـ ـعْرِ وَلاَ أَلْفُ مِدْحَةٍ عَصْمَاءِ
وَالْبَرِيءُ النَّقِيُ فِي كُلِّ عَصْرٍ لاَ يَرَى فِي الْمَدِيحِ غَيْرَ هِجَاءِ
وَكِبَارُ النُّفُوسِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَغْضَبُـوا لِدُعَابَةٍ بَيْضَاءِ
مَا رَوَى السَّامِعُونَ أَكْذَبَ شِعْرٍ مِثْلَ شِعْرِ الْمَدِيحِ وَالإِطْرَاءِ[3]

فالشاعر يرى أن الشعر يخاطب العقول ويرى أن قوة الشعر تنبع من قوة الصدق ؛ لأن الشعر تعبير جمالي، بلغة فنية، عن معاناة إنسانية، والشعر الذي لا تحركه المشاعر ليس شعراً وهذا ما يراه جميل صدقي الزهاوي فيقول :

---

[1] شرح ديوان الشابي :143 ، 144 .

[2] ديوان خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، 1989 م ، د , ط : 20 .

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي :68 .

إِذَا الشِّعْرُ لَمْ يُهْزِزْكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ خَلِيقاً أَنْ يُقَالَ لَهُ شِعْرَ[1]

وبتأكيد البغدادي على رفض شعر المديح ، يعرف الشعر بأنه غضب وثورة وتمرد مؤكداً على رفضه لشعر المديح، يقول :

فَالْمَدْحُ أَصْبَحَ فَنّاً تَافِهاً عَفِناً مُلَطَّخَ الحَرْفِ فِي كُلَّ الدَّوَاوِينِ
وَإِنَّـهُ يَا حُمَاةِ الأَرْضِ مُتَّصِلٌ بِالنَّصْبِ وَالغِشِّ فِي كُلِّ الأَحَايِينِ
لاَ خَيْرَ فِي الشِّعْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَجِرْ غَضَباً أَوْ كَانَ يَسْعَى لإِحْرَازِ النَّيَاشِينِ
أَوْ صَارَ يُعْرَضُ فِي الأَسْوَاقِ نَرْسُمُهُ حَسْبَ الْمَقَاسِ وَأَلْوَانِ الْفَسَاتِينِ[2]

وبذلك يلتقي مع تعريف نزار قباني للشعر، فالعصر الذي يعيش فيه نزار قباني والبغدادي عصرٌ انتكاسات العرب وتخاذل الحكام،هذا العصر فرض بواقعه رفضاً واضحاً لشعر المديح ، وباعتقادي أن عدم وجود شخصية قيادية ملهمة هي التي دفعت بالشعراء إلى رفض شعر المديح فيما ظلّت الثورة والتمرد على هذا الواقع هو الذي يلهم هؤلاء الشعراء " فالشعر الحقيقي هو الشعر الذي يرفض الركوع ويدين الذل والقهر وسيطرة الحكام ، فهو حركة فكرية تهدف باستمرار لكشف القواعد الظالمة في المجتمع والعمل على تدميرها"[3] وأي شعر يجبن عن كشف هذا الواقع هو شعر لا يحاكي هذا العصر(نملة عرجاء) ، يقول نزار قباني• في تعريفه للشعر :

---

[1] الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش : ميشال خليل جحا : 12 .

[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 376

[3] علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب : نجم الدين غالب الكيب ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1985 م ، د . ط : 21 .

• ولد في دمشق في 21 / 03 / 1923 يسمى شاعر الحب والمرأة والثورة والتمرد ، درس في دمشق الفرنسية ؛ لأنها كانت مفروضة من دولة الانتداب أما الإنجليزية فقد تعلمها أثناء عمله في السفارة السورية في لندن (1952 - 1955) ، وفي سنة 1944 صدرت مجموعته الأولى " قالت السمراء " التي أثارت موجة عارمة من السخط ، توفي سنة 1998 م ، وقد رثاه عبد المولى البغدادي بقصيدة (بكائيات على مقام العشق النّزَارِيّ) .

كُلُّ شِعْرٍ مُعَاصِرٍ لَيْسَ فِيهِ غَضَبُ العَصْرِ ، نَمْلَةٌ عَرْجَاء [1]

ويضيف :

الشِّعْرُ لَيْسَ حَمَامَاتٍ نُطَيِّرُهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَلاَ نَاياً وَرِيحَ صِبَا

لَكِنَّهُ غَضَبٌ طَالَتْ أَظَافِرَهُ مَا أَجْبَنَ الشِّعْرَ إِنْ لَمْ يَرْكَبِ الغَضَبَ [2]

فالشعر ليس حمامات ولا ناياً وريح صبا ولا خير في الشعر الذليل حول أبواب الحكام والسلاطين، فالبغدادي يؤكد دائماً على رفضه شعر المديح بوصفه تارة بالسلعة المعروضة في الأسواق وطوراً بالشعر الذليل، يقول :

لا خَيْرَ فِي الشِّعْرِ إَنْ حَطَتْ نَوَارِسُهُ ذَلِيلَه حَوْلَ أَبْوَابِ السَّلاطِينْ [3]

يمتاز شعر البغدادي بأنه يُعبّر عن أعمق الأفكار بأسلوب سهل وكلام واضح بسيط ، فالبغدادي يؤمن بدور الشعر ومسؤوليته في خدمة الإنسان وقيم حياته ، وتوجيه الإنسان إلى أهدافه الذي" يحلم بواقع أفضل يتحول فيه الإنسان إلى كائن جديد حر يستطيع أن يبني حياته وفق ما يريد، وأن يضع مستقبل وطنه وفق ما يتطلبه العصر وما تحتمه ظروف التغيرات الحضارية التي تشهدها البشرية"[4] فالبغدادي مشغول بالهم الإنساني ، بهم الإنسان في كل مكان (فهو يبكي لكل جرح ويشقى...) وأن انتصار الشعر على القيد هو انتصار لقضايا الإنسانية والسبب في تغنيه بالحرية عامـةً وحرية الشعر خاصةً هو أنها " ترتبط بكل قضايا الإنسان الأخرى ، لأنها القضية الأم والأساس ففي غياب وجه الحرية غياب لكل الحقوق الإنسانية النابعة عنه ، لأنه يمثل البداية والمنطلق والنور الذي يشع فيضيء ما عداه ويصبح موجوداً بوجوده ملموساً

---

[1] الأعمال الكاملة : نزار قباني ، الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007 ، ط 1 ، 1 : 217 .

[2] الأعمال الكاملة : نزار القباني ، ، الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،2007 ، ط 1 ، 2 : 308 .

[3] من قصيدة " حي البطولة في مهد التراهين " .

[4] حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث : فوزي البشتي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1980 ، ط 1 : 47 .

ومتحققاً بتحققه"[1] فالشعر كالكائن الحي مرهف الحس، شديد الإباء ، قاهر الظلم دون أي سلاح ، فأثر الكلمة يفوق قوة الرصاص لقوتها وعمقها في إذكاء روح الغضب والحماسة فهي" ليست رصاصة بندقية تؤثر في جسم أو مجموعة أجسام لا غير، لكنها الكلمة الشرارة المؤثرة في عقول وأفكار وأحاسيس الملايين من الكتل البشرية، لأنها الأداة الوحيدة التي تحرك الرأي العام ابتداء من جلسة البيت فالشارع حتى موقع العمل"[2] والشعر هو الذي يحمل راية الكلمة الصادقة والعبارة المتحفزة للعطاء وهو القادر على اقتحام عوالم المواجهة والتحدي كالحديد المحمى و كالمجهر القادر على الرؤيا في الظلام... يقول: (الخفيف)

هَكَذَا الشِّعْرُ كَائِنٌ مُرْهَفُ الْحِـ ... سّ وَلَكِنّهُ شَدِيدُ الْإِبَاءِ
مِجْهَرٌ فِي الدُّجَى يُرِكَ الخَفَايَا ... كَاشِفاً مَا يَدُورُ تَحْتَ الخَفَاءِ
قَاهِرُ الظُّلْمِ دُونَ أَيِّ سِلاح ... فِي يَدَيْهِ أَوْ رَايَةٍ أَوْ لِوَاءِ
(هُوَ إِنْ ثَارَ كَالحَدِيدِ المُحَمَّي) ... وَهْوَ أَيْضاً قَلَائِدٌ مِنْ سَنَاءِ
يَا نُفُوساً نَشْوَانَةً بِالأمَـان ... لَكِ فِي الشِّعْرِ صَحْوَةُ الانتشاء
فَهْوَ يَبْكِي لِكُـتلِّ جُرْحٍ وَيَشْقَى ... لِشَقَاءِ الضِّعَافِ وَالبُسَطَاءِ
لَوْ سَرَتْ فِي العُرُوقِ عَاصِفَةَ الشِّعْـ ... ـرِ كَنَارٍ تُشِعُ فِي الظَّلْمَاءِ
وَتَعَالَى النَّشِيدُ حُرّاً طَلِيقاً ... مُفْعَماً بِالشُّمُوخِ وَالكِبْرِيَاءِ
لَاخْتَفَى القَيْدُ وَاخْتَفَى حَامِلُ القَيْـ ... ـدِ وَدَبَّ الرَّجَاءُ فِي الأَرْجَاءِ
وَاسْتَفَاقَ الطُّغَاةُ فِي الغَرْبِ وَالشَّـ ... ـرْقِ وَمَاتِتْ سَفَاهَةُ السُّفَهَاءِ[3]

---

[1] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر : د . مفيد محمد قميحة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1981 م ، ط 1 : 205 .

[2] قراءات في الشعر الثوري (دراسة نقدية في الشعر العربي الليبي): د . عبد الوهاب محمد الحراري ، دار مي للطباعة والنشر ، دمشق ، 1992 م ، ط 1 : 90 .

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 68 ، 69 .

فالشعر يتغذى بالأحاسيس الصادقة التي تنبع من الأرض والوطن والشعب، والشعر يحمل الأمل للشعوب والشعر صوت الحق الذي يسخر من الموت،يقول راشد الزبير: (الكامل)

فَالشِّعْرُ إِحْسَاسٌ وَ وَقْدَةُ مُلْهَم يَخْتَالُ فِي دُنْيَا الخَيَالِ وَيُبْحِرُ
وَالشِّعْرُ آمَالُ الشُعَوبِ مُذَابَة فِي الحَرفِ يَجْلُوهَا لِمَنْ لا يَنْظُرُ
وَالشِّعْرُ صَوْتُ الحَقِّ يَهْزَأُ بِالرَّدَى يَنْصَبُّ كَالقَدَرِ الغَضُوبِ و يَهْدِرُ [1]

فالارتباط بالناس والتفاعل مع قضاياهم ومشكلاتهم يؤكد إنسانية الإنسان الحق ، وذلك " لأنّ الإنسان الذي لا يرى من الوجود إلاّ ذاته ، ولا يفكر إلاّ بنفسه وبأشيائه الخاصة ولا تهمه قضية الإنسان الآخر من قريب أو بعيد هو إنسان مجرد من الإنسانية ينظر إلى الحياة من زاوية ضيقة هي زاوية المصالح والأنانيات التي تميت الضمائر وتنتزع من الإنسان كل المعاني السامية فيه"[2] هذه النظرة الإنسانية ، وترجمة المعاني المعنوية والروحية وتجسيدها واقعياً بالكلمات والصور والموسيقى هي التي تجعل الشعر صعباً في طبيعته ، ولا يقبل العيش في الحياة السهلة ، ولا يقبل الزيف والغش فيصبح فناً تافهاً عفناً... يقول البغدادي :

وَهَكَذَا الشِّعْرُ صَعْبٌ فِي طَبِيعَتِهِ لاَ يَقْبَلُ العَيْشَ فِي يُسْرٍ وَ فِي لِينِ
لاَ يَحْمِلُ الزَّيْفَ فِي جِدٍّ وَفِي لَعِبِ إِلاَّ إِذَا سَارَ فِي رَكْبِ السَّلاَطِينِ
فَالْمَدْحُ أَصْبَحَ فَنّاً تَافِهَاً عَفنَاً مُلَطَّخَ الْحَرْفِ فِي كُلِّ الَّدوَاوِينِ•
وَإِنَّهُ يَا حُمَاةَ الأَرْضِ مُتَصِلٌ بِالنَّصْبِ وَالغِشِّ فِي كُلِّ الأَحَايِينِ[3]

---

[1] ديوان أنفاس الربيع :راشد الزبير السنوسي : 20 ، 21 .

[2] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر :د . مفيد محمد قميحة : 130 .

• هكذا وردت في الديوان : الوواوين .

لقد تحول مفهوم الشعر عند الشعراء العرب والليبيين والبغدادي منهم من كونه ضرباً من التسلية وتزجيَة الفراغ ومدح السلاطين إلى خدمة قضايا الوطن، والإنسانية عامة، وتبلور هذا المفهوم في منظومهم الشعري؛ لأن الروح المبدعة عند هؤلاء الشعراء هي روح مؤمنة بمعاني الحق، والعدل، والصدق، والسلام، والمثل العليا والخير والجمال مما جعل البعد الإنساني يحتل مكانة كبيرة لديهم، ويصبح هذا البعد الإنسانيّ رافداً وسنداً لمنظومهم الشعري، فالأديب عامة والشاعر خاصة" ليس مُصْلِحاً ولا نبياً، وإنما هو كائن فنان يستشعر دبيب الأشياء حوله بطريقة مرهفة ويرى الحياة والناس من زاويته الخاصة المليئة بالإشراقات، والتجليات، وهو شخص يرهف سمعه الباطني محققاً بذلك تواصلاً غريباً مع دفق الحياة في الخارج ليحيله بعد ذلك فناً مكتوباً يصب في المعين الإنساني كله"[1].

يقول أحمد قنابة* : (الخفيف)

حَبَّذَا الشِّعْرُ مَا تَثُورُ لَهُ النَّفْـ سُ وَيَبْقَى كَالْكَنْزِ لِلأَحْفَادِ

كُلُّ شِعْرٍ أَتَى بِدُونِ شُعُورِ لَيْسَ شِعْراً فِي شِرْعَةِ النُّقَادِ[2]

---

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 376

[1] سماء ليبيا تمتلئ بأسماء روائيين كبار : عبد الله الغزال ، جريدة الجماهيرية ، العدد 4938 ، 2006 : 21 .

* شاعر ليبي ولد سنة 1898 م بمدينة زندر في النيجر نشأ في أسرة عريقة في الحسب والنسب ينتمي أصلها إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد مولده بأربع أو خمس سنوات انتقل مع والده إلى طرابلس ،والتحق بمدرسة روما الإيطالية ونال شهادة الرابع باللغة الإيطالية ، ثم واصل دراسته في المعاهد الدينية والإسلامية ، في سنة 1920 م نشر قصائده في جريدة (اللواء الطرابلسي) ، وعمل كـ مذيع في إذاعة طرابلس حتى 1943 م ، تولى رئاسة النادي الأدبي 1945 م ، وفي سنة 1954 م عين مدير لمكتبة الأوقاف ، توفي بتاريخ 1/12/ 1968م ، ينظر الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث : د . قريرة زرقون نصر 2 / 44 . 46 .

[2] ديوان أحمد قنابة : أحمد قنابة ، تحقيق : الصيد أبو ديب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 : 166 .

ومن مفهوم البغدادي للشعر تبلور لديه تعريف للشعراء هذ التعريف يلتقي مع تعريف السياب للشاعر، فالشاعر في تصور السياب" هو ذلك الإنسان الخلاق الذي يكشف أسرار النتوءات والتشوهات القميئة التي أحدثتها القوى الظالمة محاولة الانتقاص من كمال الإبداع الإلهي للإنسانية والإنسان ، إنه أيضاً ذلك المغامر الذي ينفذ ببصره الثاقب إلى عمق العلاقات الإنسانية " [1] وتجربة الشعر الحر عنده تنبع من وعيه بالواقع الذي يعيشه ورصده لأحداثه متمسكاً بإدانته لهذا الواقع، وعدم الاستسلام له مذكراً بشاعرية العربي التي تتحدى الأهوال لأن "رسم الواقع المرير المفكك خطوة أولى تستدعي في منظومة الحرية خطوات تالية تستشرف المستقبل وتحلم به وتوسع آفاق الواقع الضيق من خلال وسائل الفن المتاحة"[2]، يقول :

والشَّاعِرُ العَرَبِيُّ إِنْ لَمْ يَرْكَبْ الأَهْوَالَ مَاتْ
يَشْتَدُّ فِـي أَثَرِ الطُغَـاةِ وَلاَ تَلِينُ لَهُ قَنَاةْ
لاَ خَيْرَ فِي شِعْرٍ تُحَرِّكُهُ المَنَاصِبُ وَالهِبَاتْ[3]

إنّ مفهوم الالتزام لا يأتي من خارج المبدع ،لكنه يعني الالتزام تجاه طبيعة الفن نفسه" فالكاتب الكبير لا يمكن أن تكون أفكاره الأخلاقية بسيطة توحَي إليه من الخارج، ولكنها تتحول في نفسه إلى عواطف حية، وتصبح عنصراً جوهرياً، لا من شخصيته فحسب ، بل من وجوده كلّه "[4]

فهو يكتب قصائد تلتزم بالقوافي وعلم العروض ، دون أن تبقى رهينة للقوالب القديمة؛ لأن الشاعر أغنى محتواها بالرؤى الشعرية الحديثة واللغة المشهدية التي تعتمد على التعبير بالصورة دون حاجة؛ لأن تعلن القطيعة مع مقومات القصيدة الخليلية،

---

[1] حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث : فوزي البشتي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس1980 م ط 1 : 15 .

[2] الكلمة والمجهر ، دراسات في نقد الشعر : د . أحمد درويش ، دار الهاني للطباعة ، 1993 م : 114 .

[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 183 .

[4] رحلة عبر الكلمات : خليفة التليسي :26 .

وعلى مدى المسيرة العامرة بالعطاء فقد عزز هذا الحضور الفاعل في ميدان التجديد وهذه الأصالة هي الحصن الذي حَمَى البغدادي من الانغلاق والتمزق الفكري، وخصوصاً بعد تفتحه واستيعابه لنماذج شعرية جيدة لعمالقة الشعر الحديث(الخفيف):

يَا امْرِأَ القَيْسِ لاَ تَقِفْ فِي طَرِيقِي فَالْغَدُ الحُرُّ لاَ يُرِيدُ السُّكُونَا
القَوَافِي غَدَتْ جَلاَمِيدَ صَخْرٍ وَبُحُورُ الْخَلِيلِ صَارَتْ سُجُونَا
وَالهُرَاءُ الْجَدِيدُ صَارَ غُثَاء نَزْدَرِيهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَزْدَرِينَا
نَحْنُ قَوْمٌ كَالشِّعْرِ إِنْ ضَاعَ ضِعْنَا بَيْنَ أَيْدِي الْعُتَاةِ وَالْعَابِثِينَا
وَإِذَا عَزَّ شَاعِرٌ عَزَّ شَعْبٌ كَامِلٌ لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَا [1]

وسلك الشاعر تجاه الشاعر خليل مطران وأبي القاسم الشابي وغيرهما إذ كتبوا الشعر الجديد مع المحافظة على شكل القصيدة العربية ، فالمتشبع من شعر التراث والمطلع على الشعر الحديث لا يستطيع أن يكون تقليدياً محضاً يحجب آثار التجديد والعصر عن شعره وينغلق على القديم إنما يحاول أن يجمع بين الأصالة والتجديد، كما يقول خليل مطران:" أريد أن يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف أنواع رقيه، أريد . كما تغير كل شيء في الدنيا . أن يتغير شعرنا ، مع بقائه شرقياً ، مع بقائه عربياً، مع بقائه مصرياً، وهذا ليس بإعجاز"[2] وكما يقول الشابي في ثورته على الأدب القديم، والتقيد به وبأطره ومواضيعه: "لقد أصبحنا نتطلب أدباً قوياً عميقاً يُناسب أذواقنا في حياتنا الحاضرة... وهذا ما لا نجده في الأدب العربي ولا نظفر به لأنه لم يُخلق لنا نحن أبناء هذه القرون، وإنما خُلق لقلوب أخرستها سكينة الموت، أمّا نحن فما زلنا بعد من أبناء الحياة، ولهذا لا ينبغي لنا أن ننظر إلى الأدب العربي كمثل أعلى ليس لنا إلا

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً :18 .

[2] خليل مطران ، باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث : د. ميشال جحا , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1981 ط 1: 85 .

احتذاؤه ومحاكاته"[1] فنظرة الشابي إلى الماضي تتمثل في اتخاذه نقطة انطلاق واجتياز إلى التفوق والنجاح، لا الوقوف عنده وعبادته مما يؤدي إلى تحجر الحياة، فهو لا يرفض القديم، ولكنه يرفض العقلية التي تريد إيقاف الناس عند حد معين ويعتبر عبادة القديم نوعاً من الشقاء:

أَنْتَ دُنْيَا ، يُظِلُّهَا أُفُق الْمَاضِي وَلَيْلُ الْكَآبَةِ الأَبَدِيُّ
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ ، وَالْكَوْنُ إِلاَّ أَمْسُهَا الْغَابِرُ ، القَدِيمُ ، القَصِّيُّ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الأَرْضِ قَلْبٌ يَوْمَهُ مَيِّتٌ ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ
أَنْتَ لاَ شَيْء فِي الوُجُودِ فَغَادِرْهُ إِلَى الْمَوْتِ فَهْوَ عَنْكَ غَنِيٌّ[2]

بهذه الرؤية الشعرية للشابي استطاع البغدادي أن يحدث توازناً مع الشعر القديم الذي أجاده حفظاً ودِرَاسة، فالبغدادي الشاعر الناقد يجمع بين أصالة القديم وطرافة الحديث ، تأثر البغدادي بالرؤية الشعرية للشابي وفي هذه الأبيات يستخدم الرموز الطبيعية للتعبير عن الرؤيا الشعرية لأبي القاسم الشابي ، شعراً وهذا يدل على النظرة الفنية والنقدية والإطلاع الواسع لمذاهب غيره من الشعراء فيقول من قصيدة (حوار مع الشابي حول إرادة الحياة): (متقارب مجزوء):

أَرَدْنَا الْحَيَاةَ كَمَا تَبْتَغِيهَا فَهَلْ يَسْتَجِيبُ إِلَيْنَا الْقَدَرْ؟
وَيَعْبَقُ فِي رَبْعِنَا مِنْ جَدِيدٍ عَبِيرُ الْحَيَاةِ كَنَفْحِ الزَّهَرْ؟
وَهَبْتَ زَوَابِعَ صَمْتٍ مُرِيعٍ تَسَّرَبَ فِي النَّفْسِ مِنْهَا الْخَطَرْ
كَأَنِّي بِهِ مِنْ مِدَادِ الدُّجَى يُسَّطِرُ أَبْيَاتَ شِعْرٍ أُخَرْ
تَجِيشُ مَطَالِعُهَا بِالعِتَابِ وَتَنْطِقُ أَعْجَازهَا بِالضَّجَرْ

[1] الخيال الشعري عند العرب ،أبو القاسم الشابي: تقديم محمد لطفي اليوسفي ،سراش للنشر 1996م تونس،ط8 :95

[2] شرح ديوان أبو القاسم الشابي : 201 .

ورُكب فِي كُلِّ حَرْفِ هِجَاءِ شَوَاظٌ يُذِيبُ الحَصَى والحَجَرْ
وَفِي كُلِّ دَفْقَةِ صَوْتَ هَدِير وَفِي كُلِّ وَمْضَةِ فِكْرٍ شَرَرْ
فَأَحْسَسْتُ دُنْيَا مِنَ النَّغَمَاتِ وَوَحْياً بَدِيعَ الرُّؤَى وَالْفِكَرْ [1]

فأبو القاسم الشابي استخدم الطريقة الرومانسية التي تلجأ إلى الرموز الطبيعية للتعبير عن الأفكار "للشاعر أبي القاسم الشابي حساسية مفرطة إزاء الاستعمار الغربي الغازي... دون أن يحدد نوعاً معيناً من الاستعمار، ويتنبأ بالزوال الحتمي للوجود الاستعماري مستخدماً رموز الطبيعة وغضبها المشتعل "[2]

أَلاَّ أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الْفَنَاءِ عَدُوَّ الْحَيَاةِ
سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دِمَاهْ
وَعِشْتَ تُدَّنِسُ سِحْرَ الْوُجُودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ الأَسَى فِي رُبَاهْ
رُوَيْدَكَ، لاَ يَخْدَعَنَّكَ الرَّبِيعْ وَصَحْوَ الفَضَاءِ وَضَوْءَ القَمَرْ
فَفِي الأُفْقِ الرَّحْبِ هَوْلَ الظَّلاَمِ وَقَصْفَ الرُّعُودِ وَعَصْفَ الرِّيَاحِ
وَلاَ تَهْزَأَنَّ بِنَوْحِ الضَّعِيفْ فَمَنْ يَبْذُرْ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحْ
سَيَجْرِفُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِفُ الْمُشْتَعِلْ [3]

وبنفس الطريقة الرومانسية في استخدام الرموز الطبيعية يعبر البغدادي عن أفكاره المتمثلة في حساسيته المفرطة تجاه الواقع العربي من صمتٍ مطبق حول القضية الفلسطينية واستكانة الحكام والشعوب لمهزلة السلام مع التنبؤ بقدرة الشعوب على التغيير مستخدماً رموز الطبيعة وتقلباتها غير المتوقعة.

وللقدس في كل يوم دموع فعاقرها القدس حتى سكر
عروبتنا عرضها مستباح تروق لمن بالرقيق اتجر

---

[1] ديوان على جناح نورس :142 .

[2] تطور الشعر العربي الحديث (الدوافع ، المضامين ،الفن) : د. شلتاع عبود شراد : 184 .

[3] شرح ديوان أبو القاسم الشابي : 457

فكم في القمامة من توصيات تداعت ولم ينتشلها الحذر

وكم قمة بعثرتها الرياح فألقت على صانعيها الكدر

....

ولم تنفلت بعد من غمدها ولم تتمرد ولم تنفجر

ولم تتحسس نزيف الجراح يحركه قيدها المنصهر[1]

ويمكن القول إنّ اكتمال أداة الوضوح عند البغدادي وانصياع الملكة الفنية وصدق تلقيها وارتباط مضمونها بالتجربة المعاشة هي العامل الذي أسهم بشكل واضح في عدم تمزق الشاعر بين القديم والحديث "إنّ نجاح الشاعر في توصيل تجربته ليست لفرادتها فقط بل أيضاً لصدقها، وهذه مهمة يضطلع بها الفن والأدب عموماً، إنّ التوصيل هو الجسر الذي يربط الشاعر بالناس، ومن خلال إبداع الشاعر وفهمه لهذا الهدف يتألق إبداعه بما يعطيه إمكانية التجدر والديمومة "[2]

ومفهوم الشعر عند عبد المولى هو من أهم العوامل التي ساعدت الشاعر على تلمّس هذه الطريق، أي : نظم الشعر دون الوقوع في محاذير تقليد القدماء أو محاذير التجديد من : ضعف التجربة الذاتية، والتقريرية ، حيث يؤكد الشاعر على انحياز الشعر لقضية الإنسان، وبعثه الأمل بمستقبل أفضل على الرغم من إحباطات الواقع المعيشي، وإن ظلّ مشدوداً إلى أخْيلة الشعراء الجاهليين ورؤاهم في عصر وصل فيه الإنسان إلى الفضاء، فيقول: (الخفيف) :

جاهلي الخيال أعرض شعراً جاهلياً بسوق عصر الفضاء

قدري أن أظلّ رغم انتمائي لك يا شعر متعبا بانتمائي [3]

ويضيف :

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 143 .

[2] الفصول الأربعة : 60 .

[3] ديوان على جناح نورس :عبد المولى البغدادي : 66 .

يعربيون والهوى جاهلي منذ كنا ولم نزل في ابتلاء [1]

[1] نفسه :67 .

المبحث الثاني : العروبة في شعر عبد المولى البغدادي

العروبة والوطن في شعر عبد المولى البغدادي :

البغدادي صاحب رسالة فلم يكن منفصلاً عن إنسانيته أولاً وقضايا أمته ثانياً بالحديث عن ذاته ، واتخاذه موقفا سلبياً " إنّ الكاتب في الوقت نفسه صاحب رسالة رفيعة يجب أن يضطلع بها وهي السمو بالإنسانية"[1] ولكنه كما الإنسان العربي في كل مكان كان يشعر بعد " ضياع فلسطين وطرد شعبها من دياره وممتلكاته بقوة الضربة التي قضت على أهم شيء يمثل إنسانيته، ألا وهو عنصر الكرامة والشرف والعز الذي داسته الأقدام الهمجية عندما مرّغت في التراب تاريخ أمتنا المشرق والحافل بالنصر

[1] رحلة عبر الكلمات : خليفة التليسي :46 .

والنضال والدفاع عن الحق والإنسان"[1] وكانت قضية فلسطين هاجسا يؤرقه، كما تؤرق كثيرين من معاصريه من شعراء الأرض المحتلة وشعراء الأقطار العربية والشعراء الليبيين، فعلي الرقيعي• خاطب فلسطين الأبية الشامخة الصامدة في وجه الاحتلال وهو يقْسِمْ لها بالعرب وبالقدس بأنه سيثأر لها بعد أن حطم قيده فصار عهداً عليه وعلى العرب أن يعيدوا فلسطين إليهم :

يا فلسطين الإباء السمح يا أرض جدودي
ها أنا حطمتُ أغلالي وقطعتُ قيودي
كافرٌ بالسوطِ بالجلادِ بالعيشِ البليدِ
باعثٌ إماضةَ الفجرِ على ليلِ العبيدِ
.....
قَسَمٌ بالعُرْبِ بالقدسِ بنجوى أَلَمِي
بالفِدَاء بالثأرِ وقفٌ لِفلسطين دَمِي [2]

والبغدادي كان واحداً من الشعراء الذين تناولوا قضية فلسطين بالعديد من القصائد• وهو يستخدم أسلوب النداء ذاته (يا فلسطين) ولكن بمعنى مختلف وكأنه يطلب الاستغاثة من فلسطين التي جسدت ملاحم البطولة بأطفال الحجارة بأن تمنح شعوبنا العربية شيئاً من الشجاعة لنسير معاً في معركة التحرر ضد الاحتلال والاستبداد وهو يختلف تماماً عن معنى (يا فلسطين) في قصيدة (موكب الفداء) لعلي الرقيعي ، حيث أراد الشاعر أن

---

[1] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر : د.مفيد قميحة :205 .

• شاعر ليبي ولد بالظهرة في مدينة طرابلس 1934 م ،نشأ في أسرة فقيرة وظروف الاحتلال الإيطالي ، هاجرت أسرته إلى فلسطين ، توفي أبوه وعمره 14 سنة مما اضطره لتحمل المسئولية مبكراً ، فكان عصامياً في حياته وتنقل بين العديد من الوظائف للحصول على لقمة العيش ، توفي في حادث سيارة 23 | 11 | 1966 ، وهو في ريعان شبابه ولم يتجاوز 32 سنة . ينظر ترجمته في معجم الشعراء الليبيين 1| 340

[2] ديوان الحنين الضامئ ،علي الرقيعي : تقديم خليفة التليسي ، وكامل حسن المقهور ، الشركة العامة للنشر والتوزيع 1979 م ، طرابلس ط1 : 175 ، 176 .

• من القصائد التي تناولت القضية الفلسطنية : أطفالاً ورجالاً ، تعزية حرّى إلى أنصار بيريز العرب ، رسللة شعر إلى أمين جامعة الدول العربية ،شكراً مندوبة أمريكا ،راشيل يا شهيدة السلام وغيرها

يعلن لفلسطين أنه فداءُ لها وأن العرب مصممون على تحريرها وفي تقديري أن اختلاف معنى (يا فلسطين) بين البغدادي والرقيعي يرجع إلى الفترة الزمنية♦ وتطور الأحداث التاريخية فلم يكن في زمن الرقيعي المتوفى سنة 1966 م تطبيع أو مناداة لسلام في صورة استسلام ولم تظهر بعد ثورة الحجارة ومع معرفتي بمعاصرة الرقيعي لفترة الاحتلال الإيطالي والتخلص منه ندرك تماماً تلك الروح الثائرة التي تؤمن بقدرتها على كسر قيود فلسطين بعد أن كسرت قيدها، أما زمن البغدادي فهو زمن الانكسارات من شعوب مكبلة بقيود فكرية وأيديولوجية تسعى لتزييف الواقع من قلب للمسميات ليصبح الوطن العربي شرق أوسط للاعتراف بإسرائيل والمقاومة إرهاب والعبودية طاعة ولي الأمر والتطبيع سلام...

يا فلسطين النبوة
زلزلي الأرض التي تحتك إن صارت عدوة
فجري الأرض بجيل غاضب أقوى فتوة
إنه الجيل الذي يكبرنا عزما وقوة
إنه الجيل الذي يثأر منا ولنا نحن العرب
إنه الجيل يسقط حكام العرب[1]

فالبغدادي يخاطب فلسطين مهد الأنبياء والرسل وهو يوجه خطابه للأرض وكأنه يئس من الشعوب العربية بأن تنشق وتبتلع الأعداء والأشقاء المتخاذلين وتخرج جيلاً كبيراً بقوته وعزمه جيلٌ يثأر من خوفنا وهواننا وينتصر لآمالنا وأحلامنا وأن يسقط حكامنا ، فالشاعر يئس من جيله ومن العرب بأن يحرروا فلسطين بعد أن هرول الحكام إلى التطبيع ورضخت الشعوب للطغيان والاستعباد:

♦ (يا فلسطين الإباء) من ديوان الحنين الضامئ الصادر 1954 ، (يا فلسطين النبوة) من ديوان على جناح نورس الصادر 1998 ، معاهدة (كامب ديفد)بين مصر وإسرائيل 1977 وتلتها فيما بعد العديد من المفاوضات والمعاهدات بين الحكام العرب وإسرائيل ،ثوة الحجارة 1989 .

[1] ديوان على جناح نورس : 151 .

أرجالٌ نحن حقاً أم تماثيلٌ هزيلة
أذنابٌ نحن أم أشباهُ جرذانٍ قتيلة
من تُرى نحن لنحيا تحت أقدام ثقيلة
نعبد الشيخ الذي يملك قطعان القبيلة
دون إدراكٍ ووعـي يا عرب
.....
جَرْجَرُوا قادتنا للصلح قلنا فلنصالح
كلنا جاء يصافح ويعانق ويسامح
وتسابقنا إلى القدس وأنشدنا مدائح
كم شفيعٍ و رسولٍ بالهوى غادٍ ورائح
وتصالحنا وأصلحنا الملاهي" والمسابح "
فإذا بالصلح غارات وقصف ومذابح
إنـه صلـح الأفاعـي!
والأفاعـي لا تصالـح[1]

وإن يئس البغدادي من الشعوب العربية فآماله ظلت معقودة على جيل الحجارة الذي سيحرر فلسطين من الغزاة الغاصبين ويحرر الشعوب العربية من الطغاة المستبدين؛ لأنّ هذا الجيل وحده صدق ونطق وامتنع وبهذه القيم ارتفع ليكسر قيدنا وقيده :

غير أنَّا يا تلاميذ الحجارة :
قد كذبنـا وصدقتـم
وسكتنـا ونطقتـم
ورضخنـا وامتنعتـم
فهبطنـا وارتفعتـم
هكـذا نحـن وأنتـم

[1] ديوان على جناح نورس : 154 .

فتعالـوا يا تلاميذ الحجـارة
نحـرق الظلم الذي يحرقنا نحن وأنتم
ننشد الفجر الذي يجمعنـا نحن وأنتم
نكسر القيد الذي يرهبنا نحن وأنتم
أيْ نعـم نحـن وأنتم
أيْ نعم نحـن وأنتـم[1]

ويظل رافد العروبة في شعره حاضراً، فلا ينسى العراق، واليمن، ولبنان، ومصر فيقول في اليمن: (مجزوء الكامل)

يا من يغـار على اليمن ويذود عن شرف اليمـن
تلك الجـراح الداميا تُ الدافقـات جراح من؟
تلك الخنـاجر والسيو فُ المشهرات بوجه مـن؟
وشَرَعت تهدم بيت من؟ وبأرض من ؟ ولأجل مـن؟ [2]

ويقول في لبنان قصيدة عنْونَها بـ (جراحات لبنان) دلالة على قمة الألم الذي أصابه بسبب تفرق الأخوة واقتتالهم ، يقول من الخفيف :

صرح لبنان قد تهدم باسمي لا تدينوا بهدمه أيَّ خصم
أنا حطمـته ولم أك أدري أنَّ أنقاضه دمائي ولحمي
سكنت ثورتي ومات شعوري وانتهت قصتي نهاية شؤم[3]

[1] ديوان على جناح نورس :155 .
[2] ديوان على جناح نورس : 101 .
[3] ديوان على جناح نورس : 85 .

فالحس العربي عند البغدادي يبدو طاغياً في أكثر قصائده، إنه مهموم بقضايا أمته العربية، والهم العربي حاضرٌ عنده، فهو ليس هاجساً سياسياً فحسب بل إن العروبة شملت اللغة العربية التي يتهددها الخطر، فيقول من البسيط :

لساننا العربي اليوم في خطر نام الرقيب فلا (عطف ولا بدل

الرفع والجر مرهون بقائله يفتي كما شاء لا عيب ولا خجل

حروف جر بمن فيها معطلة والعنكبوت عليها حارس ثمل [1]

وكما يقول خليل مطران في عتب اللغة العربية على أهلها: (الوافر)

سمعت بأذن قلبي صوت عتبٍ له رقراق دمع مستهل

تقول لأهلها الفصحى : أعدلٌ بربكم اغترابي بين أهلي؟

....

إذا ما القوم باللغة استخفوا فضاعت، ما مصير القوم ؟ قل لي[2]

وبالنظر إلى من تقدموه أمثال شوقي والزهاوي والمهدوي والشارف تأثر بثورتهم على التخلف والهوان في بلدانهم، ولم يكن أحد من هؤلاء إلاّ إنساناً في تفكيره ورسالته وقد استوحى البغدادي روح الوطن والأمة دون تعنت أو تكلف ومثل في شعره إنسانية الإنسان في دول العالم الثالث ومحنته وآلامه، وآماله وبساطته وقلة حيلته... فيقول : (البسيط)

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ أَفْعَالْ أُمَّتِنَا تَغُوصُ فِي الْقَاعِ كَيْ تَرْقَى إِلَى الْجَبَلِ[3]

---

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 30 .

[2] خليل مطران ، باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث : د. ميشال جحا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1981 ط 1 :168 .

[3] مولاي عبدك بين اليأس والأمل : عبد المولى البغدادي : 21 .

فالشاعر مؤمن إيمانا عميقا بتراث أمته العربية ،وانتبه إلى ما فيه من جوانب فنية باقية خالدة تعبر عن بصدق عن سمات الشخصية العربية في بُعْدَيْها القومي والإنساني، ولذلك تزوّد الشاعر بزاد الثقافة من الإبداع التراثي وإتقان الصياغة اللغوية فتكاملت له عناصر الإحساس مع عناصر الإدراك، فالإحساس يلمس من خلال جمال اللفظ وسبك الصياغة، أمّا الإدراك فهو يلمس من خلال تفاعل الشاعر مع الأحداث في العالم... شاعرٌ أراد أن يحي قيماً أصيلة في عالم متدهور عالم لكثرة أحداثه، وسرعتها، وغرابتها، وفلسفتها، وسخريتها، وقسوتها، وبشاعتها، وبفهمها وتفهمها، وعدم القدرة على استيعابها لا يعرف المرء كيف يبدأ ومن أين يبدأ في هذا العالم الذي امتلأ بالكثير من الضحايا ضحايا الوهم ليصبح القتيل شهيداً والشهيد قتيلاً ، فيقول :

مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ وَالأَجْوَاءُ مُنْذِرَةٌ بِعَاصِفٍ كُلُّ هَوْلٍ فِيهِ مُحْتَمَلُ
وَكَيْفَ أَبْدَأُ وَالعُنْوَانُ مَهْزَلَةً فِي مَسْرَحٍ عَرَبِي كُلّهُ هَزَلُ
الْعَالَمُ الْيَوْمَ أَحْدَاثٌ مُرَوّعَةٌ مَلأى بِمَنْ قُتِلُوا غَدْراً أَوْ اعْتِقُلُوا
مُسَيَّسٌ بِرُؤُوسٍ لا عُقُولَ لَهَا والكلُّ مُرْتَعِبٌ مِنْ بَطْشِهَا وَجِلُ
ويسألون ، وأين العيدُ يا زمناً في فجره تذبح الأعياد والعطل
أفي فلسطين؟ ماذا عن قضيتها تحارب الإخوة الأحباب واقتتلوا
ويهدم الحرم القدسي بينهم والغرب يسخر ،والحاخام يحتفل
أم في قيادات لبنان وقد بدأت دسائس الغدر بعد النصر تشتعل
أم في العراق المسجي في مذابحه وعرضه بالدماء الحمر يغتسل [1]

فهو يطل على الأحداث من أفق إنساني واسع مستوحياً الأفكار الإنسانية الخالدة التي تتجاوز الحادثة لتعيش في وجدان الإنسان ، وبرأي لو كتب الشاعر قصيدته هذا العام لقال أفي مصر؟؟ أفي اليمن؟؟ أفي سوريا ؟؟ أفي ليبيا ؟؟ فالحس الوطني عند البغدادي يبدو طاغياً في أكثر قصائده، إنه مهموم بقضايا وطنه، وحتى في قصائده الوجدانية نلمح صورة الوطن الذي يقف بينه وبين المرأة ، فالوطن هو العشق الخطير

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 32 ،33 .

الذي يميت ويفني وهو الهوى الذي هزه منذ نعومة أظفاره هذا الوطن هو كل دنياه .. ففي قسم الوجدانيات في قصيدة وجه بلا قناع ، يقول في ليبياه :(الخفيف)

أنا يا " ليبياي" لم أتغير في ولائي وإن تغير لوني
أنا يا "ليبياي" لم أتحول عنك إلا إليك حضناً بحضن
أنت دنياي لذة وعذابا منذ هزَّ الهوى براعم غصني
أنت يا "ليبياي" عشق خطير ومن العشق ما يميت و يفني
أججي النار في العروق حريقاً لقصاص يزيح ثأري عنِّي[1]

ليبيا التي أحبها الرقيعي ووصفها بـ "الكلمة العذبة التي سَكبْتُ عليها قيثارة خاطري أروع لحن رقصت له جوارحي مشبوبة في مطارح أعماقي متوهجة في دروب كياني موغلة بين حنايا أعطافي ثمّ سَرت في دمي وأشعرتني دبيب النشوة المتموجة في منعرجات روحي"[2] وليبيا التي أوقف عليها التلّيسي حبه في كرمها وشحها، في خصبها وجدبها ،في فرحها وحزنها في ألمها وأملها ،هذا العشق الصوفي تجاه أوطاننا هو الذي يمتلك وجداننا فنظل نعشقه على علاته وامتحاناته، (الكامل):

وقف عليها الحب شدت قيدنا أم أطلقت للكون فينا مشاعرا
وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ سَاقِطَ نَخْلُهَا رُطَباً جَنِيّاً أَمْ حَشِيفاً ضَامِراً
وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ أَمْطَرَ غَيْمُهَا أَمْ شَحَّ؟ أَوْ نَسِيَتْ مُحِبَّاً ذَاكِراً
وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ كُرْمَى عَيْنَهَا تَحْلُو مُنَازَلَةُ الخُطُوبْ حَوَاسِرَا
وَقْفٌ عَلَيْهَا الحُبُّ تَنْظِمُ عِقْدَنَا رَكْباً تَوَحَّدَ خُطْوَةً وَ خَوَاطِرَا
تَفْدِي العُيُونُ جَبِينَهَا وَلَوْ أَنَّهَا تُبْدِي لَنَا دَلاًّ وَطَبْعاً نَافِرَا
تُشْقِي النُّفُوسَ بِحبُّهَا ، وَعَزِيزَةٌ تِلْكَ التِي تُشْقِي وَ تَحْجُبُ سَاحِرَا[3]

---

[1] النورس والعاصفة : قدم د. محمد مسعود جبران : 203 .

[2] أشواق صغيرة، لعلي الرقيعي: تقديم سليمان كشلاف، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1978 م ، ط 2 : 99

[3] التلّيسي موسوعة وريادة ،كتاب توثيقي يرصد فعاليات الندوة التي نظمت بمدينة بنغازي في 21 ،22 /12 /2002 منشورات تنمية الإبداع الثقافي . ليبيا ،2004 ، ط 1 :81 .

ويضيف التليسي في قصيدته قدر المواهب : (الكامل)

وطن رضعنا حبه فأثابنا عن حبنا ألماً وهماً واصباَ
سنظلُّ نعشقه على علاته ونضيء فيه مجاهلاً وغياهبا
ونظل نبدعه قصيداً رائعاً يغني جوانحه و فكراً صائباً [1]

وإن وقف التلّيسي على ليبيا الحب فإنّ البغدادي جعلها وحدها الحبيبة ولها وحدها يغني ، ويبدع القصائد في عشقها ويفرد لها في ديوانه مجموعة من القصائد حملت عنوان "أغنيات إلى ليبيا ؛ لأنها وحدها الحبيبة ولها وحدها أغني " فمن خلال قصيدة الإحساس بالفجيعة من خلال محنة الغربة ينساب إلينا إحساس الفجيعة بأعداد الضحايا وبحجم الدمار الذي تعرضت له ليبيا هذا العام• لنصبح مقسومين بين عمي عن الصواب وعور وكلنا يرفع شعارات المحبة والولاء والوطنية والكل يصبح مخترعاً وفقيها ومفتياً وشيخا ؛ لأن قوت الشعوب مُسيَّس ودين الشعوب مُسيَّس وفكر الشعوب مُسيّس ولكنّ قدر الشعوب غير مُسيّس ، فالعدو الجديد قديم بشكل منتحل مكرر مشوه ، فيصبح الباغي الغادر مغدوراً بعد أن ظَلت الشعوب ردحاً من الزمن تصرخ ولا يسمع صراخها واليوم يسمع أنينها لتصبح الحماية بحجم الرعب والدمار أم هم الضحايا عِبرة للمجير والمستجار أم هي رياح التغيير التي قد تدُس السم في العسل ؟ أو تهيل الرمال في كل نبع عذب المذاق حلو الخرير؟ فيقول: (الخفيف)

وطني تستفزه ألف عينٍ بين عمْيٍ عن الصواب وعور
ترفع الحب والولاء شعاراً بينما الحقد موغل في الصدور
حبليات يلدن في كلِّ يوم حمما من جحيمها المصهور
بعضها متغلغل في حمانا عبر أنفاسنا وعبر النحور
بينما بعضها قد أطل علينا من فجاج بعيدة وثغور

---

[1] المرجع نفسه : 86 .

• عام 2011 م .

....

والضحايا من قومنا وذوينا عبرٌ للمجير والمستجير

فالعدوُّ الجديد يبدو قديماً في انحال مشوهٍ مكرور

وتضيع الشعوب في درب باغ غادر ينتهي إلى مدور

مجرمات هي الرياح اللواتي تنفث السم في أريج الزهور

وتهيل الرمال في كلِّ نبعٍ كان عذب المذاق حلو الخرير

يا حماة السلام أي سلام في حمى الرعب والدمار الكبير[1]

ولكنه الوطن نموت ليحيا؛ لأنه الحلم، والبهجة، والسرور، والنبض، والنشوة، والارتقاب، والحبور، والشذى، والعبير، والضياء، ووحي الشعر، الذي امتلك الوجدان لتتجلى لغة شاعرية سلسة جميلة توصد باب الصنعة المتآكل وتنسكب فيها العفوية والبساطة كمثال على الحب الصادق الذي يعلن عن نفسه، فيقول : (الخفيف)

وَطَنِي وَطَنِي أَمُوتُ لِيَحْيَا فَهْوَ حُلْمِي وَبَهْجَتِي وَسُرُورِي

وَهْوَ قِيثَارَتِي وَنَبْضِي وَكَأْسِي وَارْتِقَابِي وَنَشْوَتِي وَحُبُورِي

عَلَّمَتْنِي أَنْفَاسُهُ كَيْفَ أَنْسَى مَا عَدَاهُ مِنَ الشَّذَى وَ الْعَبِيرِ

أَلْفُ لَبَّيْكَ يَا خَمِيرَةَ حُبِّي وَاخْتِلاَجِ الضِّيَاءِ فِي دَيْجُورِي

أَلْفُ لَبَّيْكَ يَا سِرَاجَ حَيَاتِي وَانْبثَاقَ الخَيَالِ عَبْرَ سُطُورِي [2]

ولكن عين الصواب هي التي تفرق بين الأوطان والدول والحكام والشعوب ولا تفرق بين الاستبداد والاستعمار، وإن كانت هذه العين تنحاز إلى الشعوب على حساب الدول، فإنها لا تنحاز للاستعمار على حساب الاستبداد، بل تستنهض الهمم وتخاطب العقول وتدعو الشعوب للتحرر والانتقام من الطغاة وعدم الاستسلام لوهم الغزاة فوَهْمٌ حرياتهم كذب والتخلف يكمن في الخضوع لهم، حتى لو قالوا لنا أنهم رسل، أما الحكام الذين

[1] ديوان على جناح نورس : 173 ، 175 .

[2] المرجع نفسه 173 ، 174 .

استخدموا شعوبهم كما تستخدم الإبل سيعلمون أن هذه الشعوب قليلة ولكنها تكثر إن دعيت للنفير:

قِلَّةٌ نَحْنُ غَيْرَ أَنَّا كَثِيرٌ حِينَ تُدْعَى جُمُوعُنَا لِلنَّفِيرِ [1]

فالبغدادي لا يفرق بين المحتل والمستبد وهو يؤمن بقوة الشعوب وقدرتها على الحياة رافده في ذلك روح التمرد والثورة ودافع الحياة ، فالشاعر يُلح على هذه الفكرة، وهذا الإلحاح على هذه الفكرة وإعادتها في صور مختلفة وبطرق متباينة، تحمل القارئ على متابعتها ،وتثير في ذهنه التفكير فيها ، وذلك لأنه يراوح في عرضها بين أساليب الخبر والإنشاء ، التي تصور عاطفته ، وتبرز مشاعره:

رغم أنف الغاصب المحتل في أرض الفرات

رغم أنف الحاكم المأجور في ذيل الغزاة

فالعراق الحر يستنجد بالموت لإحراز الحياة [2]

فمن الذي يستنجد بالموت لإحراز الحياة ؟ إنها الشعوب التي تعيش رغم قيود القهر والتضليل والدَّجل وستنهض من نومها لتطيح بالطغاة والغزاة مستمدة قوة من الله بشرط أن تتكل عليه ثم على العلم والعمل ، يقول: (البسيط)

أم في المصاب الذي اهتزت لمقتله مقاتل ،إن عدوى القتل تنتقل

أم في الخلاف الذي صرنا به دولا بلا شعوب ، ألا : فلتسقط الدول

ما كان صدام إلا رمز دولته مثل الذين تولوها و سوف يلو

لكنه أمر أمريكا ينفـذه مقدّسوها جهارا بئس ما فعلوا

كم أوهمونا بحرياتهم كذبا حتى كفرنا بما قالوا وما عملوا

ليس التخلف إلا في الخضوع لهم حتى ولو أوهمونا أنهم رسل [3]

---

[1] ديوان على جناح نورس :174 .

[2] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 12 .

زرعنا روضها أملاً : 33 .

فالشاعر يدين سلبيات الأمة بتصويره للهزيمة في حاضرها الراهن ويحمل الأمة من القمة إلى القاعدة بدون استثناء ما يحدث ، هذه الأمة التي ليس لها إلاّ الكلام ، أمّا الأعداء فلهم الفعل المتمثل في القتل كما يقول علي الفزاني• :

فَالطُّغَـاةُ الغَاصِبُونْ
يَصْنَعُونَ المَوْتَ صُنْعاً يَصْنَعُونْ
أَفَنَدْرِي مَا يَصْنَعُونْ [1]

فالموت صناعة ...يصنعها التفرق والتشتت والخلاف فهل ندري ماذا يصنع الطغاة المستبدون والغزاة المستبدون، يقول الشاعر: (البسيط)

قد فرَّقونا على أوطاننا ملا حتى تناحرت الأحزاب والملل:
الدين أصبح أديانا مشتتة والكل مخترع فِقها ومنتحل
ضحى بنا يوم عيد النحر في سفه قزم تجسد في أثوابه (هبل)
يرغي ويزبد مزهوا بسطوته كأنما في يديه الرزق والأجل[2]

فالعالم تحكمه علاقات غير إنسانية ، فالقيم الأصيلة تتعرض للطرد ، لتنمو بدلاً منها قيم زائفة غير أنّ رغبة الحياة والإيمان بقدرة الشعوب على التغيير هي التي تدفع الشخصية للوقوف في وجه هذه البيئة الخرافية (البسيط) :

• هو علي عبد السلام الفزاني ولد في 1936|2|27 بصرمان ، وحفظ القرآن في الثامنة عشرة بمسجد سيدي زكريا بصرمان ،انتقل إلى بنغازي وحصل على دبلوم التمريض عام 1953 ، ثم الإجازة العليا في التوعية الصحية بجامعة الإسكندرية عام 1971 ، واشتغل ممرضاً ومساعد صيدلي ، نشر نتاجه الأدبي بعدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية : الرقيب ، والحقيقة ، وتشرين السورية ، و الأسبوع الأردنية ، ومجلة شعر القاهرية ، والمعرفة السورية ، تقلد العديد من الوظائف الثقافية ، والإعلامية ، أعد مجموعة من البرامج الإذاعية منها : (أبعاد أدبية) و(الأبعاد الأخرى) و(كتاب اليوم) و(قراءات في الشعر العالمي المعاصر) و(الصحة والمجتمع) ، توفي رحمه الله تعالى في 2000|9|26 ، من دواوينه : رحلة الضياع ، أسفار الحزن المضيئة ، الموت فوق المئذنة ، الطوفان آت ، أرقص حافياً ، الأعمال الكاملة عام 1975 ، ينظر معجم الشعراء الليبيين ج|1 : 465 ،466 .

[1] ألف ليلة وليلة :علي الفزاني ، بيروت منشورات مكتبة الحياة ، د ت 4 / 447 .

[2] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 33 ، 34 .

وما تدخل أمريكا بقوتها إلاّ كما قاله أسلافنا الأول
(كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل)*
بغداد ، لا بد من يوم يحررها مهما استبدت وعاتت تلكم الشلل
إن الذين تولوا أمر أمتهم واستخدموها كما تستخدم الإبل
سيعلمون غدا أن الشعوب لها من قوة الله عزم ليس ينخذل
تحيا الشعوب ولو كانت مكبلة يغتالها القهر والتضليل والدجل
لم يبق من كل ما كنا نؤمله إلا الجماهير، فليهتف بها الأمل
تحرري يا شعوب الأرض وانتقمي من الطغاة فأنت المنقد البطل
ولنجعل العيد عهدا بيننا شرفا أن على العلم . بعد الله . نتكل
ولنزرع الحب أزهارا تعانقنا ويشرق الأمل البسام والغزل
عاشت منابرنا الشمَّاء منطلقا أساسه العلم والإيمان والعمل[1]

بهذه الكلمات يتضح اتساع الأفق عند البغدادي وأنه ينظر إلى صورة الأحداث من الخارج ليرى بوضوح كل محتويات الصورة فيتلمس الحقيقة تلمساً، ويلمس هنا تأثير البيئة الدينية في تحري الدقة والانحياز للحق، وأن مقياس العدالة يجب أن يعُمَّ الجميع لقوله تعالى : ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[2] وأنّ عقيدة الإيمان هي التي تجعل من الأهوال شيء يحتمل "فبشيءٍ من الإدراك لحقائق النفس والحياة، وبنور من الإيمان النابع عن عقيدة ، وبصيرة لا تخدعها الظواهر يتحول الخوف إلى اطمئنان والقلق إلى ثبات عندئذٍ يكتسب الإنسان نوعاً من الحصانة تجعله يتقبل كل أحداث الزمن ومفاجآت القدر بقلب مطمئن ونفس راضية"[3] وأنّ أصحاب العقائد السليمة

---

* هذا البيت مقتبس من قصيدة للأعشى مطلعها :
ودع هريرة إنَّ الركب مرتحلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

[1] خمسون عاما زرعنا روضها أملا : 33 ،34 .

[2] المائدة : الآية : 8 .

[3] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث :د. محمد زكي العشماوي ،دار المعرفة الجامعية ، 1992 : 206 .

لا يتخذون دينهم مطية يفتون ويخترعون على المنابر يُسَيِّسُونَ فكر الناس ؛ لأنهم وإن نجحوا في ذلك بهذا الظلم والفساد (الخفيف):

إِنَّ سُوقَ الْكَلامِ فِي الشَّرْقِ أَضْحَى يَعْدِلُ الظُّلْمَ وَالفَسَادَ انْتِشَارَا[1]

فسوف تكون المحصلة إن كانوا يعلمون أو لا يعلمون المزيد من التفرق والكثير من الضحايا وإن كان حري بهذه الكلمة أن تقتص لهم لا أن تزيد أعدادهم.

يغضب الشعر حين يسبقه السيـ ـف إلى الاقتصاص للأبرياء[2]

فالشاعر يملك طاقة من الإخلاص للوطن والبيئة الثقافية والدينية التي ترعرع فيها، والولاء لشعبه وأمته، والإحساس العميق برسالة الشعر في الحياة، تجاه الإنسانية جمعاء، دون أن ينتظر المقابل غير راحة الضمير، وهو لا يملك إلا أن يمنح ويعطي بسخاء وأرْيَحية وهذا ما نلحظه في أشعاره "وبهذه القدرة على الكشف والتشخيص كان الشعراء يوصلون صوتهم إلى الأمة،لأنّ السذاجة والجهل قد يخفيان أهداف المستعمر وربما يعرضانه بصورة المنقذ أو المحرر الذي جاء لينقل أهل الشرق إلى أجواء الحضارة و التقدم"[3] . فالقدرة على الكشف والتشخيص لدى الشاعر وعدم الانجرار وراء السذاجة والجهل ساعدت بشكل كبير في إيصال صوته مدعومةً بقوة الإرادة وصلابة العزيمة ، ويتجلى في تحية الوالد العاتب بأن الصلح و الصفح والعفو ليبي وأن الرفق بالمغلوب تعلي قيمة الغالب .....

يقول :

هنا ليبيا هنا وطني هنا سري هنا علني

هنا عرشي ومملكتي هنا الأشواق تغمرُني

هنا الصوت العذب الحنون في قلبي وفي أذني

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 350 .

[2] النورس والعاصفة : 69 .

[3] تطور الشعر العربي الحديث (الدوافع . المضامين . الفن): د. شلتاع عبود شراد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع 1998 م ، ط1 :68 .

هنا الرُّوح التي عادت كما كانت إلى البدن
وليس لدي تمجيد عد الله سوى وطني
.....
هنا الشرف البطولي وسوف يسجل التاريخ
أنَّ الصُّلح أَنَّ الصَّفْحَ أَنَّ العفو ليبي
أبعد النصر والتحرير تصرعنا صراعات ؟؟
تفرقنا الإشاعات وتجمعنا الهتافات
ونقفز فوق من فقدوا ومن جرحوا ومن ماتوا
فهاتوا عهدكم للصلح يا أحرارنا هاتوا
فإن بطولة الأبطال تنسفها الحماقات
وتعليها وتبقيها وتحييها الشهامات
بني وطني أناشدكم مناشدة المحبينا
.....
بني وطني أحييكم تحية والد عاتب
لماذا لم يعد للحب في أعماقنا جانب
لماذا ينهش الحاضر منا ذمة الغائب
لماذا نرقب الفجر بوجه عابس غاضب
أما ندرك أن البغض صاحبه بلا صاحب
وأن تسامح الأخوة أمر لازم واجب
وأن الرفق بالمغلوب يعلي قيمة الغالب
لماذا يا بني وطني يكفر بعضنا بعضاً
وينكر بعضنا بعضاً ويلعن بعضنا بعضاً
ولم يرحم لنا التجريح لا أرضاً ولا عرضاَ
ولم نحفل بمن يغضب منا وبمن يرضى

فصار لقاؤنا صمتا وصار حديثنا رفضا
وأصبح قربنا بعدا وأصبح حبنا بغضا
كأن الله لم يخلق سوانا يعرف الفرضا
وأن القائلين بما يخالفنا هم المرضى !!
وندرك أن فرض الرأي لا يعني سوى الفوضى
كحد السيف أو أمضى فماذا لو تحاورنا
حوار الحب والود ولا رفض ولا صد
ودأب العقل في العقل ودأب الجهد في الجهد
هنالك يبلغ الليبي أقصى غاية المجد
دعونا نحمل الثورة في الأعماق وجداناً
وليس مجرد التغيير أسماء وألوانا
فإن الثورة الجوفاء لا تسعد إنسانا
ولا تمنع عدوانا ولا تصنع عمرانا
.....
ألا أيها الوطن الذي احتارت أمانيه
وحار العقل واحترنا جميعا كيف نحميه
.....
ألا هيا نلبيه نخفف من مآسيه [1]

فالبغدادي شاعر وطني والشاعر الوطني ليس من " ينظم مشاعر الناس ، ولكن الشاعر الوطني هو الذي يعمق مشاعر الناس، ويضيف إليها إضافات نفسية جديدة ، ويفتح وجدانها على آفاق لا عهد لها به من قبل"[2].

[1] قصيدة بني وطني مخطوط : عبد المولى البغدادي.

الفصل الثاني شخصيات في شعر عبد المولى البغدادي

---

[2] رفيق شاعر الوطن : خليفة محمد التليسي : 74 .

المبحث الأول: المرأة في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الثاني : المعلم في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الثالث : السجين في شعر عبد المولى البغدادي

المرأة في شعر عبد المولى البغدادي :

عند قراءة ديوان على جناح نورس يتبادر للذهن للوهلة الأولى أن عبد المولى البغدادي لم يكتب شعراً للمرأة ذلك أن المرأة حاضرة منذ الوهلة الأولى فهي رافد من روافد شعره المتمثل في نغم أمه:

هَمْسُ أُمِّي وَهَمْسُهَا لَمْ يَزَالاَ فِي شِغَافِي مخَبَّئاً نِصْفَ قَرْنِ [1]

[1] ديوان على جناح نورس : 202 .

فالشاعر لا يحن إلى قهوة أمه أو خبزها أو لمستها فحسب ، ولكنه يحن إلى همسها وباستخدام كلمة (همس) وما تعنيه من حنان ولهفة وشوق وخوف على الرضيع وحماية وترانيم حزينة وسعيدة استطاع الشاعر أن يعبر عما تمثله أمه من قيمة لتكون الأم هي الحياة بكل تفاصيلها، وبكلمة واحدة وببيت واحد من الشعر اختصر الحياة كلها في كلمة أم، ثمّ الأم الجدة وشعور فقدان الأم الذي تسرب له من شخصية الأب:

رَضَعَ اليُتْمَ وَالْأَسَى بِشِفاَهِ لَمْ تَذُقْ طَعْمَ لَذَّةِ الْأَبَوَيْنِ [1]

لتتحول المرأة من رافد من روافد الشعر إلى قصة إنسانية ينظمها البغدادي شعراً في قصيدته (عاشقة الأمل) ، فالشعر كثيراً ما يأتي ترجمة دقيقة وتعبيراً واضحاً عن المعاناة الإنسانية ، حيث يراها كما يقول :

رَأَيْتُهَا وَهْيَ خَجْلَى مِنْ إِعَاقَتِهَا تُكَابِدُ الْبُؤْسَ وَالْحِرْمَانَ وَالتَّعَبَا
تَجُسُّ آلَامَهَا الحَيْرَى بِلا مَلَلٍ وَتَحْتَسِي جُرْحَ قَلْبٍ مَاجَ وَاضْطَرَبَا
وَحَوْلَ كُرْسِيِهَا الْجَوَالُ أَجْنِحَةُ جَوّالَةُ تَتَحَدَّى الصَّمْتَ وَالصَّخَبَا
قَلْبِي وَقَلْبُكِ يَا (حَوَاءُ) مُحْتَرِقٌ هَلْ فِي الْمَآقِي دُمُوعٌ تُطْفِئُ اللَّهَبَا
تلك الجفون التي دبَّ السقام بها كأنها لم تكن جلداً ولا عصبا [2]

ويشارك البغدادي ذات الاحتياج الخاص باستخدامه ضمير المتكلم ، أم أنه يشير إلى العقول المعاقة التي تنظر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة بهذه النظرة وكأن بهم طاعون أو جرب وما يمثله هذان المرضان من نفور واشمئزاز وهو يعدُّ نفسه جزءاً من هذا المجتمع، حتى الأدباء والمثقفون قد يستغلون قضية هؤلاء الناس لنيل المراتب وهذا يتنافى مع رسالة الأدباء والشعراء ؛ لأن الشعراء" الرومانسيين جميعاً ينطلقون من حب شديد للإنسانية المعذبة... ورغبة حنون في تخفيف آلامها، ومشاركتها مشاركة عاطفية مواسية في كل حالاتها النفسية"[3] فيقول : (البسيط)

---

[1] ديوان على جناح نورس : 203 .

[2] مجلة اللسان المبين (قصيدة عاشقة الأمل) ،العدد الأول 2002 :381 .

[3] شعر ناجي الموقف والأداة : طه وادي ، دار المعارف ، مصر 1990 م ، ط 3 : 67 .

أَنَا المُعَاقَةُ أَوْصَالِي مُمَزَّقَةٌ لَكِنَّ قَلْبِي سَمَاءٌ تَحْضُنُ الشُّهُبَا
أَنَا الّتِي لَا تَرَى إِلاَّ إِعَاقَتَهَا وَلَمْ تَجِدْ غَيْرَهَا فِي عُرْفِكُمْ لَقَبَا
وَهَيْكَلِي فِي يَدَيْكُمْ تَسْخَرُونَ بِهِ مِنِّي ، تَبِيعُونَهُ فِي سُوقِكُمْ حَطَبَا
أَنَا الَّتِي يَزْدَرِيهَا طَرَفْ أَعْيُنَكُمْ كَأَنَّنِي لَسْتُ قَلْباً نَابِضاً رَحِباً
لَا شَيْءَ إِلَّا وُعُودْ ذَاتَ أَجْنِحَةٍ لَوْلا بَصِيصْ الْأَمَانِي خِلْتُهَا كَذِباً
فَكَمْ شِفَاهٍ سَقَتْنِي وُدَّهَا عَسَلاً وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَهْمٍ لَاحَ وَاحْتَجَبَا
وكم رجال أولي عزم ومقدرة وجهت وجهي لهم فارتدّ مكتئباً
مرُّوا كِرَاماً عَلَى دَمْعِي كَأَنَّ بِهِ جُرثُومَة تَحْمِلُ الطَّاعُونَ والْجَرَبَا
لَمْ يَمْنَحُونِي سِوَى وَهْمٍ أُعَاقِرُهُ أَقْتَاتُهُ أَقْتَفِيهِ حَيْثُمَا ذَهَبَ
وَكَمْ أَدِيبٍ أَرِيبٍ مَا اسْتَعَنْتُ بِهِ إِلاّ تَقَلّدَ مَتْنَ الرّيحِ وانْسَحَبا
أُكَابِدُ الْبُؤْسَ والْأَغْصَانُ دَانِيَةٌ والمنهل العَذْبُ مُزْدَانٌ لِمَنْ رَغِبَا
أَشْبَعْتُمُونِي شَهَادَاتٍ وَأَوْسِمَةٌ وَحَفْنَةٌ مِنْ تُرَابٍ خِلْتُهَا ذَهَبَا [1]

وكأنّ الشاعر باستخدامه لضمير المتكلم (نحن المعاقون) يؤكد على فكرة الجزئية الثانية في (أنا المعاقة) وهي أن الإعاقة هي في الفكر والكرامة والأخلاق وليست في الجسد أو العقل ؛ لأنه قد يعيش الإنسان بإعاقته الظاهرة معزَّزاً لا يذوق الذل أمّا من كانت إعاقته في فكره فتلك هي المأساة التي تصنع من الإنسان لا إنسان حين لا يسمع، ولا يرَى، ولا يرحم، ولا يفِي بوعوده، ولا يحترم كلمته، ويتنكر لمعروف غيره ، ويرتزق على حساب معاناة غيره ،يقول : (البسيط)

نَحْنُ المُعَاقُونَ إِنْ سُدَتْ مَسَامِعَنَا عَنْكُمْ وَلَمْ نَرْحَمْ الدَّمْعَ الَّذِي انْسَكَبَا
نَحْنُ المُعَاقُونَ حَقاً لَا وَفَاءَ لَنَا إِنْ لَمْ نَكُنْ أَمَلاً كَالصُّبْحِ مُرْتَقَبَا
نَحْنُ المُعَاقُونَ لا أَنْتُمْ و أَنْفُسَنَا مُعَاقَةٌ إِنْ هَجَرْنَا الأَهْلَ وَالنَّسَبَا
مَنْ كَانَ يَطْلُبُ فِي دنْيَاهُ مَأْثَرَةً يَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ مَزْهُوًا بِهَا طَرَبَا
فَلْيَغْنَمْ الْخُلْدَ فِي إِسْعَادِ بَائِسَةٍ حَيْرَى وَيَمْسَحُ عَنْهَا الْبُؤْسَ وَالتَّعَبَا

[1] اللسان المبين ،العدد الأول 2002 :381، 384 .

وَيَحْتَوِي دَمْعَهَا حَتَّى يَكُونُ لَهَا أَخاً حَنُوناً وَخِلاً مُخْلِصاً وَأَبَا

يكرر الشاعر [نحن المعاقون] للتأكيد على الفكرة وخلاصة التجربة، فالتكرار" يعكس إلحاح الشاعر على جوهر تجربته...[كما أنه] يساعد الشاعر على البداية من جديد ، والتنويع في نفس الوقت، ويحمّل القصيدة إيقاعاً موسيقياً منتظماً ومتتالياً"[1] وبالنظر إلى ما بعد الكلمة المكررة (إن سدت مسامعنا . حقاً لا وفاء لنا . لا أنتم وأنفسنا معاقة) ينطبق على الشاعر قول نازك الملائكة•: "ولا ترتفع نماذج هذا اللون من التكرار إلى مرتبة الأصالة والجمال إلا على يدي شاعر موهوب يدرك أن المعول في مثله، لا على التكرار نفسه، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة"[2] ويستمر البغدادي في دفاعه عن المرأة انطلاقاً من ثقافة دينية كرمت المرأة وأعطتها حقوقاً حقيقية لا وهمية باعتبارها إنسان ،وليست سلعة يتاجر بقضاياها تحت مسمى حقوقها ولكن "فبقدر ما كرم الإسلام المرأة في تعاليمه السمحة، فإن الواقع مجحف في حقها وحق تطلعاتها المشروعة" ويتناول الشاعر من خلال قصيدة أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة قضية إنسانية، فالمتغيرات الرديئة طالت كل شيء، فلم يعد ما يراه جميلاً، مما جعله يسخر طاقاته الإبداعية لتناول القضايا الإنسانية ، فـ" ليس الشعر مقصوراً على حدود اللذة الجمالية ، ولكنه يجب أن يخدم قضايا الإنسان"[3]، يقول : (البسيط):

مَا لِلأَقَحِيَةِ السَّمْرَاءِ وَاجِمَةٌ مِثْلِي تَجَمَّدَ فِي أَلْحَاظِهَا الْكَدَرُ
هُزِّي الْجُذُوعَ فَلَا الْأَغْصَانُ ذَابِلَةٌ وَلا الأَسَاوِرُ فِي كَفَّيْكِ تَنْصَهِرُ
إِنِّي لأَحْمِلُ عَنْكِ الْوِزْرَ حِينَ أَرَى بَرَاعِمَ الطُّهْرِ فِي نَهْدَيْكِ تُبْتَسَرُ
يَا لَلضَّيَاعِ الَّذِي يَجْتَاحُ أَرْوِقَةً أَمْسَتْ عَلَيْهَا خَطَايَاهُنَّ تَعْتَذِرُ

---

[1] الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي: مدحت سعد الجبار، الدار العربية للكتاب طرابلس 1984 م، د.ط: 67.

• شاعرة وناقدة وأديبة عراقية من أسرة شاعرة ولدت في 23 | 08 | 1923 م في محلة العاقولية إحدى مناطق بغداد القديمة

[2] نازك الملائكة الناقدة : د . عبد الرضا علي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1995 م ، ط 1 : 176 .

[3] النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة . بيروت . د. ط ،1987 م : 485 .

المَاشِطَاتُ غُصُونَ اللَّيْلِ حِينَ دَنَتْ تِلْكَ الْغُصُونِ وَوَجْهُ اللَّيلِ مُعْتَكِرُ
البَائِعَاتُ الْهَوَى بَخْساً لِطَالِبِهِ وَمَا لَهُنَّ سِوَى الْأَعْرَاضِ مُدَّخَرُ
....
يَصْحُو الضَّمِيرُ بِهَا حِيناً فَيَرْسُمُهَا بَتُولَةً لَمْ يُدَنِّسْ طُهْرَهَا بَشَرُ
وَتَعْصِفُ الرِّيحُ أَحْيَاناً بِزَوْرَقِهَا فَيُصْبِحُ الطُّهْرُ شَيْئاً مَا لَهَا أَثَرْ
كَأَنَّ قَلْبَيْنِ فِيهَا يَصْرُخَانِ مَعاً قَلْبٌ طَهُورٌ ، وَقَلْبٌ آخَرٌ حَجَرْ
مُرْتَابَةُ الحُبِّ فِي أَحْضَانِ عَاشِقِهَا يَجُولُ فِي مُقْلَتَيْهَا الْأَمْنُ وَالْخَطَرَ
بَسَّامَةُ الثغْرِ وَالأعْمَاقُ نَازِفَةٌ فَالْخِصْرُ يَمْرَحُ وَالْأَحْشَاءُ تُحْتَضَرُ[1]

هل يحاول الشاعر هنا (إني لأحمل عنك الوزر حين أرى . يا للضياع الذي يجتاح أروقة . يصحو الضمير بها حينا . وتعصف الريح أحياناً . كأن قلبين فيها يصرخان معاً)أن يقنعنا أنّ قسوة المجتمع هي السبب الوحيد في انحراف الشخصية تحت مطرقة الجهل والتخلف من ناحية، والحلم بتغيير الواقع من ناحية أخرى أو هو نضال من أجل تعرية الواقع الاجتماعي أم أن مشاعر الإنسانية طاغية عليه كما عبر عنها الرقيعي بقوله" بقي شيء واحد أقوله في إخلاص وخشوع أنني أنحني إجلالاً لعذابات المرأة في واقعنا المظلم"[2] .

إن الشاعر يبدي رأفة وشفقة على المرأة الخاطئة التي تبيع جسدها وكذلك نقمة على الأوضاع الاجتماعية التي دفعتها لذلك ويتحدث عن الأوجاع والآلام التي دفعت الكثيرين ليكونوا ضحايا لمجتمعاتهم، فالغربيون ينسبون إلى المجتمع هموم أفراده من بؤساء وبغايا، ويرون أن المجتمع هو المسئول عن ضحاياه ، يقول الفريد دي فيني (1797م–1863 م): "إن الفرد قلما يخطئ، ولكن النظام الاجتماعي هو المخطئ

[1] ديوان على جناح نورس : 255 ، 256 .

[2] الليل والسنون الملعونة (قصائد ومقالات مجهولة للشاعر علي الرقيغي) : بشير العتري ، منشورات أمانة الإعلام والثقافة ، طرابلس 1990 ، ط 1 : 116 .

دائماً"[1] وأن الفقر يورث مشاكل اجتماعية جمة، ويكون سبباً في كثير من الانحرافات ف " الفقر هو أبرز المشكلات الاجتماعية من حيث الفاعلية والتأثير فيما عداه نظراً للعواقب والنتائج التي تترتب على تزايده وانتشاره"[2] وأن الفقر هو الذي يُسهم في ظهور مثل هذه الظواهر الهدامة التي تهدم كرامة الإنسان فيطال المرأة المحتاجة فلا تجد وسيلة غير أرذل الوسائل " إن الفقر يُفقد الإنسان حيثياته وينسيه الشعور بالكرامة ، فيتذلل كالكلب حقيراً تافهاً أمام من يجود عليه بكسرة خبز تحفظ رمقه "[3] والبغدادي يعبر عن هذا الفقر بكلمات معبرة هي: (الجوع) و(الأمل الدامي) و(الوزر) تعبيراً عن مرارة الفقر وقهره للإنسان وقتله لمشاعره؛ لأن " الفقر داء عظيم يقتل المشاعر الإنسانية ويحطم كبرياء الإنسان ويذله"[4] يقول : (البسيط)

الْجُوعُ وَالأَمَلُ الدَّامِي وَكَيْفَ لَهَا أَنْ يُلْجِمَ الْوِزْرَ فَاهًا ثُمَّ لا تَزِرْ

سَمْرَاءُ ذَاتِ الْهَوَى السِّحْرِي هَلْ بَلَغَتْ بِكِ اللَّيَالِي مَدَاهَا وَاخْتَفَى السَّحَرْ

لازَلَتْ فِي نَظَرِي عَذْرَاءُ مَا عَبَثَتْ بِكَ الْخَطَايَا وَلَمْ تَهْتِكَ بِكَ السُّتُرْ

لابد لمن يبحث في شعر عبد المولى البغدادي ويستجلي صوره وآثاره أن يتجلى له أول ما يتجلى في هذا الشعر هو الإنسانية ،والإنسانية هي "قوة معنوية وروحية لا يمكن تجسيدها واقعياً بالكلمات؛ لأنها تتصل اتصالاً مباشراً بالفعل الإنساني الصادر عن الذات الخيرة الصافية التي تهدف في كل أعمالها إلى خير الإنسانية وسعادتها ، وإلى

---

[1] الرومانتيكية : محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت 1987 م : 126 .

[2] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر : د . مفيد قميحة : 124 .

[3] الشعر الحديث في ليبيا ، دراسة في اتجاهاته وخصائصه : د. عوض محمد الصالح ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2002 : 264 .

[4] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر : د. مفيد قميحة : 125 .

إصلاح الجنس البشري سعياً وراء الكمال والمعرفة... فالإنسانية بذلك قوة روحية عظمى تخاطب عقل الإنسان وضميره وجوهره"[1]:

فهو يبكي لكل جرح و يشقى لشقاء الضعفاء و البسطاء [2]

فلا مناص إذن من معاناة الشاعر نفسه وهو يرى الحزن والألم يتمثل أمامه في شقاء الضعفاء والبسطاء ،حيث ينفعل بها الشاعر ويتفاعل معها ضمن ردود أفعال يكون العمل الإبداعي أحد عناصره ،وبذلك يعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر الأخوة والرحمة إزاء أخيه الإنسان حيثما كان في هذا العالم ، واحترامه ككائن حي "والإنسان الحق هو الذي يعيش آلام الغير ويتحسس مشاكلهم ويفكر بأولئك المحرومين والبائسين الذين يبيتون أكثر لياليهم جياعاً يتقلبون على حصير الألم والشقاء ويتصوّرون رغيف الخبز في كل الأشياء التي يرونها" [3]

وينتقل البغدادي من وصف شخصيات المرأة المقهورة إلى وصف شخصية المرأة القاهرة المتمثلة في وزيرة خارجية أكبر دولة في العالم وهي "مادلين ولبرايت "وهي تصوّب إصبعها وتستخدم الفيتو ضد قرار إدانة إسرائيل ، فالقضية التي يسوقها الشاعر هي قضية الإنسان في صراعه من أجل حياة أفضل ، وهي قضية السلام على هذه الأرض " ولكن القضية في الشعر ليست الخطوط السياسية التي يرسمها القادة والمفكرون السياسيون ، بل هي الخطوط التي يرسمها وجدان الشاعر على ضوء تجربته الشخصية "[4] فمسألة الحرب والسلم ليست معلقة بأصبع امرأة وإنما هي على المستوى السياسي مسألة علاقات القوى في العالم

---

[1] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر :د. مفيد محمد قميحة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1981 م ، ط1 : 28 .

[2] ديوان على جناح نورس : 69 .

[3] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر :د. مفيد محمد قميحة ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1981 م ، ط1 : 130 .

[4] شعرنا الحديث إلى أين ؟ : د . غالي شكري ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1978 م ، ط 2 : 212 .

، فيقول:

بَصَقَـتْ مَنْدوبَـة أَمْرِيكَـا
فـي وَجْه سَمَاسِرَة الْحَـلِّ السِّلْمِـي
لِتُجَرِّب لَـوْنَ طَبِيعَتِهِمْ بَعْدَ التِّطْبِيعْ
وَتُغَيِّر وَضْع بَرَنِسِهِمْ وَقَلاَنِسِهِمْ بَعْدَ الْتَرْكِيع
.....
هَتَكَتْ مَنْدُوبَـةُ أَمْرِيكَا وَبِأَصْبُعِهَا
أَعْرَاضَ ذَويهَا فِي بَيْتِ الصُّلْـحِ المُنْهَارْ
لِتُعِيدَ طِــلاءَ أَظَافِرِهَا بِفَخَامَاتٍ
وَجَـلاَلاَتٍ شَتَّــى !
وَتُقِيـمَ لَهُمْ نُصبــاً أَسْمَى
فَوْقَ السَّبَابَـةِ و الوُسْـطَى
وَتَخُطَّ بِإِصْبُعِهَا الصُّغْـرَى
كَلِمَـاتٍ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى
كَـ : ضَيَاعِ العِرْض وفَقْدِ الأَرْض !
نَجَحَتْ مَنْدُوبــةُ أَمْرِيكَـا
فِي القذْفِ بِإِصْبُعِهَــا الأَحْدَبْ
فِي ذِقنِ سَوَائِـمَ لَيْسَ لَهَـا
إِلاَّ أَنْ تَأْكـلَ أَوْ تَشْـرَب
فَبِوَخْـزَةِ إِصْبَعَهَــا !
سَقَطَ البُرْقُـعَ . بَدَأَ العَرضْ :[1]

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 120 .

وقد تأثرّ الشاعر بشعر أحمد رفيق المهدوي وخصوصاً في وجدانياته وآرائه في السياسة ، و الهزل، ومدى ارتباطه الواضح بالقضايا العصرية والأحداث العامة، وكذلك البعد الإنساني والقومية ذات الأفق المتسع، حيث فرّق البغدادي بين وجه أمريكا البغيض المتمثّل في "مادلين أولبرايت" وبين وجه أمريكا المشرق المتمثل في راشيل شهيدة السلام وهي ناشطة سلام أمريكية والتي اغتالتها قوات الاحتلال الإسرائيلي وهى تقاوم جرّافة إسرائيلية تهدم بيتاً فلسطينياً فيقول :

يقول :

رَاشِيلْ يَا شَهِيـدَةُ السَّـلامْ

يَا زَهْرَةٍ خضـراء يا إشراقة

تحررت من حـالك الظـلام

.....

لو أنّ في مقدورنا فداك يا راشيل

لما طغى في أرضنا المحتل و الدخيل

لكننا ، لكننا وقد غـدوت مثلنا

مكبلـون عاجـزون

مقهـورون رغـم أنفنـا

وقومـك المستكبــرون

الآثمــون الظالمـون

يعملـون أن نظـل دائمـاً

حكـراً لمـن يحكمنـا

.....

راشيــل :

مـا لقومـك (الكرام) يمقتوننـا

ويزعمـون أننـا نمقتهـم
وأننــا حكومـة وملكـا
وقـادة وسـادة نعشقهـم
.....
هذه القديسة الحسناء بشرى
وشـذى ينبض طهـرا
دمهـا يسفك هـدرا
دون أن يُحـدث أمــرا
وتساءلــت لمــاذا...؟
ولمـاذا هذه تفتح باباً وقضية؟
ما الذي يحدث لو ماتت بأيدٍ عربية
وهـى خلـف البندقيــة؟[1]

ويضيف في رثاء راشيل :

لِنَعِشْ النَّصْرَ أَحْرَاراً كَمَا عَاشَ الْجُدُودْ
أَوْ نُلاَقِي شَرَفَ الْمَوتِ ،وَنَحْضَى بِالْخُلُودِ
مِثْلَمَا أَنْتِ احْتَضَنْتِ الخُلْدَ يَا رَمْزَ الْصُمُودِ [2]

وبهذا ينطلق البغدادي في تعبيره عن المرأة من تصور اجتماعي وتصور إنساني وتصور سياسي وبالتالي يتعمق فهمه للحياة كما يقول الدكتور شوقي ضيف: " وفي

[1] قصيدة راشيل يا شهيدة السلام

[2] من قصيدة (راشيل يا شهيدة السلام) .

رأينا أن الأديب لا يفهم الحياة حق الفهم نافداً إلى أعماقها الإنسانية إلا إذا ناضل مع مجموع أمته الذي ينبثق من مجموع الإنسانية الكلي وبذلك يصبح أدبه تصوراً اجتماعياً من ناحية وتصوراً إنسانياً من ناحية ثانية "[1].

[1] في النقد الأدبي "مكتبة الدراسات الأدبية " : شوقي ضيف ، دار المعارف . القاهرة . ط 7 ، 1988 م: 192 .

المبحث الثاني : المعلم في شعر عبد المولى البغدادي

المعلم في شعر عبد المولى البغدادي :

شكلت مرحلة العمل الجامعي منعطفاً مهماً في مسيرة البغدادي الفكرية والشعرية، فالشاعر يعتبر هذه المرحلة مرحلة الشعر القوي العزيز الذي يركب الأهوال والصعاب واثقاً الخطى؛ لأنّ الحروف صارت تسمع وترى وتُفكر قبل أن تنطق، مَانِحَة الخيال

الخصب والتجديد في الرؤى والأفكار من هذه الحياة الجامعية المليئة بالتجارب والخبرات الاجتماعية والسياسية، ومع إضافة وعيه بالتراث وإحاطته به، وهذا يختلف عن تقليده وإعادته ، وهذا الوعي هو الذي أعطاه القدرة على استعمال هذه اللغة والتصرف بألفاظها وأساليبها "فليست اللفظة الواحدة إلاّ حلقة في سلسلة التراكيب التي تتكوّن منها اللغة والتي تحتفظ للناس بثمار تجاربهم مركزة في شكل رموز"[1] وباتخاذه من الوضوح مبدأً في كلِّ ديوانه تبلْورت لديه وظيفة الشعر، فيقول: (الخفيف)

يَا أَحْبَابِي الَّذِينَ أَضَافُوا لِحُرُوفِي مَسَامِعاً وَعُيُونَا
أَنْتُمْ الأَهْلَ لَوْ تَخَيَرْتُ أَهْلاً أَنْتُمْ الْأَوْفِيَاءُ و الْمُخْلِصُونَا
أَنْتُمْ الْشِعْرَ يَا أَحِبَةَ شِعْرِي لَيْسَ لِي أَنْ أَكُونَ أَوْ لاَ أَكُونَ
مِنْكُمُ الْخِصْبُ والْخَيَالُ وحَسْبِي أَنْ أُضِيفَ الإِيقَاعَ والتَّلْحِنَا
....
مِنْ هُنَا ظَلَّتْ الْمَحَافِلُ تَزْهُو بِتَرَانِيمِكُمْ وتُعْلِي الْجَبِينَا
صَارَ شِعْرِي بِكُمْ عَزِيزاً قَوِيّاً يَتَحَدّى الأَخْطَارَ حَتَّى تَلِينَا
يَرْكَبُ الْهَوْلَ والْصِّعَابَ ويَمْشِي فَوْقَ هَامِ الْطُّغَاتِ و الْمُعْتَدِينَا [2]

وقد عبّر الشاعر عن حبه وإيمانه بمهنة التدريس على الرغمِ من متاعبها التي عبّر عنها الشاعر إبراهيم طوقان• بقوله : (الكامل)

(شوقي) يقول . وما درى بمصيبتي " قم للمعلم وفّه التبجيلا "
اقعد، فديتك ،هل يكون مبجلا من كان للنشء الصغار خليلا..!
ويكاد (يفلقني) الأمير بقوله• : كاد المعلم أن يكون رسولا..!
لو جرّب التعليم (شوقي) ساعة لقضى الحياة شقاوة و خمولا

---

[1] ينظر النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير : د. عبد الاله الصائغ ،المركز الثقافي العربي ،ط1 | 2000 :226 .

[2] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 17 ،18 .

• شاعر فلسطيني ولد بنابلس عام 1905 م له ديوان مطبوع جمع في شعره الغزل والوطن ،توفي عام 1941 بعد مرض لازمه طوال حياته، ينظر ديوان إبراهيم طوقان :

• إشارة إلى بيت " قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا " لأحمد شوقي ، ينظر الديوان 180/1 .

حسب المعلم غمَّة وكآبـة مرآى (الدفاتر) بكرة وأصيلا
مئة على مئة إذا هي صلِّحت وجد العمى نحو العيون سبيلا
ولو أنَّ في "التصليح " نفعاً يرتجى وأبيك ، لم أكُ بالعيون بخيلا
لكن أُصلّح غلطة نحويـة مثلاً ، واتخذ " الكتاب " دليلا

....

لا تعجبوا إنْ صحتُ يوماً صيحة ووقعت ما بين " البنوك " قتيلا
يا من يريد الانتحار وجدتـه إنَّ المعلم لا يعيش طويـلا ! [1]

ولكن البغدادي يرى أن المعلم يعيش طويلاً وحياته تمتد لأجيالٍ كثيرة ولا يبالغ حين يتوّجه إلى طلابه بالشكر؛ لأنهم منحوا مهنته التشويق والتجديد والسعادة والأمل ومنحوا شعره العطاء والتأمل وفرصة العثور على الذات...، ويتساءل الشاعر كيف يعتزل الناس مِهَنهم وهم قادرون على العطاء كأنهم آلات معطلة، وهم يعتقدون أنّهم بحصولهم على هذه الشهادات قد نضجت عقولهم بارتقائها علماً ومعرفة ، غافلين عما تمنحه سنوات العمل من تجارب وخبرات تضمن نضج العقل وهم في مرحلة الكهولة ، بل إنّ الموضوع يتجاوز حب المهنة وعدم حبها ، وما تقدمه لنا وما لا تقدمه ، لِيَصِل إلى أنّ العلم أمانة لا يمكن المحافظة عليها ورسالة لا يمكنا إيصالها ببقائها مخبأة في عقولنا في كلِّ يومٍ تُحْتَضَرْ،

فيقول : (البسيط)

الْجَامِعَاتُ هِيَ النَّهْجُ القَوِيمُ لَنَا لاَشَيْءَ مِنْ دُونِ هَذَا النَّهْجِ يَكْتَمِلُ
وَفِتْنَةُ الْجَهْلِ إِنْ شَبَّتْ حَرَائِقُهَا كَفِتْنَةِ الْحَرْبِ تَكْبُوا دُونُهَا الْحِيَلُ
لاَ مَجْدَ إِلَّا بِعِلْمٍ هَادِفٍ ،وَيَدٍ تَبْنِي ، وَأُخْرَى بِهَا الْإِنْفَاقُ وَالْبَذَلُ
وَحَوْلَنَا . يَا حُمَاةَ العِلْمِ . كَوْكَبَةُ مَرْمُوقَةُ عَنْ قَرِيبٍ سَوْفَ تَعْتَزِلُ
وَكَيْفَ يَعْتَزِلُ الْأَبْطَالُ سَاحَتَهُمْ كَأَنَّهُمْ بَعْضُ الآتٍ بِهَا عَطَلُ
العَقْلُ مَهْمَا ارْتَقَى عِلْماً وَمَعْرِفَةً لاَ يَبْلُغُ النُّضْجَ إلا حِينَ يَكْتَهِلُ

[1] ينظر ديوان إبراهيم طوقان ، دار المسيرة بيروت، مكتبة المحتسب ،ط 1 ، 1984 : 148، 149 .

فَلْنَتَّقِ اللهَ فِيهِمْ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَكَيْفَ تُمْنَعُ عَنْ مِحْرَابِهَا الرُّسُلُ ؟[1]

وفي الموضوع نفسه وتأكيداً على فناء المال وأهله وبقاء العلم وأهله ما بقي الدهر حتى وإن رحلت أجسادهم فإن أثارهم تبقى عبر الزمن، يقول علي بن أبي طالب• رضي الله عنه: "مات خُزَّان المال والعلماء باقون ما بقي الدهر ،أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة "[2] ، هذا الأثر الباقي عبر الزمن نجده في شخصية المعلم المتمثلة في أستاذه عبد السلام الخليل والذي يصفه تلميذه بالعبقري في بلاد لا تمنح القدْر لذوي القَدْر ، قاهر الظلام على الرغم من فقده لنعمة البصر ، فهو يمنح نعمة الإبصار لغيره عبر الزمن بزرعه العلم في حنايا عقولهم ،

يقول : (الخفيف)

وَا .. خَلِيلاهُ !! أَيْنَ مِنِّي خَلِيلِي ؟ غَابَ عَنْ نَاظِرَي أَغْلَى خَلِيلْ
غَابَ عَنِّي مُعَلِّمِي ، وَإِمَامِي وَمَلاَذِي ، وَقُدْوَتِي ، وَدَلِيلي
أَنَا أَرْثِي لأُمَّتِي اليَوْمَ نَفْسِي وَأُوَارِي فَجِيعَتِي، وَعَوِيلي
....
كَانَ لِي وَارِفَ الظِّلاَلِ ؛ فَأَضْحَتْ زَفَرَاتِي بِغَيْرِ ظِلٍّ ظَلِيلِ
أَنَا لَـوْلاهُ مَاتَحَسَّسْتُ دَرْبِي فِي حَيَاتِي ، وَمَا اكْتَشَفْتُ سَبِيلِي
....
غُرْبَـةُ العَبْقَرِيِّ بَيْنَ ذَوِيهِ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عَصْرٍ رَذِيلِ
وَبِلاَدٌ لاَ يُمْنَحُ الْقَدْرُ فِيهَا لِذَوِي• القَدْرِ قَدْرُهَا فِي نُزُولِ
كُنْتَ يَا قَاهِرَ الظَّـلامِ سِرَاجاً تَزْرَعُ النُّورَ فِي حَنَايَا العُقُولِ

---

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 30 .

• رابع الخلفاء الراشدين ،وأحد المبشرين بالجنة ،وأول من أسلم من الصبيان ،توفي سنة 40 هـ .

[2] ينظر نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب ، شرح محمد عبده ،أشرف على تحقيقه وطبعه : العزيز سيد الأهل ، دار الأندلس ،للطباعة والنشر ، بيروت 564/4 .

• لِذَوِى هكذا وردت في القصيدة .

وَجَعَلْتَ الكَفِيفَ مِثْلَكَ كُفْءًا لِلأَجِـلاَّءِ يَا أَجَـلَّ كَفِيلِ
يَا لَـ "طَهَ حُسَيْنِ"يَا لَـ " الْمَعَرّى" يَا مَثِلَيْهِ فِي العَطَـاءِ الْجَزِيلِ [1]

هذا التأثر بشخصية والده وأستاذه عبد السلام خليل وبالأصالة العربية فرضت عليه احترام القيم الرفيعة، واحتذاء المثل النبيلة "إنّ الحياة المفعمة بالقيم العليا والمثل الرفيعة التي يمنحها الشاعر لنا عبر قصائده تظل رافداً من روافد تقدم الشعر ومصدراً من مصادر اعتزازنا بإبداعنا ومبدعينا المعاصرين"[2]:

حِيناً أَرَى الْمُثُلْ الْعُلْيَا تُوَجِّهُنِي وَتَارَةً تَتَخَلَّى عَنِي الْمُثُلُ [3]

ومن العوامل المؤثرة عمق الثقافة ، الثقافة بمعناها الواسع غير المحدودة بقومية أو المحدودة ببقعة من العالم وكذلك خبرته في المجتمع والحياة عن طريق عطائه للثقافة وتوليه لمهنة التدريس الجامعي فقد أتاحت له هذه المهنة الولوج إلى آفاق أرحب:

يَا مَنْ زَرَعْتُمْ فِي دَمِي سَعَادَةً وَأَمَـلاَ
يَا مَنْ أَرَاهُمْ مَثَلاً أَعْلَى يَفُوقُ الْمَثَلاَ
يَا مَنْ سَكَبْتُمْ فِي فَمِي مِنْ رَاحَتَيْكُمْ عَسَلا
يَا وَاحَـةً فَوَّاحَـةً تَمْنَحُنِي التَّأَمُّلا[4]

ولعلّه عندما تجتمع شخصية المعلم مع شخصية المبدع تصبح شخصية المعلم هي الرافد والجندي المجهول وراء أعمال المبدع كما عبّر التلّيسي عن ذلك بقوله:"إنّ شخصية المعلم لم تزل قائمة في نفسي، حتى فيما أقدم من أعمال ومن إنتاج ، وأحياناً تصارع حتى شخصية المبدع، ولعليَّ أخلد إذا صحّ الخلود في تاريخنا الوطني بشيءٍ

[1] وا.. خليلاه : عبد المولى البغدادي : 9 .
[2] الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش : د. ميشال خليل جحا ، دار العودة | دار الثقافة ، بيروت ، 15 | 4 | 1999 ، ط 1 : 437
[3] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 28 .ةى
[4] خمسون عاماً زرعنا روضها أملا : 16 .

كما أخلد بشخصية المعلم التي تختفي وراء أعمالي"[1]. فالمعلم والمربي هو الفارس المجهول والجندي في ساحات العلم ، يموت ويحيا شامخاً مع الذل والحرمان والفقر مانحاً تلاميذه علماً ينير عقولهم ، ففي رثاء الفقيد الراحل الدكتور أحمد فنيش ، وهو رثاء لكل المربين ، فيقول :

يَمُوتُ المُرَبِي حسْرَةً كُلَّ لَحْظَةٍ وَلَمْ يُظْهِرْ العِصْيَانَ أَوْ يُبْطِنْ الغَدْرَا
هُوَ الفَارِسُ المَجْهُولُ فِي كُلِّ سَاحَةٍ نَكِيدُ لَهُ سِرًّا وَنُكَبِّرُهُ جَهْراً
نُقِيمُ لَهُ نُصْبَاً وَنَمْلأَ صَدْرَهُ وُرُوداً وَأَزْهَارَاً وَنُسْكِنُهُ قَبْرَا
يُرَوِّي سِوَاهُ وَاللَّظَى فِي عُرُوقِهِ وَيُعْطُونَهُ تُرْباً فَيَمْنَحَهُمْ تِبْرَا
وَتُنْفَقُ آلافُ المَلاَيِينِ بِاسْمِهِ وَتَحْسُدُهُ الأَيَّامُ إِنْ جَاوَزَ الصِّفْرَا
(لَقَدْ كَانَ يَرْجُو القُوتَ لا مُؤْمِناً بِهِ فَظَنُّهُ يَرْجُو المُسْتَحِيلَ أَوْ الكُفْرَا)
يَمُوتُ ويَحْيَا شَامِخَاً فَوْقَ أَرْضِهِ وَإِنْ أَكَلَ الأَقْلامَ أَوْ شَرِبَ الحِبْرَا
وَلاَ جُنْدِيًّا بِأَشْرَفِ سَاحَةٍ وَإِنْ عَانَقَ الحِرْمَانَ وَالذُّلَّ وَ الفَقْرَا [2]

ففي نقده لقرار فصل التربية عن العُلوم يصِل الشاعر إلى قضيته الأساسية وهي الإنسان الذي يجب أن يُربى ويُنشأ لا أن يُملأ علما فقط ، وإلى الوطن والقرارات التي تمُس سيادته ومستقبله ، فالإنسان أهم من الزرع والنفط ، وهو يتلمس لهذه المناقشات المنافذ، ويصنع لها الحيل كما في تناوله للقضايا الاجتماعيةٍ ، ففي نقده للمسئولين وقراراتهم لا يُصرح بذلك صراحة، وإنما يتجه إلى نقد فكرة القرار نفسه، وإن لمّح من طرفٍ خفيٍ إلى أنّ هؤلاء النّاس يجهلون ما يفعلون؛ لأن الشاعر يتجاوز العقدة والحل إلى آفاق أكثر عمقاً ، وأبعد مدى مُجَلَلَة بهموم الإنسان وقضاياه المُلِحَّة .
فيقول : (البسيط)

[1] رحلة عبر الكلمات :خليفة التليسي ،منشورات الشركة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ،ط 2 :46 .
[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 312 .

حَتَّى أَضَرَّ بِبَعْضِ النَّاسِ عِلْمُهُمُ وَكَانَ خَيْراً لَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ جَهِلُوا

وَكَيْفَ تَحْفَلُ بِالتَّعْلِيمْ جَامِعَةٌ صَرْحُ الْمُرَبّينَ فِيهَا مُقْفِرٌ عَطِلُ ؟

وَكَيْفَ تَرْقَى عُلُومٌ دُونَ [تَرْبِيَةٍ] وَنَحْنُ بِالْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ نَحْتَفِلُ ؟

تَفَكَّكَتْ وَأُعِيدَتْ بَعْدَ أَنْ مُسِخَتْ ثُمّ اخْتَفَتْ، أَيْنَ ذَاكَ الْمَنْهَلُ النَّهِلُ ؟

أَيْنَ الْأَوَائِلُ مِنْ سَاحَاتِهَا انْطَلَقُوا عَلَى يَدَيْهَا ، وَفَازُوا فَوْقَ مَا أَمِلُوا

....

أَمَانَةُ فِي يَدَيْكُمْ مَجْدَ أُمَّتِكُـمْ وَالْمَجْدَ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ رُسُلُ

إِنْ كَانَ فِي زَرْعِكُمْ أَوْ نِفْطِكُمْ بَدَلُ فَمَـا لأُمَّتِكُمْ عَنْ نَشْئِكُمْ بَدَلُ

وَالسِّرُّ : كَيْفَ نُرَبّيهِمْ ، نُنَشّؤُهُمْ لاَ كَيْفَ نَمْلَأُهُمْ عِلْمًا ، وَهُمْ خُمْلُ [1]

المبحث الثالث : السجين في شعر عبد المولى البغدادي

[1] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي : 31 .

السجين في شعر عبد المولى البغدادي :

الشاعر من مواليد 1938م،أي "عاش جزءاً مهماً من طفولته في المرحلة المتأخرة من الحكم الإيطالي الفاشي في ليبيا، وقد فتح عينيه على بيئة قاحلة لا يرى فيها المرء إلاَّ مظاهر الجهل والفقر والمرض والتخلف"[1] وهذه المرحلة أثرت بوجدانه، حيث تقاسمت الأرض المدافع والألغام وأزيز الطائرات والمعتقلات فكانت مرحلة التأسيس والتكوين بكل ما يصاحبها من قلق وتربص فهو قادم من ضفاف ثقافة مزقتها عصور التخلف والاستلاب ولكن عند قراءة الأشعار يعرف من سطورها كيف يمكن للإنسان أن ينتصر على عوامل السلب وأن يواجه معوقات النجاح وأن يحفر طريقه عبر الكلمة الجادة

[1] مجلة الفصول الأربعة ، مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدباء والكتاب العرب ، السنة الثانية يناير 1979العدد 5 :145 .

الملتزمة التي لا تنافق ولا تداهن ولا تهادن ولا تتلاعب بعقل القارئ بل هي قادرة على النفاذ إلى مساحات الوعي ومرابض الوجدان الفاعل وإشراقات العقل المستنير...

فقد عاش الشاعر طفولته في ظروفٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ صعبةٍ متمثّلةٍ في حزنٍ عامٍّ بسبب الاحتلال الإيطالي لليبيا، وحزنٍ خاص تمثّل في نفي جدّه لأبيه إلى إحدى الجزر الإيطالية وموته فيها، وقد عبّر الشاعر عن هذه المأساة، وما خلّفته من إحساسٍ عميقٍ بالمرارة والقهر، قهر الإنسان للإنسان بإخراجه من وطنه، وسجنه بعيداً عنه ، وإرغامه على العيش مع قوم لا يجيد لغتهم ، وبعدم معرفة مصيره لا بعودة ولا بدفن يكون الظلم قد تجاوز كلَّ مدى .

فيقول:

إنَّ "شَطَّ الهِنْشِّيرِ "لاَزَالَ يزْوِ بَعْضَ أَحْدَاثِي الَّتِي سَبَقَتْنِي
قِصَّةَ الْفَارِسِ الَّذِي مَاتَ عِشْقاً فِي اغْتِرَابٍ عَنْ "لِيْبِيَاهْ "وَ سَجْنِ
لَمْ يَكُنْ قَطُّ عَابِثاً بَلْ فَقِيهاً يُنْفِقُ العُمْرَ فِي سَلامٍ وَأَمْنِ
وَإِمَاماً مُحَدِثاً يَعِظُ النَّا سَ ، وَلَكِنّهُ يَقُولُ و يَعْنِي
وَتَوَارَتْ سَفَائِنُ الْغَدْرِ نَشْوَى وَهْيَ تَقْتَادُهُ بِحِقْدٍ وَضِغْنِ
وَاخْتَفَى البَدْرُ فِي دَيَاجِيرِ " رُومَا" بَيْنَ بُكْمٍ مِنْ الْعُلُوجِ وَلُكْنِ
وَامْتَطَى جُنْحَ أَسْرِهِ وَتَلاشَى وَطَنَاً رَاحِلاً عَلَى غَيْرِ مَتْنِ
وَجُفُونٌ مِنَ اللَّظى مُبْحِرَاتُ إِثْرَهُ ، وَالسَّرَابُ يُقْصِي وَيُدْنِي
ثُمَّ لَجَّتْ بِهِ السُّنُونُ بَعِيداً لَمْ يُمَتَّعْ بِعَوْدَةٍ أَوْ بِدَفْنِ
وَتَحَمَّلْتُ وِزْرَهُ فَهْوَ جَدِّي ضَاعَ مَابَيْنَ خَاطِفِيهِ وَبَيْنِي
تَارِكاً خَلْفَهُ مَنَاحَاتِ يُتْمٍ ذَكَّرَتْنَا بِكَرْبَلاَءِ الْحُسَيْنِ
وَالطُّفُولاَتُ أَدْمُعٌ ضَارِعَاتٌ غَمَرَتْ صَدْرَ أَوْسَطِ الأَخَوَيْنِ
....
إِنَّهَا مِحْنَتِي وَمِحْنَةُ آبَا ئِي وَآبَائِكُمْ وَإِرْثِي وَدَيْنِي [1]

[1] ديوان على جناح نورس :203 .

ومع استبدال كلمات (سفائن - دياجير روما - علوج . لُكْن - وطنا) بكلمات (سيّارات-دياجير السجن- طغاة –ساكتون عن الحق-أهلا)انتابني شعور عميق بأنّ الشاعر يتحدث عن المعتقلات العربية و خصوصا منفى أبو سليم، وأقول منفى لأنه توافرت فيه ظروف المنفى من حيث الاختطاف ، وعدم المحاكمة، والإجبار على العيش في مكان ومع أشخاص لا تعرفهم و أخلاقهم ليست كأخلاقك ، وعدم معرفة المصير لا بعودة ولا بدفن، وكأنّ عبد المولى ينطق بخواطر الناس وأفكارهم؛ لأنه يخاطب إنسانيتهم ووجدانهم .

فيقول :

سَلوا (بوسليم) كمْ مَارسْتَ منْ ظلمٍ ومنْ قهرِ
وكمْ دَنَّسْت من شَرف وكمْ أُنزَلتَ منْ قَدْرِ
وكمْ حَطَّمتْ منْ قلبٍ وكم سَطَّرت من قَبْرِ
فماذاَ حقَق السَّجَّان منْ فَوز ومن نصْرِ
سِــوى التّعْجيــل بالثـأْرِ
سِوى تحْريك لُغمِ الصبر نَحْو السَاعة الصفْرِ [1]

أي أن الشاعر يتحدث عن صورة المناضلين الوطنين في السجون وعن السجان الذي عجّل ساعة الثأر منه ، وتحقيق الفوز عليه ، والذي سيظل في نظر الشاعر سجين قهره واستعباده لشعبه وسوف يأتي اليوم الذي يقضي فيه الله بالعدل ، فيصبح السجان طريداً ، ونوعاً آخر من السجناء في صورة من صور المفارقة و" هي

[1] مخطوط قصيدة بني وطني .والتي مطلعها :
بَنِي وَطَنِي وَأَبْنَائِـــي أَحبَّائِـــي أَعزَّائي
بُنَيَّاتِـــي أُخَيَّاتـــى حَبِيبَـاتـــي عَزيزاتى
بِكُلّ مَشـــاعِرِ التقْـــديرِ أُهْدِيكُمْ تَحياتي
مُـضَمَّخَـــةً بِأشـــواقٍ وآمَـــالٍ طَمُوْحَات
تبـلـغكم مُنَاشَدَتي وتسمعكـم مُنَاجَاتي

الصور التي ينحو في بنائها الشاعر منحى معاكساً أو مغايراً لما تعوده الناس عند غيره من الشعراء في مثل تلك المواضيع ، أي أن الشاعر ينفض عن لغته ما تراكم عليها من عادات الناس وتصوراتهم ورؤاهم ليخلق بنية صورية مفارقة توقظ المتلقي من سباته وتخلصه من رواسب ثقافته ، وتهزه بعنف وتؤثر فيه بشكل لا يقارن بتأثير الصور المكررة في نثرية حياة الناس وأفكارهم "[1] فصورة الحاكم السجان صورة مفارقة للصور المألوفة : لأنها تعكس تصوراً خاصاً بالناس وهي تدل على القوة والبطش ، لكنها لدى الشاعر تصبح حقيقة مخالفة لذلك فهو مسجون ومعتقل ...

فيقول البغدادي : (البسيط)

رُوَيْدَكُمْ ياَ خُصُومَ الشّعْبِ إنّ لَكُمْ يَوْماً مَعَ اللهِ يُقْضِي فِيهِ بِالعَدْلِ
وَأَنّكُمْ سَوْفَ لَنْ يَلْقَاكُمْ أَحَدٌ كَمَا هُوَ الآنْ . بِالْأَحْضَانِ وَالْقُبَلِ
وَأَنّكُمْ سَوْفَ لاَ يُفِدُيكُمْ أَحَدٌ مِمّن تُفِيدُونَ ، يَا قَوْلاً بِلاَ عَمَلِ
وَأَنّكُمْ سَوْفَ لَنْ تَبْقَى لَكُمْ شُلَلٌ فَصَوْلَةُ الشّعْبِ لاَ تُبْقِي عَلَى الشُلَلِ
سَيَكْشِفُ اللهُ مِنْهُمْ كُلُّ مُسْتتِرٍ مَهْمَا تَسَرْبَلَ بِالأَسْتَارِ وَالسُّدُلِ
المُلْكُ مَهْمَا احْتَمَى واعْتَزّ مُنْتَقِلٌ وَإِنّ لِلّهِ مُلْكاً غَيْرَ مُنْتَقِـلِ
وَخَابَ كُلُّ عَنِيدٍ بَاتَ مِنْ عَنَتٍ عَلَى قُوَى الْغَدْرِ وَالطّغْيَانِ مُتّكِلِ [2]

تأثر الشاعر بالمهدوي " كان للمهدوي وشعره أثر في نفسي وفي مجرى حياة شعري"[3] وهو يتفق مع المهدوي في الجهل بالثقافة الغربية وعدم الخضوع لها ، وفي إصرارهما على محاربة فكرة الطغيان بطريقة الذي يعرف وقائع الأمور فيعرف حقائِقها ساخرين من تلك الزعامات والديكتاتوريات التي انتهى عصرها .

الدِيكْتاَتورُيَـة فِي عَصْرِنَا صَارَتْ مِنْ الْمُنْكَرِ فِي عُرْفِـهِ

[1] الشعر العربي الحديث في موريتانيا ـ دراسة في تطور البناء الفني والدلالي (1960 - 1995) : محمد الحسن ولد محمد المصطفى ، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، 2004 م د. ت : 178 .

[2] مولاي عبدك بين اليأس و الأمل : عبد المولى البغدادي : 22 ، 23 .

[3] النورس والعاصفة :د . محمد مسعود جبران : 30 .

فَمَنْ أَرَادَ الْيَوْمَ تَطْبِيقَهَا فـي قومـه دلَّ على سخفـه
جَرَبّها هِتْلَرْ فِيمَا مِضَـى فَكَانَ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتفهِ
وَخَرّ مِنْهَا مُوسِلِينِي إلَى صَلْبٍ وَتَنْكيسٍ عَلَـى قحفـه
النّاس لاَ يَرْضُونَ عَنْ مُرْسَلٍ مِنْ رَبِهِمْ يَشْتَطُ فِي عُـنْفِهِ
وَلاَ يُطِيقُ النّاسَ مِنْ طبْعِهِ عَجْرَفَـةً تَشْمَخُ فِي أَنْفـِهِ
فَهَلْ تَرَى فَي عَصْرِنَا عَاهلاً يَسِيرُ بِالشّعْبِ عَلَـى كَيْفِـهِ
أَوْ يَأْمُرِ النّاسَ بِأَنْ يَقْبَلُـوا مَا تَرْفُضُ الأَنْفُسَ مِن عَسْفِهِ
فَالشّعْبُ لاَ يَعْرِفُ فِي دِينِـهِ تَقْدِيسُ بَعْضُ الخَلْقِ مِنْ صِنْفِهِ
وَالأَمْرُ فِي الإِسْلاَمِ شُورَى فَمنْ لَمْ يَسْتشِرْ يَنْدَمْ عَلَى خَلْفِـهِ
وَمَنْ أَهَانَ النّاسَ فِي رَأْيِهِمْ تَجَرّأَ النّاسُ عَلَـى كَسْفِـهِ[1]

يتحدث البغدادي عن نوع آخر من السجناء وفي هذه المرة اختار أن يتحدث عن نفسه من خلال الإحساس بالفجيعة من خلال الغربة " فكانت الغربة بمثابة اليتم الجديد الذي طرأ على حياة الشاعر في الكبر ، فإذا كان اليتم هو فراق الأهل والأصدقاء ، فإنّ الغربة يتم محقق"[2]. فهو حبيس الصمت والبعد وقلة الحيلة في الوقت الذي يتعرض فيه وطنه للاعتداء ...

أُمَّةٌ فِي عَرِينِهاَ تَسْجُدُ الشَّـ مْسُ وَتَغْفُو فِي لَيْلِهَا المَخْفُورْ
وَأَرَى فِي الوُجُودِ ثَوْرَةَ صَمْتِي تُلْهِبُ النَّارَ فِي عُرُوقِ الصُّخُورِ
وَهُنَا لاَ أَكُونُ إلاَّ شُعَاعـاً فِيهِ نَفْحُ الهُدَى وَلَفْحُ السَّعِيرِ
لاَ حَبِيساً فِي غُرْبَتِي أَتَلَّهَى بِالْتِقَاطِ الأَخْبَارِ عَبْرَ الأَثِيرِ [3]

[1] رفيق شاعر الوطن : خليفة التليسي 72 .
[2] المرجع نفسه : 67 .
[3] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 176 .

ويعد المكان أهم عنصر مؤثّر في الاغتراب، باعتباره يحمل صورة صاحبه ويشكل مزاجه وطباعه ونمط تفكيره؛ لأنّ " المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ، ومن جانب آخر إنّ حياة الشخص تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط به"[1] ومثلت الغربة عند الشاعر محنة جعلته مرهف الحس، وغدت إحساسه بالحرية والحنين، فبداية الغربة كانت في الستينيات عندما انتقل إلى القاهرة للدراسة ، ثمّ إلى روما والحبشة في الثمانينيات ، ثمّ إلى مالطا في التسعينيات ومعظم قصائد الديوان كتبت في التسعينيات، ولشدة إحساسه بالغربة يفرد لها قصيدة بعنوان (نزيف الغربة) وما توحيه كلمة (نزيف) من ألم وحزن، واستمرار الألم والحزن لتكون الغربة رافداً لشعره مع ما منحته له الغربة من حرية والتعرف على ثقافات أخرى ومشاهدة الوطن من الخارج لخلق صورة أوضح ، فالشاعر لا يملك ازدواجية الأصل والانتماء؛ ولكن رحلة التنقل تمخضت عنها فلسفته الشعرية كالموت والحياة والحب، ولهذا جاء شعره عذباً صادقاً وحيوياً... يقول في قصيدة نزيف الغربة: (الخفيف)

الفِرَاقُ الطّوِيلُ أَدْمَى جِرَاحِي بِسَعِيرٍ مِنَ الأَسَى وَالْمَذَلَّهْ
وَتَلاَشَتْ مَعَالِمِي وَسِمَاتِي وَخَسِرْتُ الرِّهَانَ وَالعُمْرَ كُلَّهْ
فَخُيُولِي مَشْدُودَةٌ بِوَثَاقِي تَشْتَكِي قَيْدَهَا وَتَنْشُدُ حِلَّهْ
وَنُسُورِي رَهِينَةٌ بِاغْتِرَابِي فَهْيَ مِثْلِي حَبِيسَةٌ وَمُغَلَّهْ[2]

فالبغدادي واسع الإطلاع على الآثار الأدبية والحرية تمثل هاجساً "فالإنسان في أي مكانٍ ينشد الحرية ويموت من أجل الحرية كي يعيش سعيداً"[3] رافضاً قمع الأفراد أو

[1] بناء الرواية :سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة 1989، : 84 .

[2] ديوان على جناح نورس :193 .

[3] قراءات في الشعر الثوري :عبد الوهاب الحراري دراسة نقدية في الشعر العربي الليبي ،دار مي للطباعة والنشر ، دمشق ط1 : 12 .

الدول فصدق الشعور وصدق الكلمة ينبعان من صدق الموقف والمبدأ حتى أن قصائده كأنها قصيدةٌ واحدةٌ.

الفصل الثالث: الشخصية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الأول : الشخصية الدينية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الثاني : الشخصية التاريخية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

المبحث الثالث :الشخصية الأدبية والفكرية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

المبحث الرابع : الشخصية الشعبية الخرافية والأسطورية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .

الشخصية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي :

إن المتأمل لمسيرة الشعر العربي عامة ، والشعر الليبي بشكل خاص ، لابد له أن يقرأ أنَّ استدعاء الشخصية لم يكن انجازاً

فردياً ، ولم يكن حدثاً مفاجئاً، لقد أسهم في ذلك شعراء كُثُر، وكان لكل منهم حصته في تناول القضايا المهمة: الفكرية والاجتماعية ، والقومية ، وقضية فلسطين ، وهموم الوطن والعروبة ؛ لأن " مرور الشاعر بثقافات وسياسات واجتماعيات نقلته من مرحلة التعبير عن الموروث إلى مرحلة التعبير به"[1] والبغدادي لجأ إلى التراث والتاريخ والأدب والأسطورة وسيلة لنقل التجربة الشعرية والتعبير عنها ؛ لتتكاثف الصورة في نصوصه الشعرية ، نظراً لأهمية الإفادة من الصور ذات العلاقة بالموروث ، لكي يزدادوا من

[1] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر : د. علي عشري زائد ، منشورات الشركة العامة للنشر ، طرابلس ، 1978 م ط 1 : 80 .

خلاله تواصلاً بالماضي والتعبير به في الحاضر"[1] بعد أن كان التركيز على الصور البيانية: كالتشبيه والاستعارة والكناية من الناحية الجمالية، إلا أن " القصيدة المعاصرة ذات الخصوصية المتميزة استفادت من هذا التطور، فلم يتغير المضمون الشعري كما كان الحال من قبل وفق متطلبات العصر واحتياجاته فحسب، بل تغير شكل التعبير عن هذا المضمون"[2] والبغدادي أحد هؤلاء الشعراء الذين تعددت أنماط الشخصية في أشعارهم، ففي شعره العديد من الشخصيات منها: الدينية، والتاريخية ، والأدبية ، والفكرية ، والشعبية والأسطورية ، للكشف عن المفارقة بين الماضي والحاضر ، ولخدمة قضايا الشعر والوطن .

"إن إحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث بالإمكانات الفنية التي تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود له فيما لو وُصلت أسبابها بها ، ولقد أدرك الشاعر المعاصر أنه باستغلاله لهذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير، وذلك لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً من القداسة في نفوس الأمة"[3]، حيث "إن التجربة الشعورية بما لها من خصوصية هي التي تستدعي الرمز القديم كي تجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل من فكرة شعورية"[4] ولعلَّ" خير ما في عمل الشاعر، وأكثر أجزاء هذا العمل فردية هي تلك التي يثبت فيها أجداده الموتى خلودهم"[5] والدعوة إلى استدعاء الشخصيات التراثية لها تأثير عميق في تطور الشعر العربي لأنها " كشفت للشعراء عن مصادر للرمز كانت غائبة عنهم على الرغم من

---

[1] توظيف الأسطورة والتراث في تجربة الشعر الحر في ليبيا : د. ساسي سعيد رمضان ، عضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة طرابلس ، ينظر : اللسان المبين، العدد الأول : 57 .

[2] اللسان المبين : العدد الأول : 57 ، 58 .

[3] الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) : عز الدين إسماعيل ،بيروت ، مكتبة الأكاديمية ، ط 5 1998 م : 22 .

[4] الشعر العربي المعاصر : عز الدين إسماعيل : 199 .

[5] ت . س إليوت . مقالات في النقد الأدبي . ترجمة لطيفة الزيات ، القاهرة . د / ت : 6 .

وجودها بين أيديهم ووصلت حاضر الشاعر بماضيه ، ولم تقصر معنى التراث على المأثور من عيون الشعر القديم ، بل فهمت التراث بمعناه الواسع"[1].

المبحث الأول

[1] الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر : د. محمد فتوح أحمد : 323 .

الشخصية الدينية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي :

عند تتبع النتاج الشعري . المتوفر لدي . من مجموعة النصوص الشعرية فقد استدعى البغدادي فيها الشخصية الدينية أو بعض من ملامحها وقد جاءت في معظمها تعبيراً عن حياة معاصرة يعيشها الشاعر أو يعبر عن حياة أشخاص يعيشون في هذا العصر، مع مراعاة الشاعر لقدسية مقام النبوة فشاعرنا المعاصر يتحرج من أن يعبر بشخصية الرسول عن ذاته، أو أن ينسب إليه بعض صفاتها"[1] لقد وظف البغدادي شخصية

[1] استدعاء الشخصيات التراثية : د. علي عشري زايد .

النبي محمد ﷺ، وصاحبه أبو بكر الصديق• من خلال ذكرى هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وخروجهما على قومهما في قوله (ثاني اثنين) كما في قوله تعالى:﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ ﴾[1]، ليقارب بها . مع اختلاف المقام والمضمون . خروج نزار قباني ، والمتنبي عن شعراء عصرهم في مجال الشعر، فلم يجدا القبول والرضا من معاصريهم وخصوصاً أن شخصية المتنبي ذات بُعدٍ سياسي وذات دلالات غنية ومتعددة الأبعاد، أما نزار قباني فقد كان شعره مثيراً للجدل، ومع ذلك فقد اعترف الكثيرون لهما بالسبق في مجال الشعر والتفرد على سواهم، يقول :

الْبُنَاةُ الْعِظَامُ كَيْفَ يَمُوتُونَ فَلَنْ تَقْهَرَ الرِّمَالُ البِحَارَا
(ثَانِي اثْنَيْنِ : أَنْتَ وَالْمُتَنَبِّي) طِبْتُمَا صُحْبَةً وَمَجْداً وَغَارَا
وَشَغَلْتَ الوَرَى وَنِمْتَ قَرِيراً آمِناً مِثْلَهُ تَتِيهُ افْتِخَارَا
الْمُحِبُّونَ يَنْهَلُونَكَ فَيْضاً قَدُسِيًّا يُشِعُ نُوراً وَنَارَا
وَرَأَوْا فِيكَ قِمَةً لاَ تُضَاهَى وَأَمِيراً وفَارِساً لاَ يُبَارَى
وَالْتَقُوْا فِيكَ أَعْيُناً وَقُلُوباً تَتَحَّدَى بِكَ الرَّدَى وَالدَّمَارَا[2]

فقد استدعى الشاعر هذه الشخصية في موضع يصف فيها حدثاً تاريخياً مهماً ، بل ذات أثر قوي في التاريخ الإسلامي وهي حادثة الهجرة ، فهناك من الشعراء من امتزج لديه الموضوعي بالذاتي وأصبحت المناسبة جزءاً من كيانه ، وأصبح الشخص صاحب الذكرى معبراً عن رؤى الشاعر في الحياة ومنهجه في الحياة فحين يتحدث شاعر عن الرسول ﷺ مثلاً، فإنه لا يرحل إلى الذكرى بل الذكرى ترحل إليه وتصبح جزءاً من ذاته"[3].

• أول الخلفاء الراشدين وأول من أسلم من الرجال

[1] سورة التوبة : الآية : 40 .

[2] ديوان على جناح نورس : 352 .

[3] تطور الشعر العربي الحديث : د . شلتاع عبود شراد : 113 .

وقد أجاد الشاعر في توظيفها، والأحداث التي مرت بها لخدمة قضية شعر المتنبي ونزار قباني، فقد جاءت رسالة الرسول محمد ﷺ لانقاد البشرية ورسالة الشاعر تدعو العالم لانقاد الشعوب من الانجرار والخضوع لتيار سلب الحرية والكرامة.

ولتتعمق الفكرة لدى المتلقي يستحضر الشاعر الشخصية الدينية السلبية (اليهود والنصارى وقوم نوح) في محاربتهم للرسل مع قناعتهم بصدق رسالاتهم استكباراً على الحق، حيث أراد الشاعر التعبير عن الرفض الذي واجهه شعر نزار قباني لدرجة وصلت إلى نكران وجوده وللتعبير عن هذه المحاربة يصفها باليهود والنصارى وهذا الرفض هو استكبار ، لأن شعره كان رافضاً لكل مظاهر الاستعباد ؛ لأنه يرى الشعر متمرداً ، غاضباً متحدياً للواقع:

وَالمُعَادُونَ أَنْكَرُوكَ وَجُوداً مِثْلَمَا أَنْكَرَ الْيَهُودُ النَّصَارَى
وَيُصِرُّونَ مِثْلَمَا قَوْمِ نُوحٍ قَدْ أَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارَا
لَمْ يَرَوْا مِنْ خِلاَلِكَ الشِّعْرَ إِلاَّ مَارِداً يَحْمِلُ الهَوَى أَوْزَارَا
أَعْيُنٌ تَذْرِفُ اللَّظَى وَ عُيُونٌ تَسْكُبُ الحُبَّ وَالهَوَى مِدْرَارَا
وَتَهُزَّ الْخَنَاجِر الحُمْرَ أَيْدٍ ثُمَّ أُخْرَى تُقَدِّمُ الأَزْهَارَا
وَتَتَبَعْتَ هَؤُلاءِ جَمِيعاً ثُمَّ جَاوَزْتَهُمْ فَوَلُّوا فِرَارَا[1]

ويعتمد الشاعر على ذاكرة المتلقي في استحضار النص القرآني :﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود﴾ للإحساس بمعاناة المتنبي ونزار قباني في رفض معاصريهم لهم، بينما اقتصر الشاعر على ذكر شخصية النبي أيوب عليه السلام كإشارة سريعة لغرض التشبيه في قصيدة (دمعة وفاءٍ) والتي يرثي فيها عبد الله الهوني• حيث شبه معاناته، وعذاباته، وآلامه من المرض التي أخفاها، وحياته لأجل الآخرين بصبر أيوب عليه السلام، الذي يضرب به المثل في الصبر على الآلام والعذاب ، للتعبير عن معاناة

[1] ديوان على جناح نورس : 353 .

• ترأس قسم اللغة العربي بجامعة الفاتح من سنة 1977 إلى سنة 1985 ، وتوفي بعد معاناة من مرض عضال سنة 1989 م .

عبد الله الهوني من المرض وصبره شخصية أيوب للإشارة إلى الصبر وللتعبير عن معاناة عبد الله الهوني من المرض وصبره :

شَهِدْنَا فِيكَ أيُّوباً جَدِيداً بِمَا أَظْهَرْتَ مِنْ جَلَدٍ مَتِينِ
تُوَارِي جُرْحَكَ الدَّامِي وَتُغْضِي حَيَاءً أَنْ تَبُوحَ إِلَى خَدِينِ
تُوَاجِهُ أَعْنَفَ الطَّعَنَاتِ فَتْكاً وَتُخْفِي مَا بِجِسْمِكَ مِنْ طُعُونِ
فَتَضْطَرِبُ الْشَرَاشِفُ وَالحَشَايَا وَتَنْفَجِرُ الأَسِرَّةُ بِالأَنِينِ[1]

وقد كان بمقدور الشاعر أن يضيف معنى على نحو ما فعل علي الفزاني في قصيدته (من وراء الجدران الصدئة) عندما استدعى شخصية أيوب عليه السلام رمز الصبر للتعبير عما يعانيه الشاعر المعاصر من الغربة ، يقول :

يا إخوتي ... أيوب ، ما عاد له شعر !
أيّوب .. أمس ضيّعت أيّامه السّمْرُ
يَمْشِي بِلا خطو إلى النّحب !
يسامر الآلام و الآهات في الدّرب
فِي ليل "بنغازي" الذي يقعى على القلب
كالموت . منحوت . من الرعب
في غربة التاريخ والتزييف . والعصر
في محنة الأوراق والحبر
في عزلة الفكر[2]

في حين استدعى شخصية الملاك والشيطان ليعبر عن تنوع القصائد عنده ليقول الشعر معتلاً ومعتدلاً نتيجة الصراع الذي يعيشه الإنسان في كل مناحي الحياة والشعر واحد منها يقول: (البسيط):

---

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 301 .

[2] الأعمال الكاملة : علي الفزاني : 45 .

فقد تصيب ملاكاً ناسكاً ورعاً يسبح الله في صمت ويبتهل
وقد تصادف شيطاناً فتجعله يكاد من لسعات الشعر يختبل
وضربة السيف قد تُنسَي إذا التأمت لكنما الشعر مضروبٌ به المثلُ
وقلت ما قلت معتلاً ومعتدلاً فالشعر نوعان : معتلٌ ومعتدل [1]

كما يقول إيليا أبو ماضي :

إِنَنِي أَشْهَدُ فِي نَفْسِي صَرَاعاً وعِرَاكاً
وَأَرَى ذَاتِي شَيْطَاناً ، وَأَحْيَاناً مَلَاكاً
هَلْ أَنَا شَخْصَانِ ، يَأْبَى ذَاكَ مَعَ هَذَا اشْتِرَاكَا
أَمْ تَرَانِي وَاهِماً ؟
لَسْتُ أَدْرِي [2]

فالشاعر ليس فيلسوفاً ؛ ولكنه يدرك الحقائق من خلال إحساسه وهذا يجعله يقترب من الفلسفة ويعلل عبد القادر القط ذلك "بأنهم شعراء وجدانيون بالدرجة الأولى لا يحسنون الفلسفة ، ويدركون الأمور من خلال وجدانهم"[3].

أختم بقصيدة عنوانها (يا صاحب السجن!) المهداة إلى صديقه الشاعر راشد الزبير السنوسي• فلقد أخذ الشاعر ألفاظاً من القرآن وإن كانت على غير ما هي في القرآن فهي في القرآن ﴿ يَا صاحِبَي السِّجْنِ أأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[4] ووظفها لمناداة رفيقه في المحنة، وليرسل رسالة للمتلقي تنبئ عن حجم المعاناة والظلم الذين لقيهما، من خلال تذكيره بقصة سيدنا يوسف ، وبعد معاناته في السجن كان له مجد تولي ملك مصر، وأنه كان مثالاً للم شمل أسرته وغفرانه لأخوته رغم المكر والخداع الذي أصابه من إخوته ، وباستحضاره لقصة يوسف يضرب مثالاً للوحدة وعدم التشتت،

---

[1] خمسون عاما زرعنا روضها أملا : 27 .

[2] ديوان ايليا أبي ماضي : 206 .

[3] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د . عبد القادر القط : 296 .

• ولد عام 1938 من أعلام الرومانسية في الشعر الليبي ينظر عبد الله مليطان : معجم الشعراء الليبيين: 61

[4] سورة يوسف : الآية : 39 .

على الرغم من الظلم الذي تعرض له من إخوته ، ومن زوجة العزيز، ويمكن أن تقرأ الفكرة الواضحة في وصف المؤامرات التي تحاك حول وحدة الوطن ، فالتآمر والخيانة من أقرب الناس العامل المشترك بين التجربتين، وإن نأى الشاعر بنفسه عن اتهام إخوته بالخيانة، وعدها قصوراً (فكل من حاد عن توحدنا قاصر) فالشاعر ملتزم بقضيته وبكل أبعادها وقد تأثر بالظروف السياسية التي تمرّ بها البلاد وبعملية طرح التجربة بأكملها نجد عملية إسقاط التجربة الشخصية على تجربة ومعاناة سيدنا يوسف فقصة يوسف لها تأثير قوي تمثل في حرمانه من والده وتآمر إخوته وظلم زوجة العزيز له والسجن والصبر، يقول (البسيط):

أَرْشِدْ أَخَاكَ فَأَنْتَ (الرَّشِدُ) الشَّاعِرْ كِلاَكُمَا عَائِدٌ مِنْ سِجْنِهِ ظَافِرْ

....

يَا صَاحِبَ السِّجْنِ كَمْ فِي السِّجْنِ مِنْ رُتَبٍ تَبَوَّأْت بِأَخِيكَ المُرْتَقَى البَاهِرْ

لَكِنَّـهُ بَعْدَ هَذَا المَجْـدِ فَاجانَا بِفِتْنَةٍ لَيْسَ فِيهَا غَيْرَهُ خَاسِرْ

يَا آل بَرقَةَ لَوْلاكُمْ لَمَا انْتَفَضَتْ بِنَا طَرَابُلُسَ أَنْتُمْ صَوْتُهَا الهَادِرْ

لَـوْلاكُمْ لاحْتَسَيْنَا جُرْحَنَا أَسَفَاً لَوْلَاكُمْ لَمْ يَثُرْ مِنْ أَجْلِنَا ثَائِـرْ

إِنَّـا لَكُـمْ مِثْلَمَا أَنْتُـمْ لَنَا قَدَرٌ مُقَدَّرٌ كَيْفَ نُلْغِي قُدْرَةَ القَادِرْ

خُذُوا العَوَاصِمَ وَالسُّلْطَانَ وَانْتَصِـرُوا لِلْحُبِّ فَهْوَ الرَّبِيعُ الوَارِفُ العَاطِرْ

وَلْتَأْخُذُوا كُلَّ شَـيْءٍ غَيْرَ وِحْدَتِنَا فَالشِّرْكُ فِي الدِّينِ ذَنْبٌ مَالَهُ غَافِرْ

وَمَالَنَـا مِنْ صَـدِيقٍ غَيْرَ أَنْفُسِنَا إِنْ لَمْ نُحَاذِرْ فَمَا لِلْبَغْيِ مِنْ آخِرْ

فَلْيَتَـقِ اللهَ أَهْلُونَا وإِخْـوَتُنَـا فَكُلُّ مَنْ حَادَ عَنْ تَوْحِدِنَا قَاصِـرْ

إِنْ كَانَ لِلْمَجْدِ مَنْ يَسْعَـى بِفُرْقَتِنَا فَلْيَسْقُطِ المَجْـدَ إِلّا مَجْدَ فِبْرَايِرْ

....

أَنْتَ الَّذِي كُنْتَ مَنْ يَحْمِـي طَرَابُلسَا مِنَ الهَلَاك وَكُنْتَ الحَارِسَ السَّاهِرْ

أَنْتَ الذِي شِئْتَـهَا كُبْرَى عَوَا صِمِنَا قَبْلَ التَّحَرُرِ مِنْ طَاغُوتِهَا الغَادِرْ

....

ارْجَعْ إِلَيْنَا مَـلاذا آمِنـاً رَحِبـاً يَحْوِي الجَمِيعَ بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ طَاهِرْ
الدِّينُ وَالعُـرْفُ وَالتَّارِيخُ وَحَّـدَنَا لا فُرْقَةَ لا انْقِسَـامَ بَعْدَ فِبْرَايِرْ [1]

فالبغدادي شاعر وطني والشاعر الوطني ليس من "ينظم مشاعر الناس ولكن الشاعر الوطني هو الذي يعمق مشاعر الناس، ويضيف إليها إضافات نفسية جديدة، ويفتح وجدانها على آفاق لا عهد به من قبل"[2] مثله في ذلك أحمد رفيق المهدوي الذي يقول في الموضوع نفسه :(مجزوء الكامل)

لَكِنّهُ الوَطَـنُ العَزِيـ ـزُ أُصِيبَ حَتى فِي جَمَادِهِ
ظُلْـمُ العَـدُوِّ وَجُورِهِ بَلَغَ النِّهَايَةَ فِي اشْتِدَادِه
قَدْ ضَرّ لَكِنْ لَمْ يَكُـنْ بِأَضَرْ مِنْ عَدَمْ اتَّحَـادِهِ
مَنْ ذَا الذِي يَدْعُـو إِلَى تَقْسِيم جُزْءٍ وَانْفِـرَادِهِ
تَفْرِيقُ "بَرْقَةَ" عَنْ "طَرَابُـ ـلُسَ" خُرُوجٌ عَنْ سَـدَادِهِ
مَا تِلْكَ غَيْـرُ جِنَـايَةٍ تَأْتِي عَلَى بَعْضِ عِنَـادِهِ
....
كُونُوا جَمِيـعاً قُـوَّة لا كُـلُ فَـرْدٍ بِاجْتِهَادِهِ
أَمّا الحَيَاة مَعـاً وَأَمّـا (م) المَوْتُ فِي سَبِيلِ اتّحَـادِهِ [3]

[1] مخطوط بعنوان (يا صاحب السجن) مهداة إلى الشاعر | راشد الزبير السنوسي لعله يجد سبيلا لإقناع أخيه أحمد الزبير السنوسي بالعدول عن موقفه بالدعوة للفيدرالية في ليبيا المحررة .

[2] رفيق شاعر الوطن : خليفة التلّيسي : 74 .

[3] رفيق شاعر الوطن ، دراسة عن الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي والحركة الأدبية الحديثة بليبيا: خليفة التلّيسي : 127 ، 128 .

المبحث الثاني : الشخصية التاريخية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

الشخصية التاريخية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي :

يمثل التاريخ وعاء للتجربة الإنسانية بما يحتويه من مواقف وأحداث تمثل آفاقاً معرفية وأنماطاً دلالية تتسم بالحيوية وبالفاعلية والقدرة على استيعاب الواقع؛ لأن "الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، بل لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى"[1] ولهذا لا ينظر له" كركام من الوقائع والأحداث، وإنما تجربة إنسانية واسعة ومتعددة الجنبات، وتجسيد لقضايا الإنسان التي طرحت على كل المجتمعات الإنسانية الماضية"[2]

يستدعي البغدادي من خلال هذا النمط عدداً من الشخصيات التي تنتمي إلى أزمنة تاريخية متعددة، منها شخصية الحسين رضي الله عنه، وطارق بن زياد، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب وبلقيس ، والنجاشي وصلاح الدين، وهي شخصيات ترتبط بالجانب الإيجابي من ذاكرة المتلقي، فيستلهم شعراء العصر الحديث التراث للتعبير عن

---

[1] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د . علي عشري زايد : 151 .

[2] مجلة العربي ، وردة المستحيل : عبد الوهاب البياتي ، الكويت 1988 ، العدد 472 : 93 .

تجاربهم وأفكارهم وآرائهم، فيتخيرون الشخصية التي تناسب تجربتهم ويرمزون بها للقضايا التي يحملونها متخذين جانباً من جوانبها محوراً ينطلقون منه وشخصية طارق بن زياد من الشخصيات التي حازت على اهتمام الشعراء فأراد الشعراء في العصر الحديث أن يعبروا من خلاله عن بعض القضايا السياسية ، فقد وفق الشاعر نزار قباني في قصيدة (هوامش على دفتر الهزيمة 1991) حيث استدعى شخصيات تاريخية بارزة في العالم الإسلامي مثل (خالد بن الوليد، طارق بن زياد، حمزة بن عبد المطلب) وشخصيات بارزة في التاريخ العربي مثل (الزير سالم، والقعقاع، والصمصام) سطرت صفحات مضيئة في تاريخنا العربي والإسلامي للتعبير عن هم الحاضر في غياب قادة يشبهون هؤلاء القادة الذين قاتلوا وحاربوا في أرضٍ حقيقية فصنعوا سلماً حقيقياً ، أما قادة عصر الشاعر فحربهم وسلامهم فبركة إعلامية يقول :

لا حـربنا حرب ، ولا سلامنا سلامْ
جميع ما يمـر فـي حياتنـا
ليس سـوى أفـلام ...
ومـوتنا مقـرر .
كما يكون فـي نهايـة الأفـلامْ .
لـم ننتصر يوماً علـى ذُبابـةٍ
لكنهـا .. تجارةُ الأوهـامْ
فخالدٌ ، وطارقٌ ، وحمزةٌ ، وعُقْبَةُ بن نافع
والزيـر ، والقعقـاعُ ، والصَمْصَامْ .
مكـدسون كُلُهُـمْ ..
فـي عُلـبِ الأفـلامْ ..
وراءها هزيمـــة ..
وراءها هزيمـــة ..
كيـف لنا أن نربح الحربَ

إذا كـان الذين مثَّلُـوا..
وصـــوَّرُوا..
وأخْرَجُـــوا..
تعلموا القتال في وزارة الأعلام ؟[1]

ويضيف في قصيدة أخرى :

وقبر خالدَ في حمص نلامسه
فيرجفُ القبرُ من زواره غضبـا
يا ربَّ حيٍّ .. رخام القبر مسكنـهُ
ورُبَّ ميّتٍ .. علـى أقدامهِ انتصبـا
يا ابن الوليـدِ .. ألا تؤجّـرهُ ؟
فكل أسيافنا قد أصبحت خشبـا [2]

فهذا قبر خالد يرجف غضباً مما آل له حال العرب ، ونزار القباني يسأل صاحبه أن يؤجره لمن أصبحت سيوفهم خشبا ، بينما عبد المولى البغدادي يرى العرب قد نبشوا قبر صلاح الدين واستلوا سيفه لا ليقاتلوا عدواً بل ليتقاتلوا وليت هذا السيف صار خشبا

نبشوا قبر صلاح الدين واستلوا سلاحه
وَبِهِ انْهَالُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَعْناً وَضَرْباً
كُلَّهُمْ يَنْشُدُ حَرْباً
وَيُرِيدُ المَالَ نَهْباً
وَيُجِيدُ الحُكْمَ غَصْباً [3]

---

[1] الأعمال الكاملة : نزار قباني : 194 ، 195 .

[2] الأعمال الكاملة : نزار قباني : 306 .

[3] ديوان على جناح نورس : 152 .

والبغدادي واحد من هؤلاء الشعراء قام باستدعاء شخصية تاريخية عظيمة هي شخصية طارق بن زياد فاتح الأندلس الذي استطاع أن يعبر بجيشه البحر؛ ليقيم حضارة عريقة امتدت إلى مئات السنين، ولا زالت شاهد حضارتنا، وفي ذات الوقت شاهد هواننا وتهاوننا؛ ليخرج الأمة من محنتها بالشجاعة وصدق الموقف مستخدماً أسلوب النداء الذي يهدف إلى إثارة انتباه المتلقي وباستخدام هذا الأسلوب يأمل الشاعر في مشاركته وجدانياً:

يا طارق• بن زياد النصر يا بطلاً يا موقفاً كله صدق وإيمان[1]

إن موت الشخصية هو تعبيرٌ عن استمرار النضال لأجل الحرية ، فالإنسانية ارتبطت أمانيها وأحلامها في تلك الحقبة المتعطشة للخلاص من القهر، وعليه فإن رحلتها لم تتوقف عنده ولم تتقيد به ، ولكن البغدادي يستحضر شخصية صلاح الدين الأيوبي على غير المتوقع ، ففي الماضي كان صلاح الدين موحداً للعرب مدافعاً عن كرامتهم جامعاً لكلمتهم ، أما اليوم فالأخوة يتقاتلون ، وأصبح سيف صلاح الدين أداة للتقاتل، فكأنهم نبشوا قبره واستلوا سلاحه ليكون بيد الحكام العرب يقتلون به شعوبهم، ويتقاتل الأخوة فيما بينهم؛ ليصبح الحكم غصباً ومما يعمق هذه الفكرة هو المزاوجة بين استدعاء هذه الشخصية ذات الأثر الإيجابي وشخصيات ذات أثر سلبي (هولاكو، قيصر) ليعبر عن تخاذل الحكام العرب وبيعهم القضية الفلسطينية لأمريكا والغرب (هولاكو ، قيصر) مقابل عروشهم ، يقول :

• طارق بن زياد الليثي أصله من البربر ، ولي طنجة عام 89 هـ ، وولاه موسى بن نصير على قيادة الجيش لفتح الأندلس ، فنزل بهم في البحر ، وقام بحرق السفن ، تنسب له مقولة " العدو من أمامكم والبحر من ورائكم " استولى على الجبل ألذي يسمى" بجبل طارق"وفتح قرطاجنة ، ينظر الأعلام :الزركلي : 3 / 217 .

[1] من قصيدة وترحل الشمس في شرقها : عبد المولى البغدادي

لَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي يَجْمَعُ أَشْتَاتَ العَرَبْ
لَوْ تَهَاوَى ذَلِكَ البَيْتُ المُقَدَّسْ ؟
وَتَوَلَّى النَفَقُ المشئوم تَنْفِيذَ المُهِمَّةْ
هَلْ سَنَبْنِي مَسْجِداً أَقْصَى جَدِيداً ، وَلِمَنْ ؟!
وَيُعِيدُ الدَّوْرَ هُولاَكُو وَقَيْصَرْ
وَيَضِيعُ النَّصْرُ فِي حِطِّينَ مِنْ كَفِّ العَرَبْ
لَسْتُ أَدْرِي مَا الَّذِي حَلَّ بِهِمْ
نبشوا قبر صلاح الدين واستلوا سلاحه
وَبِهِ انْهَالُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَعْناً وَضَرْباً
كُلَّهُمْ يَنْشُدُ حَرْباً
وَيُرِيدُ المَالَ نَهْباً
وَيُجِيدُ الحُكْمَ غَصْباً [1]

ويستمر البغدادي في استدعاء الشخصيات التاريخية ذات الأثر الإيجابي، وهذه المرة شخصية (سيف بن ذي يزن) للدلالة على البحث عن الحل السياسي الذي ينتظره العرب من الخارج والشاعر يتحسر على ما آل إليه حال الأخوة في اليمن من اقتتال كما في لبنان فالشاعر :

هَلْ نَحْنُ حَقّاً يَمَانِيُّونَ ؟ يَفِتَناً تَسَعَّرَتْ فِي حِمَانَا تَحْرِقَ الْيَمَنَا
وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى سَيْفِ بْنِ ذِي يَزِنٍ يَغْتَالُ صَاحِبَهُ وَالأَهْلَ وَالوَطَنَا
أَصْنَامُ "تُبَّعَ " وَالأَوْثَانُ مَا بَرِحَتْ تُمَزِّقُ الأَرْضَ ! وَالأَحْيَاءَ ! وَالمُدُنَا
الشِّرْكُ لاَ زَالَ يَحْيَا فِي طَبِيعَتِنَا فَأَيُّ وَكْرٍ سَحِيقٍ لَمْ يُقِمْ وَثَنَا
دَمُ الضَّحَايَا قَرَابِينٌ نَقَدِّمُهَا " لِسَادَةٍ " أَلْبَسُونَا ذُلَّهُمْ كَفَنَا

[1] ديوان على جناح نورس : 152 .

بِعْنَا جَمِيعاً لِغَيْرِ اللهِ أَنْفُسَنَا وَالْيَوْمَ نَدْفَعُ مِنْ أَرْوَاحِنَا الثَّمَنَا
سَيْفِي يُحَاصِرُنِي ، يَجْتَاحُ فِي سَفَهٍ دَمِي وَلَحْمِي ، فَسَيْفِي مُجْرِمُ "وَأَنَا " ! [1]

ويستمر الشاعر في استنطاقه التاريخ باعثاً في وجداننا بلقيس التي كانت أنوثتها رجولة، فالشاعر يحن إلى ذلك الزمن وتلك البطولات، أما هذا الزمن الذي تخلى فيه الرجال عن مواقفهم وكرامتهم فهو زمن جدير بأن يمحى من ذاكرة التاريخ، متمنياً في الوقت نفسه لو عقم رحم بلقيس ولم يولد سيف بن ذي يزن مادامت اليمن آلت إلى هذه الحال من الاقتتال، فالقاتل والمقتول أخوين كما في لبنان كما في اليمن كما في كل مكان من أرض العرب والمسلمين، ويضيف :

عُذْراً لِـ(بَلْقِيسَ) ، كَمْ كَانَتْ أُنُوثَتُهَا رُجُولَةً ، لَيْتَنَا نَسْتَرْجِعُ الزَّمَنَا
كُلُّ الرِّجَالِ تَخَلَّوْا عَنْ رُجُولَتِهِمْ (أَمَا مِنْ امْرَأَةٍ تَسْتَنْقِذُ الْوَطَنَا)
يَا لَيْتَ (بَلْقِيسَ) لَمْ يَنْبِضْ لَهَا رَحِمٌ وَأُمُّ ذِي يَزِنٍ لَمْ تَنْتَظِرْ يَزِنَا
الْغَرْبُ يَصْنَعُ عَبْرَ الْمَنْشِ وَحْدَتَهُ وَنَحْنُ نَفْصِلُ عَنْ صَنْعَائِنَا عَدَنَا
هَلْ نَحْنُ حَقاً نَحْنُ يَمَانِيُونْ؟ لاَ أَبَداً وَلَنْ تَكُونَ لِقَوْمٍ مِثْلِنَا يَمَنَا[2]

فالشاعر عندما يوظف التاريخ في شعره لا يقصد "وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليس هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي"[3] . ولعل هذا الزمن هو ما فرض على الشعراء هذا التمني فالشاعر لطفي عبد اللطيف• يستدعي شخصيات مثلت صفحات مضيئة في

---

[1] ديوان على جناح نورس : 93 .

[2] ديوان على جناح نورس :94 .

[3] لستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر د . علي عشري زايد :151 .

• هو عبد اللطيف سليمان حسين ولد في 1942/10/20 بتونس ، وبها درس المرحلة الابتدائية والإعدادية وفي عام 1960 عاد إلى ليبيا والتحق بالعمل الوظيفي بين تونس ، والجزائر ، وسافر إلى فرنسا في بعثة لدراسة اللغة الفرنسية ، والصحافة فحصل على الدبلوم في اللغة الفرنسية عام 1969 وعلى الدبلوم في الصحافة عام 1970 ، نشر نتاجه الأدبي في عدد من الصحف والمجلات المحلية والعربية من بينها : الحرية ، وطرابلس الغرب ، والرائد ،والعمل ،

تاريخينا العربي الفكري والجهادي فالواقع المتخاذل للعرب يستوقف الشعراء فيوظفون هذه الشخصيات لعقد المقارنة بين زمن البطولة وزمن التخاذل بل إن الشاعر يذهب إلى أبعد من المقارنة ليصل إلى انطفاء مشعل الجهاد والفكر في هذا العصر باستخدامه للفعل الماضي (مات) في أسلوبٍ خبري (صلاح الدين مات) ، (جمال الدين مات) وللتأكيد على هذه الفكرة يتمنى لو توأد البنات (لو من جديد توأد البنات)لأن نساء هذا العصر عقمت عن إنجاب مثل هؤلاء الأبطال ، مع أن هذه الأمنية تخالف معنى الآية القرآنية في قوله تعالى :﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1] وكأن الشاعر يشير من جانب خفي إلى أننا نعيش عصر الجاهلية كواقع من عبودية للفكر، وتهاونٍ للعزيمة ، ولم يعد ينقص هذا العصر إلا وأد البنات، وربما أراد الشاعر أن يشير إلى واقع المرأة من حرية مزيفة ونحن بأمس الحاجة إلى هُداة لهذا الطريق، فيقول :

صَلاحْ الدِّينْ مَاتْ
جَمَالْ الدِّينْ مَاتْ
يَا حَبَذَا لَوْ مِنْ جَدِيدْ تُوْأَدْ الْبَنَاتْ [2]

وربما الشاعر "لم يتدبر بعناية ما يقوله، ولعل تأثره بما هو معروف في الشعر العربي الذي استعان بهذه الرموز إلى درجة مسرفة في التوظيف جعله يسقط في منزلق فكري ديني لا يتناسب مع معتقده "[3].

والفكر التونسيتان ، أوفد للعمل الإعلامي في بعض الدول الإفريقية ، كما شغل منصب مدير المركز الثقافي العربي الليبي بتونس ، أعد وقدم العديد من البرامج الإذاعية المسموعة لإذاعة طرابلس المحلية ، توفي رحمه الله تعالى يوم 2006/4/12 ودفن بمصراتة ، من دواوينه : الخريف لم يزل ، حوار من الأبدية ، قراءات في كف سندبادة ، عيناك صورة للصدى ،ينظر معجم الشعراء الليبيين ج/1: 605 .

[1] سورة التكوير : الآية : 8 ، 9 .

[2] ديوان دمعة الحادي : لطفي عبد اللطيف ، التونسية للتوزيع ، تونس 1975 : 42 .

[3] اللسان المبين ، العدد الأول : 69 .

ارتبط عدد من الشخصيات التاريخية عند توظيفها بالجانب السلبي في وعي المتلقي، ومن هذه الشخصيات شخصية كسرى، وقيصر الروم ، وهولاكو، نيرون الذي أحرق روما، هتلر، و، وكذلك استدعاء الحوادث التاريخية مثل حرب البسوس في إشارة إلى الحروب والاقتتال والتفرق الذي أنهك العرب ، فعلاقة الأدب بالتاريخ علاقة جد وثيقة لا يمكن بحال من الأحوال أن نغفلها أو نتجاهلها كما يقول الدكتور شوقي ضيف: "ألسنا نحتاج في دراستنا لأدب أيّ أمة من الأمم إلى معرفة الأحداث الكبرى التي أثرت في منشئيه؛ لأن الأدب في حقيقته مرآة ناصعة صافية تنعكس عليها حياة أهله، وما تأثرا به من أحداث عامة وظروف خاصة"[1]، يقول (الخفيف) :

قول:

يَا حُمَاةَ السَّلاَمِ ضَـاعَ حِمَانَا وَغَدَا مَرْتَعاً لِحَمْقَى الطُّيُورِ
وَاسْتُبِيحَتْ أَعْرَاضُنَا فَهْيَ صَرْعَى تَحْتَ أَقْدَامِ طَيْشِنَا الْمَسْعُور
عَرَبٌ نَحْنُ غَيْرَ أَنَّ هَوَانَا لَمْ يَزَلْ عَالِقاً بِذَيْلِ بَعِيرٍ
نَتَبَاهَى بِصَرْخَـةٍ مِنْ كُلَيْـبٍ وَحَكَايَا خَوَرْنَقٍ وَسَدِيرٍ
غَدُنَا مِثْلَ أَمْسِنَا مِنْ بَسُوسٍ لِبَسُوسٍ مُجَدَّدٍ مَكْرُورِ
لَمْ يَزَلْ دَأْبُنَا عِبَادَةُ أَوْثَانٍ نَمَتْ فِي مِهَادِ أَعْتَى فُجُور
وَانْقَسَمْنَا إِلَى أَعَارِيبَ شَتَّى وَاحْتَمَى كُلُّ مَعْشَرٍ بِنَصِيرٍ [2]

يستدعي الشاعر شخصية نيرون للتعبير عن الغارة الأمريكية الغادرة على حمى الوطن ويقول في قصيدة (الإحساس بالفجيعة من خلال محنة الغربة):

أَيُّهَا الْمُلْجِمُ الرِّيَـاحَ تَمَهَّلْ إِنَّ كَيْدَ الرِّيَـاحِ جِدُّ خَطِيرِ
كُنْ كمَا شِئْتَ مَارِداً أَمْ ملاَكاً أَمْ رَسُـولاً مِنْ الإلهِ القَدِيرِ
أَمْ حَكِيماً وَهَادِياً ، أمْ مُضِـلاً أَمْ مَزِيجاً مِن الهُدَى و الفُجُورِ
وَتَرَنَّمَ كَمَا تَرَنَّمَ (نِيْرُونُ) عَلَى وَقْعِ لَحْنِـهِ المَخْمُور

[1] الأدب العربي المعاصر في مصر : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 م : 11 .

[2] ديوان على جناح نورس : 176 .

وَتَفَجَّرْ صَوَاعِقاً و شَظَايَا مِنْ نُجُـومٍ بَلَغَتْهَا وَبُدُورِ
أَطْعِمِ النَّارَ لَحْمَ بَعْضَ الضَّحَايَا أَبْقِ مَنْ شِئْت وَجْبَةً للطُّيُـورِ
وَتَسَرَّبَ مَعَ الرِّيَـاحِ سُمُوماً وَاقْتَلِـعْ مَا بِدَوْحِنَا مِنْ بُـذُورِ [1]

إن صورة إحراق الوطن وتدميره وأعداد الضحايا تستدعي شخصية نيرون الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد وما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر(عَلَى وَقْعِ لَحْنِـهِ المَخْمُور) ، وهذا ما جعل حافظ إبراهيم يستدعي هذه الشخصية للدلالة على ما تقوم به محاكم التفتيش من اضطهاد وظلم ومصادرة الأملاك وحرق كل شيء دون أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم:

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنَنْتُمْ بِعَفْوٍ أَنُفُوسًـا أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَاداً ؟
لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةِ التَّفـ تِيشِ) عَادَتْ أَمْ عَهْدِ(نَيْرُونٍ)عَادَ؟[2]

فالشاعر يستدعي "بِخياله (الحمراء) ويوَّحد بينهما ، فمالطا والأندلس تختزنان معاً تاريخاً ضائعاً مستلباً ، ويخشى الشاعر في ضوء معطيات الحاضر أنهما لن يكون (أولاً) أو(آخراً) في عرضنا المتناهب "[3] والشاعر يستدعي شخصية نيرون في صورة مفارقة لاستعادة سلائب العرب يقول : (الكامل)

وَمَشَيْتُ فِي "الحَمْرُونِ "أَبْحثُ عَنْ كُوىً حَفِظَتْ رُفَاتَ الشَّرْقِ خَلْفَ عَنَاكِبِ
وَالشِّيـحُ وَالقَيْصُـومُ مَدَّ عَرَائِشاً مَشْدُودَةً بِبرَاقِـعٍ وَسَخَائِبِ
وَمَلَامِـحٌ عُرْبٌ تَمَثّل رَسْمُهَا طَيْفَ الشُّرُوقِ بِأَعْيُنٍ وحَوَاجِبِ
فَتَوَلَّتْ "االْحَمْرَاءُ"عَزْفَ مُوَشَّـحٍ يَبْكِي مَدَائِنَ ذَاتَ مَجْدٍ غَارِبِ

[1] ديوان على جناح نورس : 174 .
[2] ديوان حافظ إبراهيم : 2 / 21 .
[3] ديوان على جناح نورس : 272 .

"حَمْرَاءُ" وَ "الْحَمْرُونُ " لَيْسَا أَوَّلاً أَوْ آخِراً فِي عِرْضِنَا الْمُتَنَاهِبِ
سُلِبَتْ سُيُوفِي مِنْ يَدِي وَسُيُوفُهَا فَبِأَيّ " نَيْرُونٍ " أُعِيدُ سَلائِبِي[1]

يستدعي الشاعر حادثة تاريخية التي قيل فيها المثل (جزاء سنمار*)[2] للتأكيد من خلال هذا المثل على أن السلام الذي يسعى إليه العرب سيكون مصيره الفشل والإخفاق، وأن الحكام (سنمار العصر الحديث) اللاهثين وراء هذا التطبيع مع العدو الإسرائيلي (النعمان) سيكون جزاؤهم الغدر ممن ساعدوهم في سلب ثروات شعوبهم واستعبادهم ، وتقديم تنازلات الاستسلام لهم :

كَمْ خُدِعْنَا وَلَمْ نَزَلْ فِي خِدَاعٍ حِينَ لاَنَتْ رِقَابُنَا لِلْمُغِيرِ
وَاتَّخَذْنَا مِنَ السَّلامِ مَطَايَا طَالِبِينَ الأَمَانَ مِنْ " شَامِيرِ"
فَتَدَاعَتْ آمَالُنَا وَتَهَاوَتْ كَتَهَاوِي الفَرَاشِ فِي التَّنُّورِ
وَإِذَا بِخُطَى " سِنِمَّار" تَسْعَى كُلَّ يوْمٍ بِسَاقِهَا المَبْتُور
وَالضَّحَايَا مِنْ قَوْمِنَا وَذَوِينَا عِبَرٌ لِلْمُجِيرِ و المُسْتَجِيرِ
....
يَا حُمَاةَ السّلامِ أَيُّ سَلاَمٍ فِي حِمَى الرُّعْبِ وَالدَّمَارِ الكَبِيرِ [3]

فالشاعر يستدعي التاريخ "ولكن التاريخ عنده ليس كمادة استاتيكية بل كطاقة ديناميكية قادرة على أن تلقي الحجر في المياه الآسنة، إنها لحظة القبض على الإبداع،

---

[1] ديوان على جناح نورس : 280 .

* هو بناء رومي الأصل ، بني للنعمان قصر الخورنق ، وكان يعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله ، فقذف به النعمان من أعلى القصر فتقطع ، وضربت العرب المثل به : جزاؤه جزاء سنمار .

[2] مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تحقبق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1998 م , د . ط 1 : 159 .

[3] ديوان على جناح نورس : 175 .

والتوفيق بين الماضي والآني إنه إمعان الفكر لاستحضار صور من التاريخ وبدون التنازل عن الجو للحالة الشعرية ذاتها ، بل توفيق بين الحقيقة الكامنة في أرفف الماضي ، والخيال المحفز لإنشاء نص شعري يوافق قوة الاستدعاء وكميته"[1].

إن قضية الوطن وفلسطين جعلت البغدادي يستدعي شخصية هولاكو للتعبير عن ضياع الحلم والأمل في أن يصل إلى الحُكْم حاكم عادل ؛ لأنها شخصيات قمعية تُستحضر بكل أبعادها الدلالية ليرسم بها صورة الحاكم العربي، فيصوره جاهلاً مغتصباً للسلطة، مطارداً لأرباب الفكر، وقد تحمل معنى أمريكا والغرب لوقوفهما دائماً إلى الجانب الإسرائيلي وقد تحمل معنى إسرائيل التي تقوم بحفر النفق أسفل المسجد الأقصى ليتسآل الشاعر هل يستطيع هؤلاء الحكام الفاشلون في استعادة فلسطين أن يبنوا مسجداً أقصى جديداً ، وإن نجحوا في ذلك فلمن ؟ لكي يعاد الدور مرة أخرى ويهدم ويستباح ... :

لَسْتُ أَدْرِي مَا الذِّي يَجْمَعُ أَشْتَاتَ العَرَبْ
لَوْ تَهَاوَى ذَلِكَ البَيْتُ المُقَدَّسْ ؟
وَتَوَلَّى النَفَقُ المَشْؤومُ تَنْفِيذَ المُهِمَةْ
هَلْ سَنَبْنِي مَسْجِداً أَقْصَى جَدِيداً ، وَلِمَنْ ؟!
وَيُعِيدُ الدَّوْرَ هُولاَكُو و قَيْصَرْ
وَيَضِيعُ النَّصْرَ فِي حِطِّينَ مِنْ كَفِّ العَرَبْ
لَسْتُ أَدْرِي مَا الذِّي حَلَّ بِهِمْ [2]

فقضية فلسطين "تستولي على وجدان الشاعر، وتأخذه عبر أحداثها المتفجرة... إن شاعرنا يلاحق هذه الأحداث، وحضوره فيها يأخذ شكلاً متقدماً إذ يلتحم بها ساخنة ، فيجيء شعره ممتقعاً بغبارها المتطاير، مضرجاً بدمائها ، يحمل أشلاءها المتناثرة"[3]

[1] الفصول الأربعة ، العدد 96 : 60 .

[2] ديوان على جناح نورس : 152 .

"إن ميزة المعاصر دائماً في هذا الصدد أنه يستطيع الإفادة من الخبرات الماضية في تشكيل المفاهيم الجديدة"[1] ويترتب على ذلك خلق نوع "من وحدة الفكر لم تكن متاحة للشاعر القديم"[2] توضيح الرؤيا من خلال استعادة أمجاد الأمة.. شخصيات عامة مثل شخصية الخليفة" ومن ثم فإن شعراءنا المعاصرين يستعملون هذه الشخصية غالباً رمزاً للسلطة القاهرة المنحرفة التي لا يجد الأمن في ظلالها سوى المنحرفون الانتهازيون والساقطون"[3] يصور الخليفة رمز الجبن والتقاعس والخيانة في إشارة إلى تخاذل الحكام العرب فمن الشخصيات التي قام الشاعر باستدعائها وهي من الشخصيات الاعتبارية هي شخصية شيخ القبيلة" وعليه فإن شعراءنا المعاصرين يستعملون هذه الشخصية غالباً رمزاً للسلطة القاهرة المنحرفة التي لا يجد الأمن في ظلالها سوى المنحرفين الانتهازيين والساقطين"[4]، يقول :

مَنْ تُرَى نَحْنُ لِنَحْيَا تَحْتَ أَقْدَامٍ ثَقِيلةْ
نَعْبُدُ الشَّيْخَ الَّذِي يَمْلِكُ قُطْعَانَ الْقَبِيلَةْ
دُونَ إِدْرَاكٍ وَ وَعْيٍ يَا عَرَبْ [5]

يستدعي البغدادي هذه الشخصية وما تحويه من طغيان وفساد وانشغال عن قضايا الأمة ليلبسها قالباً معاصراً ليشير إلى تخاذل الحكام العرب عن نصرة قضايا شعوبهم وخصوصا أن العدو متربص بنا، وذلك في "إطار التصوير الرمزي الذي تتجاوز دلالته الموضوعات الأصلية بما ينتهي إليه الشاعر من دلالات تتوافق وتركيبته النفسية والثقافية والاجتماعية"[6]:

---

[3] جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر : 65 .

[1] . الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) : عز الدين إسماعيل : 15 .

[2] الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) : عز الدين إسماعيل : 15 .

[3] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : علي عشري زايد 170 .

[4] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : علي عشري زايد : 170 .

[5] ديوان على جناح نورس : 153 .

[6] الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس 1981 ، ط2 : 157 .

ما زال إيوان كسرى في مدائننا وقيصر الروم في بغداد لم يزل [1]

وفي قصيدة أخرى :

أَمِينَ العُرُوبَـةِ إِنَّا سُلِبْنا عُرُوبِتَنَـا لاَ بِأَيْدِي اليَهُـودْ
وَلَكِنْ بِأَيْدِي زَعَامَاتِنَـا وَمَا أَرْهَقُونَا بِهِ مِنْ قُيُـودْ
وَمَا غَمَرُونَا بِهِ مِنْ هَـوَانٍ وَمَا شَيَّدُوهُ لَنَا مِنْ حُـدُودْ
فَخَارَتْ قُوَانَا، وَضَاعَتْ قُرَانَا ضَيَاعَ ثَمُـودٍ وَعَادٍ وَهُودْ
فَمَا دَمَّرَ اللهُ آل ثَمُـودٍ بِشَيءٍ سِوَى كُفْرِ آل ثَمُـودْ
وَمَا نَصَرَ اللهُ شَعْبـاً ذَلِيـلاً بِغَيْرِ النِّضَالِ وَحَشْدِ الجُهُـودْ[2]

يستحضر البغدادي شخصية (زرقاء اليمامة) التي صدقت قومها فيما أخبرتهم به ليعبر عن ذاته وأنه يصدقهم في قوله بأن التفرق والتشتت يضعفهم وأن العدو غير الظاهر من العملاء والخونة الذين يزرعون الفتن بين الأخوة وهو يخشى على أهل اليمن مصيراً مشابهاً لأهل اليمامة وقد استخدم تعبير زرقاء اليمن للدلالة على الحاضر فالرمز التاريخي يحدث تداخلاً بين الماضي والحاضر ويوفر امتداداً بينهما، فليس هناك فرق بين الحاضر والماضي سوى في أسماء الفاعلين والمفعولين ، فالتاريخ لا يعيد نفسه ولكن أفعال البشر هي التي تعيد نفسها لذلك " يتناسل هذا الرمز التاريخي بحمولاته الدلالية لتفعيل مسار النص وتوليد معانيه التي تحمل عبق الماضي وتدين الحاضر ، وتتوجس خيفة من تكرار الأمر مستقبلاً "[3] :

يَا كُلَّ مَنْ خَدَعَ الْيَمَنْ " وَلَسَوْفَ يَنْتَصِرُ الْيَمَنْ "
والكُلُّ يَعْرِفُ أَنْتَ مَنْ؟ وَحَلفُ مَن ؟ وَعَمِيلُ مَنْ

[1] مولاي عبدك بين اليأس والأمل : عبد المولى البغدادي : 17 .
[2] ديوان على جناح نورس : 127 .
[3] الحركة الشعرية في ليبيا : قريرة زرقون نصر ، 1 : 175

وَتَبِيعُهَا بَيْـعَ الإِمَـا ءِ ذَلِيلَةً ، وَبِلاَ ثَمَـنْ

وَتَقُولُ يَا بَلْقِيسُ إِنِّـ ي مَا غَدَرْتُ وَلَمْ وَلَنْ

اللّهُ لِلشَّرَفِ المُضَرَّ جِ بِالخِيَانَـةِ وَالفِتَنْ

اللّهُ لِلْوَطَـنِ الَّذِي أَلِفَ الشَّدَائِدَ وَالْمِحَنْ

كَادَتْ تُطُل مِنَ الْجَزِيرَةِ عين زرقاء• اليمن

وَيُوَاصِلُ الرَّكْبُ المُقَدَّ سُ زَحْفَهُ عَبْرَ الْيَمَنْ [1]

مستغلاً دلالتها التنبئية في كشف الحقائق كما يقول علي الفزاني :

أزرقاء اليمامة إن ما يلوح لعينيك ليس شجر

ولا كتائب متدثرات من الحقد ولكنه شيء محيق الخطر [2]

• يقصد : الزرقاء : من بني جديس من أهل اليمن ، مضروب بها المثل في حدة النظر وجودة البصر ، يقال لها زرقاء اليمامة ، وزرقاء : لزرقة عينيها ، ويقال إنها تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وذكروا من أخبارها أن حسان بن تبع الحميري أقبل في مجموعة تريد غزو جديس ، رأتهم الزرقاء وأنذرت جديساً فلم يصدقوها فاجتاحهم حسان بن تبع . ينظر الأعلام : 3 | 44 .

[1] ديوان على جناح نورس : 101 .

[2] دمي يقاتلن الآن والقنديل الضائع في المدن الوثنية : علي الفزاني : 40 .

المبحث الثالث

الشخصية الأدبية و الفكرية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

الشخصية الأدبية و الفكرية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي :

تمثل الشخصية الفكرية محوراً أساسياً في التكوين الشعري للشاعر المعاصر، وإذا أخدنا بعين الاعتبار أن كل الأدباء والشعراء هم بالدرجة الأولى مفكرين، يمكننا القول: إن هذه الشخصية لها حضور فاعل في رحلة البغدادي الشعرية ، فقد استدعى البغدادي الكثير من الشعراء ومنهم أبو العلاء المعري[1] في قضاياه الفكرية، حيث أثر أسلوبه كثيراً في شعره، فقد استحضر أبياتاً لأبي العلاء المعري شهيرة* في قصيدته (لا جدوى) والتي عبر فيها عن إحساسه باليأس المصحوب بالسخرية والإحباط، وعدم القدرة على فعل

---

[1] هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعروف بالمعري نسبة إلى " معرة النعمان"، وهي بلدة بين حلب وحماة بالشام ، ولد عام 363 هـ ، ولم يبلغ الرابعة من عمره حتى اعتل بالجدري ، وذهب بصره ، فهو لا يعرف من الألوان إلا الأحمر ، لأنه أُلبس ثوباً معصفراً عند اعتلاله ، وتلقى علومه في بلدته" المعرة" ثم في طرابلس واللاذقية ، وتعددت علومه ومعارفه ، فأجاد العربية وتفوق في علومها ، وألم بالديانات وبعض المبادئ الفلسفية والكلامية ، رحل إلى بغداد ، وعاد منها خائباً ، فقرر اعتزال الناس والتزام بيته ، فطالت عزلته حتى بلغت خمسين عاماً ، ينظر معجم الأدباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1 ، ج 1 : ص249 .

* " وسمى نفسه (رهين المحبسين) لفقده بصره ولزوم بيته ، يقول :

أَرَانِي فِي الثَّلاَثَة من سُجُونِي فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ الخَبَرْ النَّبِيثِ
لِفَقْدِي نَاظِرِي ، و لُزُومَ بَيْتِي، وكَوْنِ النَّفْسِ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ

ينظر : لزوم مالا يلزم : أبو العلاء المعري ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 :ص 249 .

* الأبيات هي :

سِرْ إِنْ اسْتَطَعْت فِي الهَوَاءِ رُوَيْداً لاَ اخْتِيَالاً عَلَى رُفَاتِ العِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكَ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الأَزْمَانِ والأَبَادِ

ينظر : ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري : شرحه وضبطه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم 1998 م ، ط1 : 50 .

شيء تجاه قضية الموت الأزلية، وهذه الحكمة ترسخت لديه نتيجة تعاقب السنين والأجيال، وهذه التجربة ليست خاصة بالمعري وحده ، ولهذا وجدت صدقاً لدى المتلقي ، ففي قصيدة (لزومية إلى أبي العلاء) عبّر خالد زغبية عن الحياة في هذا العصر وليبرز أن حالها صار إلى الأسوأ مما كان عليه في العصور السابقة التي وصفها المعري في قصيدته (لا جدوى) والشاعر تأثر بالحِكم التي وردت في القصيدة وأعاد قراءتها وصياغتها وضمنها رؤيته، للحياة المعاصرة ومن خلال تشاؤمه من سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية حتى إن الأمور آلت إلى غير أهلها إلى درجة استواء السفيه والحكيم ، والمجد والحضيض ، والزمان والمكان ... يقول :

"سِيان يا أبا العلاء في اعتقادنا سِيانْ
لم يجْدِنا من نوحها غناءْ
لم يجْدِنا من شدوها بكاءْ
كلّا ولم يغررك من بشيرها نذيرْ
أو من نذيرها بشيرْ
في عصرنا قد يستوي الضدّانْ
قد يستوي الشبيه بالنقيضِ
والنقيض بالشّبيهْ ..
قد يستوي الحكيم بالسّفيه
والمجد بالحضيضْ
قد يستوي الزمان بالمكانْ "[1]

أما الشاعر إبراهيم الأسطى عمر• فقد استحضر شخصية أبي العلاء المعري رمز العطف والرحمة والشفقة على الضعفاء، والدفاع على المظلومين، ليقابل بها مواقف

[1] ديوان غداً سيقبل الربيع : خالد زغبية : 84 ، 85 .

متعددة في عالمه الحديث ؛ وما يرتكب فيه من أبشع الجرائم ، موجهاً لها الخطاب ، وذلك بسبب ما تعرضت له ليبيا وسائر البلاد العربية في النصف الأول من القرن العشرين من أحداث سياسية شكلت ضيق في نفس أبنائها ، وما تعانيها البلاد من مساوٍ ومظالم كثيرة ، فوقف منددا بحضارة الغرب وما آلت إليه من تقدم أهلك الشعوب الضعيفة، فيقول: (البسيط)

زَعَمْتَ أَنَّك (رَهْنُ المَحْبَسَين*) وَقَدْ كُنْتَ الطَلِيقِ فَلَمْ تَخْضَعْ لِتَيَارِ
دَافَعْتَ مُسْتَنْكِراً عَنْ رَاحَةٍ سَرَقَتْ (مَابَلَهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ)
فَمَنْ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسٍ تُسَاقُ إِلَى مَوْتٍ بِلَا جُنْحَةٍ تُقْضَى وَلَا ثَارْ
إِنْ كُنْتَ سَرَحْتَ بَرْغُوثاً ظَفَرْتَ بِهِ وَقَدْ تَعُودْ يُؤْذِي جِسْمَكَ العَارِي
فَعِنْدَمَا العَطْفِ مِنْ ضَعْفٍ وَغَايَتِنَا قَتْلَ الْأُبَاةِ أَوْ اسْتِعْبَادَ أَحْرَارٍ[1]

ويضيف في قصيدته (طال دائي) :

بَيْنَ آلامِي وَصَبْرِي بَيْنَ يَأْسِي وَرَجَائِي
بَيْنَ إِيمَانِي وَكُفْرِي ضَحْكِي وَبُكَائِي
يَا لَقَوْمِي طَالَ دَائِي آه بَلْ عَزَّ دَوَائِي
عَزَّ نَوْمِي دَامَ سُهْدِي طَالَ سَيْرِي فِي الظَّلامْ
خَابِطاً فِي الشَّوْكِ وَحْدِي بَيْنَمَا النَّاسْ نِيَامْ
أَطْلُبُ النُّورَ وَقَصْدِي يَنْجَلِي هَذَا القِتَامِ

---

* هو إبراهيم عبد الكريم بن إبراهيم بن الأسطى عمر ولد في أوائل شهر ديسمبر من عام 1908 بدرنة ، وبها تلقى مراحل تعليمه ، عاش يتيماً فقيراً حيث عمل في صباه حطاباً، ثم عمل بالجمارك ، واشترك في مسابقة للتوظيف القضائي ، فحصل منها على إجازة القضاء الأهلي عمل بعدها بالمحكمة ، ثم هاجر إلى مصر ، وسوريا ، والعراق ، وشرق الأردن، وهناك اتصل بعدد من الأدباء ، واتصل بأعضاء لجنة الدفاع عن برقة وطرابلس بدمشق ، عين قاضياً أهلياً ، ورأس فرع جمعية عمر المختار بدرنة ، توفي رحمه الله تعالى يوم 1950/9/26 ، له ديوان البلبل والوكر ، ينظر معجم الشعراء الليبيين ج/1 : 171

[1] ديوان البلبل والوكر : إبراهيم الأسطى عمر ، جمع : عبد الباسط الدلال وعبد اللطيف شاهين ، الإسكندرية مطبعة م . ك ، 1967 ، ط 1 : 108 .

....

أَتَرَانِي كَالْمَعَرِي عَاشَ فِي الشَّكِ الْمَرِيرِ

لَيْتَنِي طَلَّقْتُ فِكْرِي وَظِـلالِي وَنِدَائِي

يَا لَقَوْمِي طَالَ دَائِي آه بَلْ عَزَّ دَوَائِي[1]

أما رهافة إحساس البغدادي التي جعلته يشعر بمعاناة الشعراء والنابعة من معاناته ، مما جعله يعبر عن ذلك بعاطفة صادقة ، وبصدق فني خاص ، فالصدق الفني كما يقول محمد غنيمي هلال: "الصدق الفني أو الأصالة أساس تقدم الفنون جميعاً، ومنها فن القول، في كل العصور"[2] وربما هذا ما جعل البغدادي يستدعي هذه الأبيات لكي يمنح الصدق لفكره ومعالجته لقضية التجديد في الشعر "فقضية التجديد في الشعر عاناها الأقدمون كما يعانيها الشعراء المعاصرون؛ لأن اللغة تظل في ذاتها، ونتاج الشعراء يتشابه، ويتكَّرر عبر الزمان، يعلو بعضه بعضاً ، كذلك هي محنة الموت، كابدها الأولون، كما كابدها المعاصرون ، والأحياء يموتون ويوارون الثرى ، حيًّا بعد حي ، دفيناً بعد دفين"[3] ، فيقول (الخفيف):

يقول (الخفيف) :

بُورِكَ الشِّعْرُ منْ حَبِيبٍ وَفِيٍّ فَاقَ مَا فِي الحَيَاةِ مِنْ أَوْفِيَاءِ

طَيِّـعَ الحُـبِّ لا يَمَلُّ وَفَاءً صَادِقَ الوِدِّ مُفْرِطاً فِي العَطَاءِ

تَمْتَطِيهِ الشِّفَاهُ جِيـلاً فَجِيـلاً دُونَمَا نُفْرَةٍ و لاَ إِعْيَـاءِ

شَاعِرٌ إِثْرَ شَاعِرٍ وَقَوَافٍ إِثْرَ أُخْرَى تَغُصُّ بِالشُّعَرَاءِ

رُبَّ شِعْرٍ قَدْ صَارَ شِعْراً مِرَاراً مِثْلَ لَحْدِ القُبُورِ لابْنِ الْعَلاءِ

وَقَوَافٍ عَلَى جَمَاجِمَ أُخْرَى كَبِنَـاءٍ عَلَى بَقَايَا بِنَـاءِ

وَبُحُورٍ شِعْرِيَّةٍ أَفْرَغُوهَا فِي شِعَـابٍ صَخْرِيَّةٍ جَرْدَاءِ

---

[1] المرجع نفسه : 137 .

[2] النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال : 214 .

[3] لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي ، رسالة ماجستير : أم كلثوم محمد سعد المانع : 50 .

فَإِذَا الفُلْكُ رَاسِيَاتٌ بِقَاعٍ ظَامِيءِ الحَلْقِ دُونَ مَوْجٍ و مَاءِ [1]

إن قضية الشعر ومفهومه وتجديده تسيطر على فكر الشاعر ووجدانه ، وكأنه متشكك في إمكانية التجديد بشكله المطلق، فنتاج الشعراء يتراكم عبر السنين، فقد تولد قصيدة على ركام قصيدة أخرى ، ولكنها جميعاً قد تلبس نفس الثوب ....

يقـول : (الخفيف)

كَيْفَ أَشْدُوا لَكُمْ بِصَوْتٍ جَدِيدٍ لَمْ يُبَاشِرْ مَسَامِعَ القُرَّاءِ

وَجَمِيعُ الأَصْوَاتِ لَيْسَتْ عَذَارَى مَارَسَتْ كُلُّهَا فُنُونَ البِغَاءِ

الدَّوَاوِينُ كَالمَتَاحِفِ غُصَّتْ بِشِتَاتِ الأَفْعَالِ وَ الأَسْمَاءِ

حُشِرَتْ بِالْحُرُوفِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ كَسَبَايَا فِي حَوْزَةِ الأَشْقِيَاءِ

أَيْنَ مِنِّي مَقَاطِعٌ سَابِحَاتٌ سَارِحَاتٌ فِي كَوْنِهَا اللاَّنِهَائِي

أَيْنَ مِنِّي وكَيْفَ أَشْدُوا بِصَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي يَا مَعْشَرَ الزُّمَلاَءِ[2]

ولكن متى ما كان الشاعر " مخلصاً لرسالته، وممتلكاً لناصية اللغة، وأدوات التعبير الفني، حق له أن يشدو بأي نغم أراد ، وألا يأبه لأراء النقاد المتباينة في قضايا الوزن والقافية "[3]

يقول :

صَانِعُ النُّورِ لاَ يُبَارِحُهُ النُّو رُ، وَلَوْ عَاشَ خَارِجَ الأَضْوَاءِ

وَالَّذِي يَجْمَعُ الشَّذَى مِنْ شِفَاهِ الطَّ يْرِ لَحْنًا مُعَطَّرَ الأَصْدَاءِ

وَيُحِيلُ الأَنِينَ صَوْتاً شَهِياً نَتَعَاطَى رَحِيقَهُ فِي انْتِشَاءِ

سَيُغَنِّي بِأَلْفِ نَايٍ وَنَايٍ غَيْرِ نَاي الْخَلِيلِ وَالخَنْسَاءِ[4]

---

[1] ديوان على جناح نورس : 65 .

[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 66 .

[3] ديوان على جناح نورس : 50 .

[4] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 65 .

ومن الشخصيات الفكرية التي استدعاها البغدادي شخصية سقراط، وقد لجأ الشاعر كما في أغلب قصائده إلى المزاوجة بينها وبين شخصيتي المسيح والعذراء بما تحمله هذه المزاوجة من أبعاد، فهو يصور مرتكزاً على اعتقاد المسلمين أو المسيحيين في فكرة التسامح الذي نستشعره باستدعاء شخصية المسيح عليه السلام وذلك للتسامح مع الأشكال الشعرية ثم يلجأ إلى تخفيف هذا التسامح ، لينسف الأمل بوصفه ساحة الشعر يمرح فيها مفسدي الشعر، بحيث صارت حروفهم خرساء أي للدلالة على الشعر الموغل في الغموض والطلاسم (يقتل الشعر نفسه بيديه) وليعلن الشاعر موقفه الواضح والصريح من قضية الغموض في النصوص الشعرية بنقد يصل إلى التعنيف في قوله (والفساد العريض في ساحة الشعر)، يقول (الخفيف) :

أَيُّهَا السَّاهِرُ المُقَلِّبُ جَفْناً فِي مِهَادِ البَرَاعِمِ البَيْضَاءِ
أَنْتَ في وَاحَةِ الرَّجَاءِ بِلَيْلٍ غَشِيَتْ صُبْحَهُ يَدُ الظَّلْمَاءِ
لاَ يَغُرَّنَكَ السَّرَابُ بِأَرْضٍ بِيعَ فِيهَا السَّرَابُ لِلْبُلَهَاءِ
كَذِبَ المُوغِلُون فِي كُلِّ شِعْرٍ غَيْرَ شِعْرِ الطَّلاَسِمِ الْجَوْفَاءِ
الأُلى أَلْبَسُوهُ جُبَّةَ (سُقْرَا طٍ) وَثَوْبَ الْمَسِيحِ وَالْعَذْرَاءِ
والأُلى حَوَّلُوهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّـ ـمْسِ إِلَى غَرْبِهَا مَعَ الغُرَبَاءِ
وَسَرَتْ مَوْجَةُ الضَّيَاعِ الْمُقَفَّى فِي كَثِيرٍمِنَ الأُلَى وَ اللاَّئِي
وَالفَسَادُ العَرِيضُ في سَاحَةِ الشِّعْـ ـرِ وَفِينَا أَبَاحَ كُلَّ غُثَاءِ
يَقْتُلُ الشِّعْرُ نَفْسَـهُ بِيَدَيْـهِ في شِفَاهِ الأَغْرَابِ والدُّخَلاءِ
فَإِذَا بِالحُرُوفِ تُولَدُ خَرْسَاءَ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ حُرُوفَ هِجَاءِ[1]

[1] ديوان على جناح نورس: 64 .

إن قضية التجديد في الشعر تشغل فكر البغدادي والتي ظهرت فيما بعد في قصيدته هل يسمح الخليل أن أثور؟ والتي عبّر فيها عن معاناته وتمزقه بين الجديد والقديم ، وإن كانت في مجملها رسالة تضمنت الثورة على الطغيان، بقوله :

هَلْ يَسْمَحُ الخَلِيلُ أَنْ أَثُورَ مَرَةً عَلَى
أَطـلالِ بَيْتِـهِ الْقَدِيـمْ
أَعِيشُ لَحْـظَةً وَاحِـدَةً
مُحَلِّقاً عَلَى جَنَـاحِ نَوْرَسٍ طَلِيقْ
يَبْحَثُ عَنْ إِشْرَاقَةٍ وَرْدِيَةٍ مِنَ الْأَمَلْ
وَيَرْفُضُ التّغْرِيدَ فِي الشَرَانِقِ المُعَلَّبَة
وَلَـوْ مِنَ الْحَـرِيرْ
.....
مُخَلِّفاً وَرَاءَ حُلْمِهِ الجَمِيلْ : مُعَسْكَرَ الْخَلِيلْ
يَغُوصُ فِي رِمَالِ غَابِرِ الفَيَافِي وَسَالِفِ العُصُورْ
فِـي الطَّــرَفِ المَهْجُورْ
وَتَسْكُنُ القَوَافِي مِنْ أَجْنُدِهِ أَحْدِيَةً مَثْقُوبَـةً
تُمَزّقُ السُّكُونْ ، بِوَقْعِهَا المُفْرَطِ فِي الرَّتَابَهْ
كَأَنَّهَا دَقّـاتُ طَبْلٍ أَجْـوَفٍ
مَا بَيْنَ كُـلّ دَقَّـةٍ وَدَقَّـةٍ
مَسَاحَــةٌ تُقَـاسُ بِالــذِرَاعْ
وَالْوَيْلُ لِلشّرَاعْ إِنْ تَاهَ عَنْ مَوَاطِنِ الْإِرْسَاءِ وَالإِقْلَاعْ
إِلاّ إِذَا اسْتَجَــارَ بِالْخَلِيـلْ [1]

و الشاعر يتردد في الخروج من مدرسة الخليل ، بالرغم من إصـراره على الخروج منها، والثورة على قيودها، وكأن الشاعر يلمح إلى الواقع المعاش بكل قيوده، وإحباطاته:

[1] ديوان على جناح نورس :75 .

من وثنية الفكر، وتعطيل العقل، وعبودية الحس، ومأساة الأمة في حكامها وسلامها وتطبيعها، ومأساة المواطن في حريته وكرامته، فيقول:

وَبَعْدَ أَنْ أَعْدَدْتُ مَا ادَّخَرْتُهُ
مِـنْ بَالِـغِ الإِصْــرَارْ
لِلْبِـدْءِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ مُعَسْكَـرِكْ
خَبَّأْتُ نَفْسِي فِي خَبَايَا وَمْضَـةٍ وَرْدِيَّةٍ مِنَ الأَمَـلْ
وَكِدْتُ أَخْطُو فِي الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ الْمُمْتَدِّ فِي كُلِّ اتْجَاهْ
أَمْسَكْتَ بِي فِـي مَدْخَـلِ الْمُوَاجَهَـةْ
وَعِنْدَهَـا رَمَيْتَنِـي بِصَـرْخَةٍ مَجْنُونَـةٍ :
يَا عَبْـدُ قِـفْ
.....
وَعِنْدَهَـا وَقَفْتُ ، بَـلْ أَفَقْـتْ !
وَلَيْتَ حُلْمِـي الـوَرْدِيَّ لَمْ يُفِقْ !
وَكَانَتْ الْمَأْسَـــاةْ [1].

ويضيف أنّ هذه الطاعة العمياء أي انتصاره للشعر القديم محببة لديه وكأنه عَاد إليها اختيار باعثاً في النفوس الأمل مع أنّ مبررها بيئة اعتادت وتعودت على القيود والكثير من القيود، فيقول :

الطاعة العمياء ، للسلطان مهمـا كـان
وعدت غير مكره إلـى معسكـر الْخليلْ
أمارس العزف على أنغام سيـدي مولاي
.....
نُوَجِّهُ الْتَيَار والْمَسَـارْ حسبمـا تشـاء

[1] المصدر نفسه : 76، 77 .

لأنني يا إخوتي نشأت في مستنقعٍ لا يعرف الْهواءْ
وَعَتْمَـةٍ لاَ تَعْـرِفْ الضِّيــاءْ[1]

ومع انتصاره للقديم إلا أن الشاعر يتسامح مع كافة الأشكال الشعرية فيطلب من قرائه أن يقرؤه بجنونه في قصيدة (وجه بلا قناع) ويعبر عن ذلك بمجنون ليلى للدلالة على الشعر وقد تحمل معنى الواقع السياسي يقول (الخفيف) :

كُلُّ لَيْلَى وَقَيْسُهَا وَهَوَاهَا وَبَنُو قَيْسَ يَرْفُضُونَ التَّبَنِي
وَعَلَى الشِّعْرِ أَلْفُ لَيْلَى فَاتْبَعُوهُمْ وَبَاعِدُوا اللَّوْمَ عَنِّي
لَسْتُ صَيْدَ الْفَرَى وَلاَ بُحْتِرِيّاً أَزْرَعُ الْبَدْرَ وَ النُّجُومَ وَ أَجْنِي
لَسْتُ "قَيْساً " وَلاَ "لَبِيداً " جَدِيداً لَسْتُ "زرياب" عَصْرِهِ فِي التَّغَنِّي
غَيْرَ أَنِّي وَيَعْلَمُ اللهُ أَنِّي أَعْشَقُ الشِّعْرَ وَالجُنُونَ وَأَنِّي
هَزَّنِي الشِّعْرُ فَانْجَذَبْتُ بِلاَ وَعْـ ـي، وَرَاوِدْتُـهُ فَأَعْرَضَ عَنِّي [2]

للتعبير عن الحب المستحيل أي الماضي الجميل والتاريخ المشرق في عالمنا العربي والإسلامي، فالشاعر يستدعي مثل هذه الشخصية للرجوع لفترة زمنية لها سماتها وخصائصها المميزة ؛لإضفاء جمالية على القصيدة لم يكن الشاعر ليحققها لو لم يرجع لهذه الفترة، بينما في قصيدة (وقفةٌ على الشَّاطِئ السِّتِينْ) يستدعي شخصية ليلى للدلالة عن اختلاف آراء الناس وأفكارهم مع تقلبات الزمن ، وقد تحمل معنى التمرد بداخله؛ لأن التمرد طاقة كامنة لا تجد لها سوى منفذ واحد، وهو رفض الأسلوب القائم، والخروج عليه واستبداله بآخر يكون تأثيره أكثر وأشمل نفعاً له وللآخرين"[3] فالتمرد ليس رفض بقدر ما هو إرادة من أجل التغيير بل هو "إصرارٌ على التغيير لواقع عاش أكثر مما

[1] ديوان على جناح نورس : 77 .

[2] ديوان على جناح نورس : 200 .

[3] تمرد بشار على الحياة والإنسان ، وأثر ذلك في شعره صياغة ومضموناً : عبد الكريم سليمان أبوخشان ، جامعة الإسكندرية ، 1977 : 8 .

يجب على مغالطة ما، لا ينبغي لها أن تستمر بعد لحظة التمرد"[1] فالشاعر يرفض أن يكون مسالماً في وجه الزمن الشاغب ، فهو يملك الشعر، ولابد له أن يقاتل من أجل الكلمة، يقول : (الكامل)

مَا كَانَ أَجْمَلَ أَنْ أَظَلَّ مُسَالِماً شَتَّانَ بَيْنَ مُسَالِمٍ وَمُحَارِبِ
ـَكِنَّهُ الزَّمَنُ المُشَاغِبُ قَلَّمَا تَحْيَى بِهِ إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُشَاغِبِ
زَمَنٌ بِهِ يَشْقَى الحَليمُ بحِلْمِهِ فَيَضِيعُ بَيْنَ ثَعَالِبٍ وَعَقَارِبِ
فَالنَّاسُ قَابِيلُ " وهَابِيلٌ "•وَمَا مِنْ زَاهِدٍ فِيهِمْ وَلاَ مِنْ تَائِبِ
كُلٌّ لَهُ لَيْلَى يَهِيمُ بحُبِّهَا لاَ فَرْقَ بَيْنَ مُكَاشِفٍ وَمُوَارِبِ
وَالكلُّ يَسْعَى لاسْتِلابِ وَرِيثِهِ ليَصِيرَ ميراثاً لآخِرِ سَالِبِ•
وتضِيعُ أَيَّامُ الحَيَاةِ فَرِيسَةً مَا بَيْنَ مَغْلُوبِ الرِّهان وغالِبِ[2]

إنّ الاهتمام بالشكل وفصله عن المضمون، لا يخلق الشاعر الجيد "لأن الشكل وحده لا يخلق القصيدة الجيدة ولا شاعراً أيضاً، والشاعر المقتدر هو الذي يملأ الشكل إبداعاً مهما كان قديماً أو حديثاً، ذلك أنّ الشكل وحده عبارة عن مقاطع صوتية فارغة لا تحمل أي مضمون"[3] ويمضي البغدادي مصوراً مأساة ميلاد القصيدة إذ قد تموت القصيدة وهاهي تبحث عن التجديد، ويتساءل الشاعر هل عساه يقف وقوف امرئ القيس على الأطلال، يقول : (الخفيف)

يَا(قِفَا نَبْكِ) كَمْ وَقَفْنَا لِذِكْرَى وَبَكَيْنَا وَلَمْ نَزَلْ فِي بُكَاءِ
لَوْ وَقَفْنَا عَلَى الطُّلُولِ لَقَالُوا أَوُقُوفاً وَالوَقْتُ وَقْتَ انْحِنَاءِ
أَوْ مَرَرْنَا عَلَى الرُّسُومِ صَبَاحاً لأَرَادُوا المُرُورَ وَقْتَ المَسَاءِ
(مَا أُرَانِي أَقُولُ إِلاَّ مُعَـاداً) مِثْلَ مَا قَالَ سَالِفَ القُدَمَـاءِ

---

[1] المرجع نفسه : 6 .

• " وِهَابِيلٌ" هكذا وردت في الديوان .

• سِالِبِ هكذا وردت في الديوان .

[2] ديوان على جناح نورس: 275 .

[3] رؤية نقدية في نقد الشعر : د كمال نشأت ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ، 1991 م : 37 ، 38 .

غَيْرَ أَنِّي فُتِنْتُ وَالشِّعْرُ يُغْرِي بِاقْتِحَامِ الأَخْطَارِ والأَخْطَاءِ
كَيْفَ أَشْدُو لَكُمْ بِصَوْتٍ جَدِيدٍ لمْ يُبَاشِرْ مَسَامِعَ القُرَاءِ
وَجَمِيعُ الأَصْوَاتِ لَيْسَتْ عَذَارَى مَارَسَتْ كُلُّهَا فُنُونَ البِغَاءِ
الدَوَاوِينُ كَالْمَتَاحِفِ غُصَّتْ بِشِتَاتِ الأَفْعَالِ والأَسْمَاءِ[1]

ويستحضر الشاعر هذه الشخصية للمفارقة فامرئ القيس وقف على الأطلال أما نحن فقد انحنينا للانكسارات، فالوقت وقت انحناء والزمن زمن المساء للدلالة على عدم تفاؤله بعصره، وفي قصيدة (بكائية على مقام العشق النزاري) يستدعي الشاعر شخصية الشاعر امرئ القيس•، والشاعر بشار بن برد ليُبَين قصور نفسه الشعري عن نظم شعر يعبر به عن اللوعة والحزن اللذان يسيطران عليه،"ويجعل الشاعر من مرثيته موازنات بين شخصية (نزار قباني) وشخصيات شعرية معروفة في التراث ، ويعتمد على إظهار الأسى والحزن على فقده، ثم يفضله على (لبيد بن ربيعة) و(مهيار الديلمي) وليس بين هذين الشاعرين المختلفين، وبين شعر نزار أي صلة، إلا أن الشاعر أراد أن يشير بهما إلى أفضل عصور الشعر العربي من وجهة نظره طبعاً . وهما العصر الجاهلي الذي يمثله لبيد والعباسي الذي يمثله مهيار"[2]:

يَا أَبَا الشِّعْرِ كَيْفَ أَرْثِيكَ شِعْراً لَسْتُ "قَيْساً " أَنَا وَلاَ " بَشَّارَا"
أَيُّ شِعْرٍ تَرَاهُ يَسْمُو وَفَاءً مِثْلَمَا كُنْتَ لِلْوَفَاءِ شِعَارَا
زُلْزِلَتْ قِمَّةٌ وَدُكَّتْ قِلاَعٌ وَبَقَيْنَا الطُّلُولَ وَالْآثَارَا
لِمَنْ الشِّعْرَ بَعْدَ فَقْدِ نِزَارٍ لاَ لَبِيداً أَرَى وَلاَ مِهْيَارَا
لاَ عَلَيْنَا إِذَا بَكَتْنَا اللَّيَالِي بَعْدَ أَنْ غَابَ نَجْمُهَا وَتَوَارَى[3]

ومن قصيدة متى ترضين؟ يستدعي الشاعر شخصية زهيربن أبي سلمى* الذي وُفق في الصلح بين هرم وعبس للدلالة عن نفسه في المحاولة للإصلاح بين العراق والكويت،

---

[1] ديوان على جناح نورس : 65 ، 66 .

•

[2] قضايا الإنساني الشعر الليبي المعاصر(2000.1970) : سليمان زيدان ، مجلس الثقافة العام 2006 : 174 .

[3] ديوان على جناح نورس : 348 .

وأن تتمكن نفسه الشاعرة من نظم أبيات يكون بها سفير صلح كما كان زهير سفير صلح بين عبس وذبيان ، فيقول : (الوافر)

وتِلْكَ دِمَاؤُنَا فِي القُدْسِ تَجْرِي ويَغْضَبُ إِنْ بَكَيْتِ أَوْ اشْتَكَيْتِ
فَأَرْثِي " مَقْدَسِي " بِرِثَاءِ " عَبْسِ عَسَى " رَمُ " يَرِقُ لِمَنْ رَثَيْتِ
ولا هَرَمُ يَلُوحُ ولا " زُهِيرْ " كَأَنِّي مَا قْتَتَلتْ ومَا اعْتَدَيْتْ
وكَمْ "عَبْساً" وكمْ ذُبْيَان ضَاعَتْ وكَمْ نَهْجاً سَلَكْتُ ومَا اهْتَدَيْتْ
وتَنْهَشُ أُمَتِي لَحْماً و عَظْماً وأَفْخَرُ بِالنَّجَاةِ إِذَا نَجَوْتِ
وقَدْ يَحْمِي القَطِيعُ حَيَاةُ شَاةٍ فَإِنْ جَفَلَتْ فَأَسْرٌ ثُمَّ مـوْتُ
وَمَنْ لَمْ يَتَّعِظْ لِغدٍ بِأَمْسٍ سَيُكْوَى فِي الصَّمِيمْ كَمَا اكْتَوَيْتِ[1]

وكأن الشاعر يستحضر أبياتاً لزهير تصف الحرب بالنار التي تلتهم كل شيء والرحى التي تطحن أبناءها دون شفقة أو رحمة ، وشرور تتوالد وتتكاثر وويلات تجر الخراب

---

* ولد زهير في بلاد " مزينة " بنواحي المدينة .مات أبوه وهو صغير ، فترعرع يتيماً في بني غطفان ، أخوال أبيه ،عمّر طويلاً، عاش أحداث حرب داحس وغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان، ورأى ما خلّفته من يتم وهلاك ، وعذاب وفقر، فنظم معلقته ، داعياً إلى البر والوفاء ، مشيداً بمروءة هرم بن سنان والحارث بن عوف ، الذين سعي في الصلح، وتحملا ديات القتلى، وظل الشاعر يمدح هرماً ويمجده ويغدق عليه ويعطيه...،ويروى أن عمر ابن الخطاب قال: ذهب أعطيتموه وبقى ما أعطاكم رداً على قول بعض ولد هرم: إنا كنا نعطيه فنجزل والأبيات هي :

تَدَاركْتُمَا عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا ودقّوا بَيْنَهم عِطَر مَنْشَمِ
وقد قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السّلمَ واسِعاً بِمَالٍ ومَعْرُوفٍ مِنَ الأَمْرِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ بَعِدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدّ هُدِيتُمَا وَمَنْ يَسْتبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجدِ يَعْظُمِ
وَأَصْبَحَ يُحْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلاكمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَـالٍ مُزَّنَمِ

ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى : شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3، 106

[1] متى ترضين ؟ قصيدة مخطوط

والدمار ، تنبعث لأتفَهْ الأسباب ، كعود ثقاب يرمى في كومة من الهشيم (سَيُكْوَى فِي الصَّمِيمْ كَمَا اكْتَوَيْتِ) كما يقول زهير: (الطويل)

ومَا الحَربُ إلاّ ما عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وما هوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

متى تَبعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وتَضْرَ إذا ضَرّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمُ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْفَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَـجْ فَتُتْئِمْ

فَتُنْتِجْ لَكُم غِلْمانَ أَشْأَمَ كَلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ[1]

[1] ديوان زهير بن أبي سلمى: شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3: 107.

المبحث الرابع

الشخصية الشعبية الخرافية والأسطورية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي

الشخصية الشعبية الخرافية والأسطورية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي :

أولاً / الشخصية الشعبية :

ومن هذه الشخصيات شهريار، والسندباد والتي تعددت ملامحها في الشعر العربي المعاصر بتنوع أبعاد تجربته الشعرية ، فالبغدادي يستدعي شخصية السندباد الخرافية والتي تعد من أهم ما تركه التراث الشعبي وقد يستعان بها في توجيه السلوك ، والبغدادي في استخدامه لشخصية السندباد لا ينحُو منحى الشعراء الذين تناولوها في أشعارهم، فهو لم يذكر السندباد كشخصية رمزية في شعره بل ترك ذلك للمتلقي من خلال السياق في النص الشعري ، وتتمثل الملامح العامة لشخصية السندباد التي تظهر في شعر البغدادي: في المغامرة والتجوال والارتياد التي "تطل علينا من وراء كل ملمح معاصر من ملامح مغامرة الشاعر في البحث عن ذاته، وارتياده دروباً من التجربة الحياتية في سبيل اكتشاف هذه الذات"[1] ، يقول : (الطويل)

يَا وَاحَةً فِي فِجَاجِ الأَرْضِ تَغْمُرُنِي ظِلاَلُهَا كُلَّمَا لَجَّتْ بِيَ السُّعُرُ
أَحْلَى المَغَانِي وَأَنْدَهَا وَآنَسَهَا إِلَى الحَيَارَى وَإِنْ عَقُّوا وإِنْ غَدَرُّوا
عَظِيمَةٌ أَنْتِ يَا سَمْرَاءُ فِي نَظَرِي مَهْمَا تَلَوَّنَ في أَحْدَاقِكِ النَّظَرُ
أَبْحَرْتُ فِي مَوْجِكِ الدَّامِي عَلَى عَجَلٍ فَلَجَّ فِيهِ شِرَاعِي وَهْوَ مُنْكَسِرُ
أُصَارِعُ الرِّيحَ فِي أَعْتَى زَوَابِعِهَا أَطْفُوا بِجِسْمِي قَلِيلاً ثُمَّ أَنْحَدِرُ

[1] استدعاء الشخصيات التراثية : د. علي عشري زايد : 78 .

قَوِيَّـةٌ أَنْتِ لاَ ضَعْفَ يَدُبُّ إِلَى حِمَاكَ مِثْلِي ولاَ خَوْفٌ ولاَ حَذَرُ
لاَ عَيْبَ فـي قَدَمٍ زَلَّتْ بِهَا حُفَرُ لَكِنَّمَا العَيْبُ إِنْ رَاقَتْ لَهَا الحُفَرُ [1]

وهو في استخدامه لهذه الشخصية التراثية إنما يستعير منها " المدلول العام ويتخذ من هذا المدلول إطاراً عاماً يملؤه بالملامح المعاصرة بحيث لا ترد داخل هذا الإطار أية إشارة خاصة إلى الشخصية المستعارة "[2]، وتتمثل صور الشاعر في (أبحرت في موجك . لج فيه شراعي . أصارع الريح أطفوا بجسمي . أنحدر) فالصور مليئة بالأحداث والحركات تبعاً لأفعال النص ، فالبحر في النص الشعري يعطي عدة دلالات فقد يكون: بحر الحياة أو بحر الحب أو بحر النسيان ، فكلها بحور يهرب أحياناً فيها المرء من فشله، أو يهرب إليها كتعويض لنقص يستشعره "[3] والبحر عند الشاعر هنا يحمل عدة معاني فهي قد تكون السمراء التي هي خيال أم حقيقة ، وقد يكون القارة الإفريقية التي ظلت قوية ، وهنا تظهر القيمة الفنية للرمز الذي يحمل أكثر من معنى ، وليس الإسراف في الغموض الذي يرفضه الشاعر بقوله: (الخفيف)

يَقْتُلُ الشِّعْرُ نَفْسَـهُ بِيَدَيْهِ فِي شِفَاهِ الأَغْرَابِ وَالدُّخَلاَءِ
فَإِذَا بِالْحُرُوفِ تُولَدُ خَرْسَا ءَ ، كَأَنْ لَمْ تَكُنْ حُرُوفَ هِجَاءِ [4]

لقد استطاع البغدادي من خلال شخصية السندباد الرحالة والمغامر أن يجسد تجربته الخاصة في رحلته مع الشعر، رحلة الخلق والابتكار: لأنه "ما من شاعر معاصر إلا وقد اعتبر نفسه سندباداً في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية"[5] والبغدادي في قصائد عديدة منها: الإبحار إلى المجهول، ووقفةٌ على الشاطئ الستين، وأشواق عربية

---

[1] ديوان على جناح نورس : 260

[2] استدعاء الشخصيات الثراثية : د . علي عشري زايد : 253 .

[3] سوسيولوجيا الغزل العربي : الطاهر لبيب ، محمد حافظ ذياب ، سينا للنشر ، 1994 ، ط 1 : 154

[4] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي 64 .

[5] الصور الفنية في شعر علي الفزاني : أ . حنان محمد شلوف ، منشورات جامعة 7 أكتوبر إدارة المطبوعات والنشر ، مطبعة الأمة للنشر والتوزيع ، مصراتة ، 2007 ، ط 1 : 195 .

مهاجرة إلى الحبشة، وغيرها، قد وجد في "هذه المغامرات وتنوعها إمكانيّات فنية رائعة للتعبير عن جوانب تجربته التي هي بدورها مغامرة مستمرة في الكشف وارتياد المجهول بحثاً عن كنوز الشعر، ومن ثم أسقط على هذه المغامرات ملامح تجربته المعاصرة بشتى أبعادها"[1]، وفي قصيدة أخرى يستدعي الشاعر بعض القصص، التي جاءت في حكايات ألف ليلى وليلى، وذلك بوصف جزيرة مالطا* بعروس البحر ويستدعي شخصية البحار الاعتبارية، ليعبر الشاعر عن معاناته مع الشعر وأن القصيدة الجيدة تحتاج إلى ربان ماهر، وقد أضاف لهذا المعنى بوصف القصيدة بالمرأة الجميلة (عروس البحر) التي تتق بجمالها، ولا تمنح أسرارها إلا عندما تطمئن إلى عبقرية الشاعر ، ومع ذلك لا تمنحه ضمانة بشاعريته، يقول الشاعر : (الكامل)

وَذَرَفْتَ دَمْعَكَ لافْتِقَادِ أَحِبّةٍ فَذَرَفْتُ دَمْعِي لافْتِقَادِ حَبَائِبِي
وَجَزِيرَتِي مَرْسَاي طَيْفٌ شَارِدٌ مِثْلِي ، وصَدْرِ لا يَضِيقُ بِرَاغِبِ
وَعَرُوسُ بَحْرٍ مَا أَلَذَّ عَذَابَهَا فِي نَفْسِ كُلِّ مُغَامِرٍ و مُضَـارِبِ
هَادَنْتُ أَشْرِعَتِي بِهَا وَجَعَلْتُهَا مَشْتَايَ فِي رَمَقْ الخَرِيفِ الشَّاحِبِ
فَحَنَتْ بِأَضْلُعِهَا عَلَيّ وَأَرْسَلْتْ كَفَّيْنِ دَافِئَتَيْنِ صَوْبَ مَنَاكِبِي
رَيَّانَةً بِالدَّمْـعِ ضَارِعَةَ الأَسَى تُبْدِي تَسَامُحَ زَاهِدٍ أَوْ رَاهِبِ
....
فَعَلِمْتُ أَني قَدْ لَمِسْتُ جِرَاحَهَا وَالشِّعْرُ أَرْفَقُ مَا يَكُونُ بِكَاعِبِ
فَتَطَلَّعْتْ نَحْوِي بِجَفْنٍ عَابِسٍ وَهَوَتْ عَلَى صَدْرِي بِهَمْسٍ عَاتِبِ
لا تَنْتَهِكْ بِالشِّعْرِ حُرْمَةَ شَاطِئ فَلَكَمْ خُدِعْتُ بِشَاعِرٍ وبِكَاتِبِ
حَسْبِي وَحَسْبُ "القُدْسِ" شِعْراً زَائِفاً يَرْجُو السَّلامَةَ لِلْعَدُوِّ الغاصِبِ[2]

---

[1] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د . علي عشري زايد : 199 .

* جزيرة تقع في البحر الأبيض المتوسط تتكون من ثلاث جزر هي : مالطا ، وغوسو ، وكومينو تبعد 240 كم عن شواطئ ليبيا ، ينظر الموسوعة الدولية للعالم أواخر القرن العشرين : محمد توفيق سماق ، مطبعة الجمهورية ، بيتموني وشركاه ، الجمهورية العربية السورية : 745 .

[2] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي 277 ، 278 .

أما في القصيدة المدخل فالبغدادي يستحضر شخصية السندباد للتعبير عن رحلة الشاعر في بحر الشعر وقضية التجديد في الشعر ، وربما قضية نظم الشعر ، فالدواوين مليئة بالأفعال والأسماء ، فكيف للشاعر أن يشدو بصوت جديد غير صوت شعراء التفعيلة ، فهو شاعر يعتز بانتمائه لأمة شاعرة في زمن فقدت فيه الأمة هويتها وتحولت إلى مجرد أرقام ، والتفرق والتشتت يجمعها ...

بَيْنَ دُنْيَا الشُّعَاعِ وَالنَّغَمِ العَذْ بِ وَسِحْرِ الخَيَالِ والإِيحَاءِ
أَيْنَ مِنِّـي وَكَيْفَ يَا أُمْنِيَاتِي يَا ارْتِيَاحِي وَلِذَّتِي وَشَقَائِي
يَا مَلاذِي مِنَ الحَيَاةِ إِذَا مَا ثَقُلَتْ غُرْبَتِي وَ جَـُـّنّ مَسَائِي
أَيْنَ مِنِّي وَكَيْفَ أَشْدُ بِصَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي يَا مَعْشَرَ الزُّمَلاَءِ
فَأَنَا مُبْحِرٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ بَيْنَ أَيْدِي عَوَاصِفٍ هَوْجَاءِ
وَتَلاشَتْ مَرَافِئِي ، فَسَفِينِي تَائِهُ السَّيْرِ دُونَمَا إِرْسَـاء
جَاهِلِيُّ الخَيَالِ أَعْرِضُ شِعْراً جَاهِلِيّاً بِسُوقِ عَصْرِ الفَضَاءِ
قَدَرِي أَنْ أَظَلَّ رَغْمَ انْتِمَائِي لَكَ يَ شِعْرُ مُتْعَباً بِانْتِمَائِي
إِيهٍ يَا شِعْرُ كَمْ لَمَسْتَ شِفَاهاً قَبْلَنَا وَجَمَعَتْ مِنْ أَنْبَاءِ
وَتَقَلَّبْتَ فِي مِسَاحَاتِ جُرْحٍ مِنْ جِرَاحِ الهُمُومِ وَ الأَرْزَاءِ
....
وَصَحَوْنَا عَلَى صَدَى فَرْقَعَاتٍ مِنْ بَقَايَا الضّجِيجِ وَالضَّوْضَاءِ
ثُمَّ لا شَيْءَ غَيْرَ مَحْضَ هُرَاءِ يَا لَهُ فِي حَيَاتِنَا مِنْ هُرَاءِ
يَعْرُبِيّونَ وَالهَوَى جَاهِلِيُّ مُنْذُ كُنَّا وَلَمْ نَزَلْ فِي ابْتِلاءِ[1]

ومن التراث الشعبي نلحظ شخصية شهريار كإشارة ، ولم توظف هذه الشخصية التوظيف الأمثل ، ويمكننا القول أنها جاءت لدواعي الوزن في مرثية نزار قباني :

[1] ديوان على جناح نورس : عبد المولى البغدادي : 67 .

الملايين أسلمته هواها لم يكن " قيصراً" ولا "شهريار"[1]

ثانياً الشخصية الأسطورية :

إن الأسطورة بمعناها الأعم حكاية خرافية مجهولة المُؤَلِفْ، تتحدث عن الأصل والعلة والقدر، وهي نتاج لسعي الإنسان الدائم لصوغ هواجسه وأفكاره وأحلامه وتصوراته في شكل نزوح جامع إلى الفهم والتفسير، يقول (كلود ليفي شتراوس) : " ...لكن الأسطورة لا نصيب لها من النجاح في إعطاء الإنسان قوة مادية أشد للسيطرة على البيئة، إنها مع ذلك تعطي الإنسان وهم القدرة على فهم الكون وأنه فعلاً يفهم الكون، وهذا بالغ الأهمية ، لكنه مجرد وهم بالطبع"[2] وهذا الوهم يجعل الشاعر يتخذ الأسطورة "لإحداث توازٍ مستمر بين العالم القديم والعالم الجديد ، وللسيطرة على تلك الصورة العريضة من العقم والفوضى التي تكون تاريخنا المعاصر"[3] فتتحول هذه الصورة العريضة إلى ذاكرة جماعية تحفظ خلالها القيم والعادات كمخزون ثقافي" والأسطورة بعد ذلك حين تتكرس كذاكرة للجماعة تحفظ قيمها وعادتها وطقوسها وحكمها وتنقلها للأجيال المتعاقبة فإنها لا تكون مقصودة بذاتها ومن باب أولى دورها الثقافي والإنتربولوجي"[4]، ويبقى مجهود المتلقي في تفعيل مسار القراءة والإيحاء وتعدد التأويل، هكذا "يزداد الغموض عمقاً وثراء باستخدام الأسطورة في الشعر الحديث، وبذلك يتحقق الاغتناء الخصب للمتلقي وهو يضاعف مجهوده لالتقاط الأبعاد الإنسانية والحضارية والفكرية والواقعية، ويقوي حضورها ويرفع من قدرتها التعبيرية إذ يوصل اشتراكاته النفسية والوجدانية والفكرية من أجل صنع الرؤية الشعرية"[5] وفي الشعر الحديث تستخدم الإشارة

---

[1] ديوان على جناح نورس : 348 .

[2] الأسطورة والمعنى : كلود شتراوس ، ترجمة صبحي حديدي ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2 1986 م : 17 ، 18 .

[3] البطل في الأدب والأساطير: د .شكري محمد عياد ، دار المعرفة ـ القاهرة ط 1 : 164 ، 165 .

[4] مغامرة العقل الأول ، دراسة في الأسطورة : فراس السواح ، بيروت 1981 : 15 ـ 16 .

[5] مجلة الفصول الأربعة : العدد 41 ، 42 : 68 .

الأسطورية، حيث إن "الإشارة الأسطورية صورة مكثفة للتعبير عن طريق التجسيد الشعري"[1] والأسطورة هي نوع من أنواع الرموز التي تعبر عن وجهة نظر شاملة حول جدل ما؛ ولكنها تخضع للسياق الشعري "إن الأسطورة أقرب إلى أن تكون جمعاً بين طائفة من الرموز المتجاوبة يجسم فيها الإنسان وجهة نظر شاملة في الحقيقة الواقعة، وهذا التجاوب بين رموز الأسطورة لا يمثل علاقات "جدلية" ومن ثم تعود الأسطورة لتخضع لمنطق السياق الشعري، شأنها في ذلك شأن الرموز غير المرتبطة بأسطورة "[2] وحينما ينتقل توظيف أسطورة إلى التعبير عن الواقع الراهن فإن ذلك يتم من طريق "رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية، وبذلك تكون وظيفة الأسطورة تفسيرية استعارية، أو إهمال شخصياتها وأحداثها والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيها بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله، وبذلك تكون الأسطورة رمزية بنائية تمتزج بجسد القصيدة ..."[3] يقول : (البسيط)

بِلْقِيسُ* وَالْمُلْكُ في يُمْنَى مَعَاصِمِهَا أَوْدَتْ بِهَا الرِّيَبُ الحَمْقَاءُ وَالغِيرُ
وَلَّى سُلَيْمَانُ عَنهَا كَيْفَ تَتْبَعُهُ وَكَيْفَ تَقْتَصُّ مِنْ سَابَا وَتَنْتَصِرُ
بَثَّتْ مِنْ الوَجْدِ أَلْوَاناً فَمَا صَرَفَتْ هَوَى سُلَيْمَانَ عَنْهَا إِنَّهُ بَشَرُ
هَدَّ العُرُوشَ ، أَذَلَّ الْجِنَّ ، وَامْتَثَلَتْ لَهُ الشَّيَاطِينُ يَدْعُوها* فَتَأْتَمِرُ
لَكِنَّ خَمْرِيَةَ الأَحْبَاشَ قَدْ نَصَبَتْ لَهُ الشِّبَاكَ فَلَمْ يَفْلِتْ بِهِ الحَذَرُ
عُرْسٌ مِنَ الْجِنِّ في"أُكْسُوم*" قَدْ رَقَصَتْ فِيهِ النُّجُومُ وَغَنَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَخاصَرَ الإِنْسُ حُورَ الجِنِّ وَالْتَهَبَتْ فِيهِ الكُؤوسُ وَرَنَّ العُودُ وَالوَتَرُ[4]

---

[1] الأسطورة في الشعر العربي الحديث : د.أنس داود، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، د . ط : 232 .

[2] الشعر العربي المعاصر : د . عز الدين إسماعيل : 201 .

[3] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : 288 .

* يَلْقِيسُ هكذا وردت في الديوان .

* يَدْعُوهَ هكذا وردت ففي الديوان

* عاصمة الأحباش التاريخية التي كان بها النجاشي ، ينظر ديوان على جناح نورس : الهامش : 254 .

[4] ديوان على جناح نورس :254 .

وقد استند الشاعر على أسطورة مفادها أن نبي الله سليمان عليه السلام زار الحبشة وأقام بعاصمتها (أكسوم)، وهناك أحبَّ فتاة اسمها (سابا) وتزوج بها لتعود إلى قومها ، وقد حملت من سليمان ولداً نشأت منه سلالة الأحباش، ومع مخالفة هذه الأسطورة لعقيدته الدينية فالشاعر المعاصر "لا تعنيه الأسطورة إلا بقدر ما يتخذ من موقفها العام رمزاً لموقف عصري يشبه نوعاً من المشابهة، وهي لا يمكن أن تنهض بهذه الغاية إلاّ إذا أصبحت لبنة عضوية في بناء القصيدة الحي، ولم تكن مجرد إضافة خارجية يلجأ إليها الشاعر لتزيد الصورة أو المبالغة في تقرير الفكرة "[1].

فقد استدعى هذه الأسطورة للدلالة على شعور الأخوة تجاه الأفريقيين وكذلك طغيان الإحساس الإنساني الذي يسمو بالإنسان، فيشعر بأخيه الإنسان، والبغدادي وكغيره من الشعراء يستدعون الشخصية الأسطورية "مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقة إيحائية خارقة، ومن خيال طليق لا تحده حدود"[2] ليتحقق له توظيف الشخصية أو القصة الأسطورية التوظيف الأمثل "فالشاعر في استدعائه لهذه الشخصيات الأسطورية يتحدث عن أفذاذ من النابغين وأبطال في حكايات بعيدة في التاريخ الإنساني، وعن عالم تختلط به أنساب الآلهة بأنساب البشر، ويقترب فيه الأبطال من حدود الآلهة ، بل يعبد فيه الأبطال كما تعبد الآلهة ، ظناً أنهم على صلة بالقوى العليا"[3] ذلك " إنّ الأسطورة بمعنى من المعاني تأدية نابضة بالحياة يستعملها الفن من أجل تعميق الدلالات ومحاولة ربط الاشتراكات العميقة بين الماضي والحاضر في يدي المستقبل، وهي بما تختزنه من تجربة إنسانية شاملة مثيرة باعثة على التأمل والبحث وإعادة القراءة، تفرز أسئلة مستمرة وتوسع في حركة الترف العاطفي والتوجه الفكري عند المتلقي حين يراها ترسم صورته عبر الأوقات بخطوط كثيرة حتى لتبدو الإجابات قريبة والرغبات في الحياة تنافس أشلاء الأحلام ، كما يرى في المصائر الفردية اعتماداً يبعث على الإثارة .

---

[1] الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر : محمد فتوح : 217 .

[2] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د. علي عشري زايد 219 .

[3] الأسطورة في الشعر العربي الحديث : أنس داود : 224

وخلاصة القول أن البغدادي كغيره من الشعراء العرب والليبيين استفاد من تقنيات الشعر الغربي في الانتقال من مرحلة التعبير عن الموروث إلى مرحلة التعبير بالموروث وخصوصاً في الشعر العمودي وكان التركيز على التراث التاريخي والأدبي والديني والشعبي أحياناً كاستدعاء للشخصية وتوظيفها التوظيف الأمثل لخدمة قضاياه الإنسانية والفكرية والقومية، وأحياناً أخرى كإشارات تاريخية لم توظف بشكل يسهم في خلق صورة متكاملة تنقل التجربة الحارة، وتولد علاقة حيوية بين الرمز والموضوع يحول دون انتقالنا على نحو صارخ إلى الإحالة التاريخية بكل حرفيتها ، ويرتد بنا النص فجأة إلى الخطابية الجارحة ، ويضيع الهدف الأصلي من استدعاء الرمز التاريخي:

تاركاً خلفه مناحات يتم ذكرتنا بكربلاء *" الحسين"[1]

وقوله :

إذا قيل مصر ذكرت الحسين ومرت بنفسي ذكرى عمر [2]

في حين لم يتجاوز التراث الأسطوري مساحات قليلة ؛ نظراً لارتباطه المباشر بثقافته الإسلامية والأدبية التي تتحرج من استدعاء هذا النمط من الشخصيات .

* معركة نشب فيها قتال عنيف أصيب فيه الحسين بجراح شديدة وسقط من فرسه ، فقتله : سنان بن أنس وقيل الشمر بن الجوشي وأرسل نساؤه وأطفاله إلى دمشق عاصمة الأمويين ، أما الحسين فهو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي العدناني أبو عبد الله ، نشأ في بيت النبوة ، تخلف عن مبايعة يزيد بن معاوية ، فرحل إلى مكة ثم دعاة أشياعه إلى الكوفة ، فأجابهم ، فكانت معركة كربلاء (الأعلام 2 : 243).

[1] ديوان على جناح نورس: 20 .

[2] ديوان على جناح نورس : 144 .

الفصـل الرابـع : الصـورة الشعريـة

المبحث الأول / التشبيه

المبحث الثاني الاستعارة

المبحث الثالث الرمز

الصورة الشعرية :

ترتبط الصورة بمفهوم الشعر ارتباطاً وثيقاً ؛ لأنها تحمل جوهره ، يقول قدامة بن جعفر : " إن المعاني كلها معروضة للشاعر ، وله أن يتكلم فيما أحب وآثر ، من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة ، من أنه لابدّ فيها من شيء يقبل تأثير الصور فيها ... " [1] وهي تأتي في مقدمة الآليات التي يعتمد عليها الشعر لخرق القوانين اللغوية المألوفة، وإقامة علاقات دلالية جديدة تخصب اللغة، وتبعث النشوة في المتلقي وتجعله يتأمل ويشرح ويعيد كتابة النص مرة أخرى، وتعد الصورة الشعرية " وسيلة الشاعر للتجديد الشعري والتفرد يقاس بها نجاح الشاعر في إقامة العلائق المتفردة التي تتجاوز المألوف بتقديم غير المعروف من الصلات والترابطات التي تضيف إلى التجربة الإنسانية المطلقة وعياً جديداً ... " [2] و " تظل الصورة هي عنصر العناصر في الشعر، والمحك الأول الذي تعرف به جودة الشاعر من أبرز المقومات الفنية للقصيدة ، بوصفها الجزء الأكثر فنية في القصيدة فهي تكشف عن نوع العلاقة بين الشاعر والطبيعة .

ولقد اهتم الشعراء المعاصرون بالصورة الشعرية واتخذوا منها وسيلة للكشف في مختلف الموضوعات السياسية، والاجتماعية، والثقافية ؛ لأنها أي الصورة قدمت لهم عالمهم الخاص الذي يرونه بديلاً عن العالم الواقعي، فتمكنوا من تصوير مواقف البطولة والتخاذل، وتصوير الصراعات البشرية، وكذلك صور الأمل والإحباط ، فلا تكاد الصورة تقل أهمية عن الموسيقى في تحريك المشاعر الإنسانية عبر الفن الشعري ، بل إن بعض النقاد يرى أن للموسيقى أثراً مؤقتاً بينما يدوم أثر الصورة في ذاكرة القارئ أو السامع ، خاصة إذا ما علمنا أن " الفنان لا يدرك الحقيقة إدراكاً حسياً ، ولا يدركها (مصورة) محسوسة "[3]

---

[1] نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت ، د . ط : 65 .

[2] الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث :بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1994 ، ط 1 : 12 .

[3] مقدمة في نظرية الأدب : د . عبد المنعم تليمة ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1990 م ، د . ط : 192 .

فالبعض يرى بأن الصورة " في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية" [1] وبالتالي فهم يرون بأن الشاعر يشكل هذه الصورة عن طريق توظيف مجموعة من العناصر الفنية التي تخدم تجربته الشعرية ، أما البعض الآخر فهو يقارن بين الصورة في الشعر وفي اللوحة الفنية ، ويخلص إلى أنه يجب النظر إلى الصورة في الشعر واللوحة الفنية معاً فلا يمكن النظر إلى أنواع الصور مثل الرمز أو التشبيه على أنه لوحة فنية إلا من خلال القصيدة ككل ، فهم ينظرون إلى القصيدة في شموليتها، سواء من حيث البناء أم الإيقاع أم اللغة "فالصورة الشعرية تركيبة فنية متميزة تخضع لمنطق خاص وعقلانية خاصة وأسلوب فريد ، ويدرك معناها الجوهري داخل إطار التجربة الشعورية التي يحياها الشاعر"[2] فالصورة الشعرية أداة فعالة ووسيلة بارزة يوظفها الشاعر في بناء قصيدته لنقل تجربته " فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صور جزئية "[3]

إن للشعر دلالته الخاصة به، وهي المستمدة من اللغة الأم بواسطة الشاعر الذي لابد من أن يميز لغته الشعرية عمن سواه ، حتى يمكن الحكم على قوله بأنه شاعر متفرد . ولاسيما . أن لفظ قصيدة لم يعد مختصاً بالشعر فقط بل أصبح يطلق على غيره من الإبداع الإنساني، فكثيراً ما نسمع عن قصيدة النثر، ومن هنا أصبح مجبراً على تحديد

---

[1] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : عبد القادر القط ، دار النهضة العربية بيروت ، 1984 ، ط 4 : 391 .

[2] الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب : أحمد الطريسي أعرب ، مطابع إفريقيا الشرق الدار البيضاء ، 1987 ، ط 1 : 46

[3] النقد الأدبي الحديث محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت 1987 د. ط : 443 .

معالمه الشعرية بالمستويين الصوتي والمعنوي، وبضرورة التزام الموسيقى والصورة الشعرية ، أي التأثيرين الحسي والنفسي .

والصورة هي التي تمكن الشاعر من خلق التشكيل المكاني، المقابل للتشكيل الزماني، الذي يحدثه التأثير الموسيقي في النص، فهما . الصورة والموسيقى . وجهان يمتزجان عند الاستخدام، ليشكلا وجهاً واحداً يسمى القصيدة الشعرية، وإن اختلفت وسائل الاستقبال لدى المتلقي.

إنَّ الصورة الشعرية لها قيمتها العالية، ومكانتها الرفيعة؛ لأن الشاعر يسوقها وقد استمدت حيويتها التعبيرية وصفاتها من قلب المجتمع الإنساني، الذي منه وإليه تعود إبداعات الشعراء بتعدد مذاهبهم الأدبية، حتى أصبحت "الصورة الشعرية كياناً فنياً نابضاً بالحياة الإنسانية"[1] لذلك نجد أن الصورة كما هي قريبة من المخيلة ، فهي قريبة . أيضاً . من العقل، والصورة لم تُقْحم في الإبداع من باب تحسين الشكل وطلائه ، ليظهر مبهجاً وأكثر أناقة، إنما لتدعيم المضمون وجعله أكثر تفاعلاً مع الذات المتلقية، كما كان مع الذات المرسلة، وبهذا تؤدي الصورة مهمتها وتثري هذا الجنس الأدبي من خلال التوحد اللازم بين الشكل والمضمون، فأهمية الصورة تكمن في كونها تمثل إيحاء بما لم يقله الشاعر، ورمزاً لما يجب قوله ، والشاعر يعمد إليها ليمنح شعره نوعاً من الشخصية التي تفرض على المتلقي الوقوف أمامها والبحث فيما وراءها، بغية الوصول إلى حقيقتها، فالصورة المؤثرة هي المنبثقة من رؤية الشاعر وشعوره إن "قوة الشعر تتجلى في الصور التي تملك من الإمكانات الفنية والقيم ما يمكنها من التعبير عن التجربة الشعورية ودقائقها والإيحاء بظلالها"[2] وعلى هذا القياس يكون أقدر على الذوبان فيها، ومن ثم ينقل لنا ما تولد فيه من إحساس، مما يعطيه الطاقة، ومن ثم القدرة على إذابتنا فيها بنفس درجته وربما أكثر، وبالتالي يحقق غايته في خلق أثر جديد ، ولقد ورد عن

---

[1] التصوير الشعري ، التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة : د . عدنان حسين قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا 1980 م ، ط 1 : 7 .

[2] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم :11 .

(بريتون): أن "الأداة الرئيسة لخلق عالم جديد نحلم به ونحله محل العالم القديم ، ليست شيئاً سوى ما يدعوه الشاعر بالصورة"[1]، وترتبط الصورة بالوجدان فهي " تركيبة وجدانية تنتمي إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع " [2] وهذا الشيء يُولد من مظاهر حسية، يصل إليها الشاعر من طريق تمازج الحواس لديه فتكون الغاية من الصورة " معرفة غير المعروف لا المزيد من معرفة المعروف" [3].

والصورة الشعرية ذات أهمية للشاعر، كي يبث ما يريد، وللمتلقي كي يفهم ما يراد ، فتتكشف بها دلالات لم تكن ظاهرة ، وذلك بإسهامها في فك رموز ما يستعصى على المتلقي "إن الشعر كله يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها مباشرة أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجد الشاعر"[4] والصورة الشعرية عند البغدادي من طريق التجربة الشعرية تدخل من أبواب رئيسة تتمثل في :

- التشبيه .
- الاستعارة .
- الرمز .

[1] في النقد التحليلي للقصيد العربية المعاصرة : د . أحمد درويش ، مطبعة الفجر الجديد د . ط : 185 .

[2] الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : عز الدين إسماعيل ، بيروت ، 1981 م ، ط 3 : 127 .

[3] الشعر العربي المعاصر : د . عز الدين إسماعيل : 134 .

[4] الصورة الأدبية : د . مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1981 ، ط 2 : 217 .

المبحث الأول :
التشبيه

التشبيه

التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[1] ويعرفه أبو هلال العسكري بأنه :

[1] العمدة لابن رشيق ، تحقق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د . ت ، د. ط : 1 : 286 .

"الوصفُ بأنَّ أحدَ الموصوفين ينوبُ منابَ الآخر بأداة التشبيه"[1] أما جابر عصفور فيقول: "التشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين، لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال"[2] ويؤكد ذلك ساسين عساف بأنه "يربط بين أمرين متماثلين بالنظر إلى التشابه الموضوعي{الذي} يقرن بينهما"[3] بصورة انتزعها من الواقع وصاغها بلغته الشعرية المؤثرة القادرة على أن تحتوي مفردات الواقع"[4].

وقد كثر وروده في القرآن، واختلف بين الحسي الواضح وبين الغامض المبهم ؛ ليعطي للمتلقي "حرية الانطلاق إلى عالم غير محدود من الصور التي دعا إليها الرمزيون، وبإمكانه أيضاً أن يتخيل الصورة التي تكون عليه رؤوس الشياطين"[5] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[6]، ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[7] ، حيث شبه الله الذين يقاتلون في سبيله صفاً لإعلاء كلمة الله ، وهم متحدون في المشاعر والأهداف بالبنيان المرصوص بجامع الرسوخ وشدة التماسك والصلابة والقوة، ومهمة التشبيه لا تنحصر في إيجاد شبه ليس موجوداً بالفعل ، بل تمتد إلى الكشف والتعرف ، وهذا ما ذهب إليه عبد القادر الجرجاني بقوله: "ولم أرد بقولي أن الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما المعنى أنّ

---

[1] كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، لـ أبي هلال العسكري ، تحقيق : محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1986 م ، د . ط : 239 .

[2] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : د . جابر عصفور، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، د . ط : 188 .

[3] الصورة الشعرية وجهات نظر غربية وعربية : ساسين عساف ، دار مارون عبود ، 1985 م ، د . ط : 74 .

[4] الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر : د . رشيدة مهران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1979 م ، ط 1 : 326 .

[5] الرمز في الشعر العربي (دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب) : د . الطاهر محمد بن طاهر ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي 2007 م ، ط 2 : 60 .

[6] سورة الصافات : الآية : 65 .66.

[7] سورة الصف : الآية : 4 .

هناك مشابهات خفية يدُّق المسلك إليها ، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحقت الفضل، ولذلك يُشبَّه المدِّقق في المعاني كالغائص على الدُرّ"[1]، فالتشبيه لا يقف عند جذور الرسالة التي يريد المبدع إبلاغها للمتلقي، بل تتعدى ذلك إلى الإفصاح عن مقدرة المبدع في الكشف عن حقيقة موقفه الجمالي الذي عاناه أثناء عملية الإبداع وفي رسم تجربته الشعورية، وهذا ما ذهب إليه العقاد والمازني بأن التشبيه لم يبتدع " لرسم الأشكال والألوان... وإنما ابتُدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس"[2] ويؤكد ذلك صلاح فضل بقوله" لا يمكن أن يعتبر التشبيه صورة إلا إذا عبّر عن خواص محددة محسوسة تؤدي إلى تعديل رؤية الأشياء"[3] ، ويعد التشبيه من أهم الآليات التي اعتمد عليها البغدادي في رسم أبعاد تجربته الشعرية، وقد تنوعت أساليب استخدامه له ما بين إضمار الأداة وإظهارها ، ومن هذه التشبيهات التي حملت رؤيته وتصويره لواقع العرب والذي رسم له صورة قاتمة تدل على ما آل إليه العرب من صمت مخيف، حتى أصبح مجرد ذكره يبعث في النفس ألماً وحزناً باستعماله لكلمات (تماثيل هزيلة . ذباب . جرذان قتيلة . خراف) يقول :

أرجالٌ نحن حقاً أم تماثيلٌ هزيلة
أذبابٌ نحن أم أشباهُ جرذانٍ قتيلة
من تُرى نحن لنحيا تحت أقدام ثقيلة
نعبد الشيخ الذي يملك قطعان القبيلة
دون إدراكٍ و وعي يا عـرب
نَحْنُ لاَ شَيءَ وُلدْنَا هَكَذَا صُمّاً و بُكْماً

---

[1] أسرار البلاغة : 139 .

[2] الديوان : محمود العقاد وإبراهيم المازني : 21 .

[3] علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته : د . صلاح فضل ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، 1992 : 270 .

إِنَّنَا مُنْذُ قُرُونٍ لم نَعُدْ نُرْهِبُ خَصْماً
كَخِرَافٍ بِرُؤوسٍ مِنْ عَجِينْ
هَمُّهَا أَنْ تُكْسِبَ الرُّعْيَانَ والدِّيدَانَ لحْماً
فَمَتَى يَصْحُو الضَّمِيرُ الحَرُّ فِينَا يَا عَرَبْ [1]

فالبغدادي بهذه الأبيات يمنح حلماً وتحريضاً وأفكاراً ورؤى، تهب الحرية والخلاص للشعر من قيود القافية، ولكن هذه الحرية لا تعني التنكر لهذا الشعر، فالشاعر في كل عصر هو مرآة عصره ، والمعبر عن آمال، وآلام ، وقضايا شعبه ولقد تشكل هذا المعنى بفضل الصورة الشعرية حيث إنّ "المعنى هو المادة الأولية التي تشكلها الصورة الشعرية[2]"، يقول: (الخفيف)

وَالهُرَاءُ الجَدِيدُ صَارَ غُثَاءً نَزْدَرِيهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَزْدَرِينَا
نُحْنُ قَوْمٌ كَالشِّعْرِ إِنْ ضَاعَ ضِعْنَا بَيْنَ أَيْدِي العُتَاةِ وَ الْعَابِثِينَا
وَإِذَا عَزَّ شَاعِرُ عَزَّ شَعْبٌ كَامِلٌ لَيْتَ قَوْمِ يَعْلَمُونَا
أَخْطَرُ النَّاسِ شَاعِرٌ يُظْهِرُ الحُـ ـبَّ وَيُخْفِي حَوَافِراً وَقُرُونَا
يَشْحَذُ الشِّعْر للمَدِيحِ نَهَاراً ثُمَّ فِي اللَّيْلِ يَشْحَذُ السِّكِّينَا
بِئْسَ لاسْمِ الفُسُوقِ تَهْجِينُ حَرْفٍ مِثْلَ أَفْعَى تُضَاجِعُ التِّنِينَا[3]

[1] ديوان على جناح نورس : 153 ، 154 .
[2] الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر ، دراسة في أصالة التراث النقدي عند العرب : د . عدنان حسين قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1981 ، ط 1 : 289 .
[3] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 19 .

فالشاعر يبدي أسفه على ما آل إليه بعض الشعراء وفهمهم الخاطئ لأغراض الشعر وربما المتعمد (أخطر الناس) و(يخفي حوافر وقرون) و(يَشحذُ الشعر) ويؤكد الشاعر على نية التعمد بقوله (بئس لاسم الفسوق) ويعتمد على ذاكرة المتلقي في تكملة الآية[1] ومدى اتساع ثقافته؛ "فالمعرفة ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي"[2] وهذه الرؤيا جاءت من منطلق دوره شاعر له رسالة، ولتكثيف الصورة الشعرية شبه تلاعب الشعراء بالشعر شكلاً ومضموناً بمضاجعة الأفعى التنين ووجه الشبه قائم على سوء النية:

قَدْ بُلِينَا كَمَا ابْتُلِيتَ بِقَومٍ زَيَّفُوا شِعْرَهُمْ فَبَارُوا وبَارَا[3]

في معالجة شعرية للانتفاضة الفلسطينية قصيدة (أطفال ورجال) نلحظ الامتداد بين البغدادي وأبطال الانتفاضة (يا ليتنا لم نبرح الطفولة) هذه العلاقة الثابتة بينه وبين قوميته المتمثلة في فلسطين بما يقع من تشابه بين الشعوب وحكامهم و فلسطين والاحتلال الإسرائيلي ، فالشاعر يرسم الصورة الشعرية لواقع الذل والخوف والجبن ، ويذكر بالزمن المظلم من تاريخ هذه الأمة في إشارة إلى (خلف الستور) و(عوانس الجواري) ، (مخدع الحريم)، (نعلك الهوان) و(نحتسي الخمر) فهذا هو حال الشعوب العربية، والصورة تنعكس في المرآة للماضي والحسرة تسيطر على الشاعر بتكرار (ذليلة ذليلة)، (هزيلة هزيلة) وأسهم التشبيه في رسم هذا الواقع المؤلم بتصويره الجبن والخنوع لجيل عصره ولا يستثني البغدادي نفسه بـ(كأننا عوانس الجواري في مخدع الحريم) ويعتمد الشاعر على ذاكرة المتلقي لاستحضار تلك الصورة التي تمثل زمن الخوف والذل والجبن ...

---

[1] ﴿ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّلِمُونْ ﴾ ، سورة الحجرات : الأية 11 .

[2] تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص : د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1992 ، ط 3 : 123 .

[3] ديوان على جناح نورس : 348 .

أَطْفَالُنَا أَكْثرُنَا رُجُولَهْ
يَا لَيْتَنَا لم نَبْرَحْ الطُفُولهْ
تَنْطَلِقْ اللاَّءاتُ مِنْ صُدُورِهِمْ قَنَابِلا
فَتَنْسِفُ الأَحْجَارُ مِنْ أَكُفِّهِمْ مَعَاقِلا
وَيُصْبحُ الرَّضِيعُ ـ يَا لَجُبْنِنَا ـ مُقَاتِلا
وَنَحْنُ مِنْ خَلْفِ السُّتُور نَخْتَبِئ
كَأَنَنَا عَوَانِسُ الجَوَارِي فِي مَخْدَعِ الحَرِيمْ
وَنَعْلِكُ الهَوَانَ وَالأَسى
وَنَحْتَسِي خَمْرَ لَعَلَّ وَعَسَى
بِأَنْفُسٍ هَزِيلَةٍ هَزِيلَهْ
وَأَعْيُنٍ ذَلِيلَةٍ ذَلِيلَهْ[1]

في قصيدة (تعزية حرّى إلى أنصار بيريز العربْ) تظهر سخرية الشاعر من عنوان القصيدة والتي تبعت على السخرية في صورة سلبية لأنصار السلام الذين كانوا يعقدون الأمل على فوز(بيريز) لاستلام زمام الحكم في إسرائيل في حين جاءت النتائج تعلن فوز(نتنياهو) ، وبذلك ماتت كل أمانيهم في فوز بيريز ، فاستحقوا برقية تعزية:

لَقَدْ حَقَّقْتَ يَا بِيريزُ فِينَا حُلْمَ صُهْيُونَ
قَطَعْتَ بِسَيْفِكَ المَوْتُورِ قَلْباً فِي فِلسْطِينَ
وَأَشْبَعْتَ الحِمَى غَدْراً عَلَى مَرْأَى الملايين
وَنَحْنُ نُعَانِقُ السَّيَّافَ بَيْنَ الْحِينِ وَالحِينِ
كَأَنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ حَبِيباً مِثْلَ شَمْعُونِ

[1] ديوان على جناح نورس : 113 .

وَأَنَّ الْغَرْبَ لَمْ يُفْرِزْ حَلِيفاً مِثْلَ شارون[1]

في هذا التشبيه استخفاف وسخرية واستهزاء، تظهر لنا عندما نقرأ التاريخ ونعرف حقيقة اليهود التي . عندما نستذكرها . تبين لنا مدى تهكم الشاعر من خلال وصف الشيء بضده (كأن الله لم يخلق حبيباً مثل شمعون) التشبيه المعقود بـ كأن يجبر المتلقي . من خلال الصورة الشعرية التي جسدها . على مراجعة التاريخ لعقد المقارنة، ومن تم الوصول إلى ما يرمي إليه الشاعر في إشارة واضحة إلى أحد الذين تأمَّل العرب في مجيئهم خيراً ، وأن السلام سيكون على يديه .

فرسم الصورة الشعرية للشاعر من خلال الواقع المجسد، فيما يجري على الأرض فـ(بيريز . نتنياهو . شارون) هم حلفاء للغرب، ويستدل البغدادي على ذلك بالرابط الزمني لفترات حكمهم ؛ لأنه " في مقدور الوجود الإنساني أن يحقق نوعاً من الترابط يتم في حلقات متصلة تعتمد كل حلقة على الأخرى، وأن سلامة الذاكرة وتدرجها من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل هي الشاهد على هذا الترابط والمحقق له"[2] ووجه الشبه يبدو قائماً لا يحتاج إلى تفسير، وهذا يفيد في تحقيق الغرض الفني "أن التجربة الشعورية التي تولد من حدث عظيم لا يمكنها أن تنجب مخلوقاً فنياً رائعاً دون أن يعيشها شاعر مبدع"[3] هذا الإبداع تجسد في رسم صورة الخداع المستمر للسلام المزيف، وطلب الأمان من العدو فتتداعى هذه الآمال وتتهاوى كتهاوي الفراش في التنور، يقول : (الخفيف)

كَمْ خُدِعْنَا وَلَمْ نَزَلْ فِي خِدَاعٍ حِينَ لانَتْ رِقَابُنَا لِلْمُغِيرِ
وَاتَّخَذْنَا مِنَ السَّلاَمِ مَطَايَا طَالِبِينَ الأَمَانَ مِنْ"شَامِيرِ"
فَتَدَاعَتْ آمَالُنَا وَتَهَاوَتْ كَتَهَاوِي الفَرَاشِ فِي التَّنُّورِ[4]

---

[1] ديوان على جناح نورس : 134 .

[2] الأدب وقيم الحياة المعاصرة : د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980 م : 191

[3] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم : 13 .

[4] ديوان على جناح نورس : 175 .

الشاعر يؤرقه الهم العربي والحال التي آل إليها العرب من لهث وراء السلم وهم يظنون أن أمريكا ستمنحهم إياه، فيتناول سوء مآلهم بصورة بالغةٍ في التهكم ، وذلك بتشبيه صورة المتخاذلين عن نصرة قضايا شعوبهم" تبع أمريكا بامرأة هُتِكَ عرضها بالإصبع وهو أمر يخالف العرف والشرع، لذا استخدم الشاعر الفعل (هتك)، وفي المكان الذي كان ينبغي أن يكون غير ذلك ليعمق الجرح"[1]، في قصيدة (شكراً مندوبة أمريكا) يقول :

هَتَكَتْ مندوبةُ أَمْريكَا وَبِأصْبُعِهَا
أَعْرَاضَ ذَويهَا في بيْتِ الصُّلحِ المنْهَارْ
لِتُعِيدَ طِلاءَ أَظَافِرِهَا بِفَخَامَاتٍ
وَجَلاَلاَتٍ شَتَّى !
وَتُقِيمَ لَهمْ نُصباً أَسْمَى
فوقَ السَّبَّابَةِ و الوُسْطَى!
وَتَخُطَّ بِاصبُعِهَا الصُّغْرَى
كَلِمَاتٍ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى
كَضَيَاعِ العِرْضِ وَفَقْدِ الْأَرْضْ ! [2]
فَبِوَخْزةِ إصْبُعِهَا !
سَقَطَ البُرْقُعْ بَدَأَ العَرضْ :
بَرَزُوا كَضَفَادِعْ مُهْتَرِئَة
تَقْفِزُ بين تِلالَ القُدْسِ [3]

---

[1] قضايا الإنسان في الشعر الليبي المعاصر (1970 . 2000) سليمان زيدان ، مجلس الثقافة العام ، 2006 م : 100 .

[2] ديوان على جناح نورس : 120 .

[3] ديوان على جناح نورس : 120 .

ليصل إلى نتيجة بيع الأرض والشرف والعرض، فيظهرون كضفادع مهترئة ووجه الشبه حال واقعهم المملوء بالانكسارات والنكسات؛ بسبب آمالهم فيمن يصنع لهم السلام فلا يجرؤون على دخول القدس ، ويستمرون في القفز حولها للدلالة على قلة الحيلة، ومن قصيدة (اللص الظريف والشيخ) يستوحي البغدادي أبياته من قصة حقيقية دارت أحداثها في جزيرة مالطا*، ولكنه يرسم من خلال هذه القصة صورة شعرية يقارب فيها بين اللصوص والحكام، فلا وجود للتشابه . بالمنظور العقلي• بين اللص الذي لا يملك شيئاً وبين الحكام الذين يملكون المال والسلطة،يقول:(الوافر)

وَقَامَ اللِّصُّ يَفْحَصُهَا وَيُحْصِي مَخَابِئَهَا وَمَا خَلْفَ الثُّقُوبِ
فَلَمْ يَظْفَرْ بمَالٍ أَوْ بِشَيءٍ لَهُ بَال سِوَى قَلَمٍ كَئِيبِ
صَغِيرٍ غَيْرَ أَنَّ بِهِ شُعَاعَاً لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي القُلُوبِ
وَلَكِنَّ اللُّصُوصَ بِغَيْرِ وَعْيٍّ وَلاَ عَقْلٍ كَحُكَّامِ الشُّعُوبِ[1]

ولكن الصورة الشعرية تنبئ عما نفاه العقل من وجود للصلة ، فاللص يسرق الأشياء من ملاكها الحقيقيين، ويصادر بذلك ما كان حقاً لهم ليجعله حقاً له، وكذلك الحاكم يسرق حرية المثقفين والعلماء ويصادر حقوقهم في التعبير بحرية، فيسرق إشعاعهم وربما وجودهم أيضاً دون أن يعير لقيمتهم اهتماماً كما فعل اللص عندما لم يعِ قيمة القلم الذي وجده في المحفظة ، ولم يعره بالاً ، مع أنه رمز الإشعاع والعلم

* الشيخ السعدي إمام المسلمين في جزيرة مالطا خصص خطبة الجمعة الرمضانية لمحاربة السراق والنشالين ، غير أنه اكتشف في نفس اليوم نشل محفظته من جيبه داخل سترته ، فثار الشيخ وغضب واعتبرها إهانة شخصية له ، مع أنه لم يكن بداخلها أي مبلغ مالي ، ديوان على جناح نورس : 363 .

• التشابه المنطقي والعقلي مع الفارق بين اللصوص والحكام هو ما ورد في التراث العالمي : قام أحد اللصوص في عهد الإسكندر الأعظم بسرقة قارب ، فلحق به جنود الإسكندر للقبض عليه فقال لهم عندما يستولي لص على قارب صيد صغير تسمونه قرصان وعندما يستولي الإسكندر على أسطول بحري بكامله تسمونه فاتح ، ينظر كتاب سين . جيم ، ج 3 : 87 .

[1] ديوان على جناح نورس : 365 .

والتقدم، فالرابط بين اللص والحاكم السرقة والمصادرة والقلم رمز لأهل العلم والأدب في رسم صورة القهر التي تتعرض لها الكلمة ويخنق به المثقف، يقول : (الكامل)

الشِّعْرُ وَالحُبُ الكَبِيرُ كِلاهُمَا لا يَخْضَعَانِ لِخَائِنٍ أَوْ خَائِبِ
أَوْ يَحْفَلاَنِ بِحَاكِمٍ أَوْ مَالِكٍ أَوْ يَرْفُقَانِ بِسَالِبٍ أَوْ نَاهِبِ [1]

في قصيدة عاشقة الأمل يصور الشاعر الألم النفسي لذات الاحتياج الخاص بشعور مريض الجرب والطاعون، وكان لابد من مقابل محسوس يعكس تلك الحالة فكانت كأن التشبيهية هي الوسيلة لذلك، فالمصابة بالجرب دائماً تحاول الابتعاد هاربةً من أي جمع وتنأى بنفسها عن الأذية التي ستلحق بها بسبب مصابها؛ لأن الكل ينفر منها وهي لذلك في حالة استعداد تام ودائم للهرب من وجه أي اعتداء والخوف من ملاقاة المشفقين على حالها ورؤية دموعها سبيلها الوحيد لدرب الهروب ، وهذا وجه الشبه الذي انعقدت به الصلة بين المشبه (دمع المعاقة أي الخائف) والمشبه به (المصابة بالجرب) والذي أعطى لقوله قوة تفوق التقرير فقوة الشعر " تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردّة "[2] يقول : (البسيط)

وَكَمْ رِجَال أُولِي عَزْمٍ وَمَقْدِرَةٍ وَجَّهْتُ وَجْهِي لَهُمْ فَارْتَدّ مُكْتَئِباً
مَرُّوا كِرَاماً عَلَى دَمْعِي كَأَنَّ بِهِ جُرثُومَة تَحْمِلُ الطَّاعُونَ والْجَرَبَا
لَمْ يَمْنَحُونِي سِوَى وَهْمٍ أُعَاقِرُهُ أَقْتَاتُهُ أَقْتَفِيهِ حَيْثُمَا ذَهَبَ
وَكَمْ أَدِيبٍ أَرِيبٍ مَا اسْتَعَنْتُ بِهِ إِلاّ تَقَلّدَ مَتْنَ الرّيحِ وانْسَحَبَا
أُكَابِدُ الْبُؤْسَ والْأَغْصَانَ دَانِيَةٌ والمنهل العَذْبُ مُزْدَانٌ لِمَنْ رَغِبَا
أَشْبَعْتُمُونِي شَهَادَاتٍ وَأَوْسِمَةٌ وَحِفْنَةٌ مِنْ تُرَابٍ خِلْتُهَا ذَهَبَا[3]

---

[1] ديوان على جناح نورس : 278 .

[2] دراسات ونماذج في مذهب الشعر ونقده : د. محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر : 60 .

[3] اللسان المبين ،العدد الأول 2002 :381، 384 .

فالإيحاء بالفكرة يخلق صورة فنية زاخرة بالوصف المبني على المتناقضات في قصيدة (أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة) واقع الحال ضدان (القلب الطهور، والقلب الحجر) يلغي أحدهما الآخر؛ ليخلص بصورة شعرية تشبيهية مفادها الصراع النفسي الذي تشعر به السمراء حتى يجعلك "الشاعر أمام هواجس مهمومة لا ترتبط بمشكلة محددة أو قضية واضحة من قضايا الحياة بقدر ما هي تشوف إلى عوالم مشربة بالأحلام والأنوار والعطور والطهارة والنقاء، أو عوالم مغرقة في الكآبة والحزن"[1] يقول : (البسيط)

كَأَنَّ قَلْبَيْنِ فِيهَا يَصْرُخَانِ مَعاً قَلْبٌ طَهُورٌ ، وَقَلْبٌ آخَرٌ حَجَرُ
مُرْتَابَةُ الحُبِّ فِي أَحْضَانِ عَاشِقِهَا يَجُولُ فِي مُقْلَتَيْهَا الْأَمْنُ وَالْخَطَرُ
بَسَّامَةُ الثَّغْرِ وَالْأَعْمَاقُ نَازِفَةٌ فَالْخِصْرُ يَمْرَحُ وَالْأَحْشَاءُ تُحْتَضَرُ[2]

في قصيدة (وجه بلا قناع) يدعو الشاعر إلى التمرد على واقع الجبن واصفاً دعاته الذين يخلطون بين الجبن والتعقل بالأفاعي، فقد ماتت عقولهم دون دفن، يقول: (الخفيف) :

أَيُّهَا العُقَلاَءُ هَاَّ تَعِبْتُمْ مِنْ عُقُولٍ تَبِيعُكُمْ بَيْعَ غُبْنِ
لَيْتَكُمْ تَزْرَعُونَ بَعْضَ خَلاَيَا مِنْ جُنُونٍ أَوْ تُنْصِتونَ لِجِنّ
فَلَعَلَّ الجُنُونَ أَشْهَى وَأَسْمَى مِنْ عُقُولٍ تَعِيشُ أَزْمَةَ جُبْنِ
مِنْ عُقُولٍ تَرَى النَعِيمَ جَحِيماً وَتَرَى فِي الجَحِيمِ جَنّاتِ عَدْنِ
مِنْ عُقُولٍ مَسْمُومَةٍ كالأَفَاعِي مَاتَ أَصْحَابُهَا بِهَا دُونَ دَفْنِ[3]

[1] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د . عبد القادر القط : 410 .
[2] ديوان على جناح نورس : 256 .
[3] ديوان على جناح نورس :200 .

في قصيدة (على سلم الطائرة) يشبه موجات الأثير بأنفاسه الحائرة في صورة عكسية تشبيه المحسوس بغير المحسوس لرسم صورة شوقه للقاهرة المدينة التي شغف بها حباً، وعاش فيها من عمره سنين، ويمزج الشاعر بين التشبيه والرموز الطبيعية "ويطلب التشبيه لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية، وعقل الإنسان ، وكلما كان الشيء الموصوف ألصق بالنفس البشرية وأقرب إلى العقل ..... وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى لا لسبب آخر،وهذا خليق بأن يسمى الوصف الميكانيكي..."[1] يقول : (المتقارب)

وَفي غَفْلَةٍ مِنْ ضَجِيجِ الغُيُومِ وَهَدْأَةِ قُطْعَانِهَا النَّافِرَةْ
لَمَحْتُ مِنَ الأُفْقِ عَبْرَ الفَضَاءِ خُطَى النِّيلِ في رِحْلَةٍ عَابِرَةْ
فَحَامَ الفُؤادُ عَلَى ضَفَّتَيْهِ يُعَانِقُ أَنْسَامهُ العَاطِرَةْ
وَيُفْضِي إِلَيهِ بِمَا يَشْتَكِيـ ـهِ مِنَ الحُبِّ واللَّوْعَةِ الآسِرَةْ
وَيَهْتَزُّ مَوْجُ الأَثِيرِ فَيَعْلُو وَيَهْوِي كَأَنْفَاسِي الحَائِرَةْ [2]

هذا ما أراد الشاعر أن يزيل غموضه من خلال الصورة الشعرية لإدراكه بأن "الشعر كله يستعمل الصور ليعبر عن حالات غامضة لا يستطاع بلوغها أو من أجل أن تنقل الدلالة الحقة لما يجده الشاعر" [3].

في قصيدة (دمعة وفاء*) يرسم الشاعر حالة الحزن التي اعترته لوفاة (عبد الله الهوني) الذي تربطه به صلة روحية وعاطفية، وبغيابه تحطم زورقه، وشراعه تتقاذفه الرياح ولتكتمل ملامح هذه الصورة برسمه للشعر بصفة شخص يزدريه يقول (الوافر):

---

[1] تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث : د . نعيم اليافي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د. ت ، د . ط : 122 .

[2] ديوان على جناح نورس : 158 .

[3] الصورة الأدبية : د . مصطفى ناصف : 217 .

* المهداة إلى روح صديقه عبد الله الهوني

تَحَطَّمَ زَوْرَقِي ، فَغَدَا شِرَاعِي عَلَى كَفِّ الرِّيَاحِ بِلاَ سَفِينِ
أَنَا البَاكِي الحَزِينُ فَأَيُّ شِعْرٍ يُتَرْجِمُ لَوْعَةَ البَاكِي الحَزِينِ
فَلاَ نُطْقِي يُبَلِّغُنِي مُرَادِي وَلاَ صَمْتِي يُعَبِّرُ عَنْ شُجُونِي
تَجَمَّدتْ القَوَافِي فِي شِفَاهِي وَجَفَّ النَّبْعُ مِنْهَا فِي مَعِينِي
وَفَرَّ الشِّعْرُ عَنْ قَلَمِي بَعِيداً كَأَنَّ الشِّعْرَ أَصْبَحَ يَزْدَرِينِي
فَلاَ أَوْزَانُهُ حَفَلَتْ بِوَزْنِي ولاَ أَنَّاتُهُ عَدَلَتْ أَنِينِي [1]

"إن التشبيه التام يجعل الصورة التي يشكلها الشاعر واضحة بالنسبة للمتلقي، لا تتطلب منه عناء الوصول إلى فكر الشاعر، مما يفوت عليه الاستمتاع بإعادة كتابة النص بتحليل وتفكيك عناصره"[2] لذلك نجد البغدادي يعبر عن صوره التشبيهية أحياناً بحذف أداة التشبيه ليشارك المتلقي في عمله الإبداعي ، فهو عندما يقول:

فَهْيَ نَارٌ وجَنَّةٌ وارْتِيَابٌ تَلْتَقِي فِيهِ أَبْحُرٌ وعُيُونُ [3]

"يدفع المتلقي أن يقيم العلاقات بين المشبه والمشبه به"[4] من خلال المعطيات الموجودة بالنص: المشبه"هي" ، والمشبه به "النار والجنة والارتياب" والأداة محذوفة.

---

[1] ديوان على جناح نورس : 298 .

[2] فن القول عند المتنبئ : عبد السلام الراجحي وآخرون ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، د . ط : 79

[3] ديوان على جناح نورس : 330 .

[4] فن القول عند المتنبئ : 80 .

المبحث الثاني :
الاستعارة

ثالثاً الاستعارة :

تعد الاستعارة من أهم أدوات رسم الصورة الشعرية، ومعياراً تقاس به إمكانات الشاعر المؤهلة لخوض غمار التجربة الشعرية، التي يصدح بها إحساسه وتنبض بها مشاعره، إنها جوهر الشعر، ومحك مقدرة الشاعر، لما لها من شأوٍ كبير في اللغة عامة، والشعر خاصة، استحقت . وعن جدارة . بما وصفها به عبد القاهر الجرجاني اعترافاً منه بمكانتها حيث قال: "أمد ميداناً، وأشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر

فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحراً ، وأملأ بكل ما يملأ صدراً، ويمتع عقلاً"[1] كما تعد نوعاً من المجاز الذي بموجبه تُمنح أوصاف وتسميات بعض الأشياء لغير ما يطابقها في الحقيقة ، لتعطي فهماً مغايراً لما هو في الظاهر اللفظي، وهو ما تنبعث على أساسه الصور الشعرية، يقول عبد القاهر الجرجاني:"الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصلاً في اللغة معروفاً تدل الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعاريّة"[2] ويعرفها صاحب الوساطة بقوله " إنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها "[3] ويعرفها الروماني بأنها: "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة من جهة النقل والإبانة "ويعرفها أبو هلال العسكري بـ" نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره"[4] وهي نوع من أنواع المجاز، وهو" استخدام كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة مع قرينة ملفوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي"[5] وهي" تشبيه حذف أحد طرفيه " [6] فالحكم الأول بني على الكلمة في وضعها العادي المألوف، أما الثاني فقد نقل اللفظ لما لا يطابقه في بنائه ، وهكذا تشكلت الصورتان المتنافرتان أصلاً، إنّ " قوة الشعر تتجلى في الصور التي تملك من الإمكانات الفنية والقيم الجمالية ما يمكنها من التعبير عن التجربة الشعورية ووقائعها والإيحاء بظلالها"[7] ما يشكل صورة جمالية مؤثرة تكون الاستعارة السبب الرئيس فيها فالاستعارة تعني "حمل اسم يطلق على شيء معين وإلزامه شيئاً

---

[1] أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني ، ت. د . محمد الأسكندراني، دار الكتاب العربي، ط 2/ 1998 م : 40 .

[2] أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني : 29 .

[3] الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني : تحقيق وشرح : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار القلم بيروت ، لبنان ، 1966 : 41 .

[4] كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري : 274 .

[5] البلاغة العربية في ثوبها الجديد : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ط1 / 1984 : 112 .

[6] معجم البلاغة العربية : بدوي طبانة منشورات جامعة طرابلس ، د . ت : 598 .

[7] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم : 11 .

آخر لا يطابقه"[1] الشاعر بخلاف غيره من الناس" يتغلغل من خلال أحاسيسه في الطبيعة، فيقع على المشهد أو الحركة الخفية "[2]، وهكذا فقوة الصورة الاستعارية تكمن في "قدرتها على تصوير الأفكار والأحاسيس المكثفة التي تنتجها التجربة الشعورية أو ترافقها في أثناء عملية الإبداع "[3] ، ويؤكد الدكتور محمد مندور على أهمية الاستعارة في الشعر قائلاً " فالاستعارة أمر أصيل في الشعر، بل نكاد نقول إنها خيوط منسوجة، وهي منه كالنحو من اللغة"[4] والاستعارة أحد أهم أدوات الشاعر وأقواها في إبراز غاية الشاعر معنوياً وتحقيق غايته، يقول : (الكامل)

وَالكلُّ يَسْعَى لاسْتِلابِ وَريثِهِ لِيَصِيرَ ميراثاً لآخِرِ سَالِبِ*
وتضيعُ أَيَّامُ الحَيَاةِ فَرِيسَةً مَا بَينَ مَغْلوبِ الرِّهَان وغالِبِ
الشَّاطِئُ السِّتُّون لاحَ وَلَمْ تَزَلْ تَرْنُو إِلَى السَّفَرِ الدَّؤُوبِ حَقَائِبِي
أَطْوِي الحَيَاةَ عَلَى جَناحِ قَصِيدَةٍ كَالنَّوْرسِ الهَيْمَانِ دُونَ مُصاحِبِ[5]

وجمال الصورة في الاستعارة المكنية يتجلى في كون الشاعر أبدع في تشكيلها حيث جعل لحقائبه عيوناً تتطلع إلى اللحظة المنشودة لا سيما وهو يعتزل الرحيل إلى الماضي (الرحيل هو المغادرة):

شَبَحٌ يُحَدِّقُ في الوجوهِ ويَقْتَفِي آثارَ كُلِّ مُهَامِسٍ ومُدَاعِبِ
وَيْح الغريب لَكمْ ترحَّل جفْنهُ بَيْنَ الجُفُونِ عَسَى يُلِمُّ بصَاحِبِ

---

[1] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم : 86 .

[2] التفسير النفسي للأدب : د . عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت د. ط ، 1963 م : 105 .

[3] التصوير الشعري : د. عدنان حسين قاسم 116 .

[4] النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1948 : 36 .

* سِالِبِ هكذا وردت في الديوان

[5] ديوان على جناح نورس : 275 .

يَا مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ بَعْضَ شَبَابِهِ وَيُجِيـرُهُ مِنْ قَوْلِ يَا ذَا الشَّائِبِ
وَرَجَعْتُ* أَنْتَعِلُ الهَواجِسَ وَالرُّؤَى وَالنَّاسُ بَيْنَ مُعَابِثٍ وَمُعَـاتِبِ [1]

استعارة مكنية (ترحل جفنه) تكشف السياق عن طبيعة ما يجري في مخيلة الشاعر من صراع ؛ لأنه غريب بين الغرباء، و" أن علاقة الأشياء التي لا علاقة بينهما هي بالضبط ما يكون ذا معنى في الشعر"[2] فاللغة لا يمكن أن تكتمل إلا من خلال عناصر الأدب جميعها العاطفة والخيال والمعنى ثم اللغة فـ" التعبير بالصورة هو الخاصية الأساسية منذ تكلم الإنسان البدائي شعراً"[3]، وكذلك صورة (انتعل الهواجس والرؤى)، حيث صوّر الشاعر نفسه قد انتعل الهواجس والرؤى، وهي صورة استعارية جميلة حيث شبه الهواجس والرؤى بحذاء ينتعله أثناء سيره في رحلة الشباب والمشيب، والبغدادي إنسان يعبر عما في نفسه بالكلمة التي تستل انطلاقها من أرضية الوطن ، من قضايا الإنسان مباشرة"[4] فيرسم صورة تشاؤمية لوضع المثقف
يقول: (البسيط)

يَا رَاحِلاً في فِجَاجِ الأَرْضِ لَيْسَ لَهُ إِلاَّ الرَّبَابَةُ مَلْهَاةٌ وَمتَّجَرُ
لمْ تُبقِ مِنْهُ اللَّيَالي غَيْرَ حُلْكَتِهَا دَبَّ النُّعَاسُ فَلاَ لَهْوٌ ولاَ سَمَرُ
فِي مَا يُحَدِّقُ لاَ يَدْرِي لَقَدْ طُمِسَتْ فِيهِ الحَيَاةُ فَلاَ سَمْعٌ وَلاَ بَصَرُ
يُرَوِّضُ النَّغَمَ الجَافِي يَهُزُّ بِهِ عَطْفَ النَّدَامَى فَمَا اهْتَزُّوا وَلاَ شَعَرُوا

* وَرَجْعْتُ هكذا وردت في الديوان

[1] ديوان على جناح نورس : 276 .

[2] الشعر والتجربة : أرشيبالد مكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوشي ، مراجعة : توفيق صانع ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . بيروت . نيويورك 1963 م، د.ط: 81

[3] الصورة والبناء الشعري : د. محمد حسن عبد الله : 12 .

[4] قراءات في الشعر الثوري ، دراسات نقدية في الشعر العربي الليبي : د . عبد الوهاب محمد الحراري ، دار مي للطباعة والنشر . دمشق 1992 م ، ط 1 : 86 .

فَالفَنُّ أَصْبَحَ مَنْبُوذَ الرُؤَى خَجِلاً وَذَابَ فِي الْخُبْزِ حَتَّى كَادَ يَنْدَثِرُ[1]

فالاستعارة في قوله (وذاب في الخبز حتى كاد يندثر) "تحمل إيحاءً فنياً عَمِيقاً بفداحة المأساة ، وتلخيصاً مؤلماً لمرارتها"، " فالفن ذاب في الخبز، ولما لم يجد خبزاً توقف ، وهذا تصوير يهز مشاعر الإنسان؛ لأنه يمثل الفنانين والأدباء والمبدعين الذين لا يجدون ما يسد رمقهم، فيتوقفون عن الإبداع "[2]! ، فتصبح غربة المثقف في وطنه سمة من سمات عصر رذيل ، يقول : (الخفيف)

غُرْبَةُ العَبْقَرِيّ بَيْنَ ذَوِيهِ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ عَصْرٍ رَذِيلِ
وَبِلادٌ لاَ يُمْنَحُ القَدْرُ فِيهَا لِذَوِي الْقَدْرِ قَدْرُهَا فِي نُزُولِ[3]

ويلاحظ أن البغدادي يركز في رسم هذه الصورة على عدد من الألفاظ الموحية بدلالة الصورة، التي تعمل على توطيد وترسيخ مضمونها فـ(تجثو المسابح . تجثو الحمى . نهدهد الأوجاع) كلها استعارات لرسم صورة الواقع الذي يرفضه الشاعر يقول : (البسيط)

يَا سُورَهَا المُتَحَدِي كُلَّ عَاصِفَةٍ كَمْ حَلَّقتْ فَوْقَهُ العُقْبَانُ والنُّسُرُ
وَذَاقَ مُخْتَلِفَ الأَهْوَاءِ وَازْدَحَمَتْ عَلَى جَوَانِبِهِ الأَسْمَاءُ وَالصُّوَرُ
مَا شَدَّنِي مِنْ رُؤَاهَا غَيْرُ مِئْذَنَةٍ عَاثَ الصَّلِيبُ بِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ
تَجْثُو المَسَابِحُ حَيْرَى حَوْلَ مِنْبَرِهَا يَحْنُو عَلَيْهَا الصَّدَا وَالرَّمْلُ وَالحَجَرُ
يَا مَنْ يُعِيدُ إِلَيْهَا كَفَّ نَاظِمِهَا وَيُشْرِقُ الذِّكْرُ والآيَاتُ والسُّوَرُ[4]

---

[1] ديوان على جناح نورس : 252 .

[2] النورس والعاصفة : 120 .

[3] وا.. خليلاه : عبد المولى البغدادي ، إشراف هيئة الأوقاف ـ فرع طرابلس : 9 .

ويضيف : (المتقارب)

وَيَجْثُو الحِمَى الآمِنُ المُطْمَئِـ نُّ حَزِيناً بِكَفِّ حَلِيفٍ مَرِيدْ [1]

ويضيف :

نُهَدْهِدُ أَوْجَاعَنَا الصَارِخَاتِ بِكُلِّ الْوُعُودِ فَلَمْ تَصْطَبِرْ [2]

للاستعارة أهمية في تحويل" النشاط اللغوي من مجرد المدلول الاشاري القريب إلى ذلك العمل الفني الذي يحقق نوعاً من النشاط الخيالي التصويري"[3] ففي قصيدة وجه بلا قناع العديد من الاستعارات (أحمل الريح . أمتطي صهوة الفراغ . أتعاطى الدموع والأمل الممنوع . أجر يأسي . أدمن الخوف) يقول :(الخفيف)

أَحْمِلُ الرِّيحَ وَالسَّرَابَ المُصَفَّى في شِغَافِي ، وَبَعْضَ تِبْرٍ وتِبْنِ
أَمْتَطِي صَهْوَةَ الفَرَاغِ المُدَوِّي في مَتَاهِي ، أَجُرُّ يَأْسِي وَظَنِّي
أَتَعَاطَى الدُّمُوعَ وَالأَمَلَ الْممْنُـ ـوعَ ، مِنْ كَأْسِ "لَيْتَنِي" وَ"لَوْ أَنِّي"
أَعْشَقُ الحُسْنَ فَهْوَ نُقْطَةُ ضَعْفِي أُدْمِنُ الخَوْفَ فَهْوَ خُبْزِي وَجُبْنِي[4]

---

[4] ديوان على جناح نورس : 259 .

[1] ديوان على جناح نورس : 126 .

[2] ديوان على جناح نورس : 142 .

[3] إشكاليات القراءة وآليات التأويل : نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1999، ط 5 : 181 .

[4] ديوان على جناح نورس : 201 .

للاستعارة دورٌ في إثارة "عواطفنا لأنها تحرك أو توقظ شيئاً ما في أعماق كياننا روحانياً إذْ لا تستطيع الحقائق الكبرى أن تتخذ شكلاً أو صورة يتمكن العقل البشري من فهمها سوى بواسطة هذه الثماتلات الخفية، وإلا تعذّر التعبير عنها"[1]، فيقول:(الخفيف)

كُلَّمَا لاَحَ بَارِقٌ فِي سَمَائِي ذَابَ في وَهْج حَسْرَتِي وَثُبُورِي
أَثْخَنَتْ مُدْيَةُ الفِرَاقِ جِرَاحِي فَاخْتَفَتْ صَوْلَتِي وَمَاتَ زَئِيرِي
وَالجَوَى قَصَّ مِخْلَبِي وَجَنَاحِي فَتَهَاوَيْتُ دُونَ بَاقِي النُّسُور
وَهَبَطْتُ السُّفُوحَ أَحْمِلُ أَحْـ شَائِي عَلَى كَفِّ رِيشِيَ المَنْثُور[2]

للتعبير عن فكرة التمزق والاغتراب بعيداً عن الوطن يصور الشاعر نفسه بالطائر الذي قص مخلبه وجناحه فتهاوى وتناثر ريشه على السفوح، وهي صورة إيحائية تعبيرية مؤثرة تؤكد قدرة عبد المولى على ابتكار صور شعرية تعتمد على توظيف الاستعارات وبذلك تتخلق معالم الصورة، فالرقص بالمعنى المباشر لا يكون إلا لهواً ومرحاً، والصورة التي تنمو في شعورنا صورة معاكسة لرقص لا نعرفه ، أو بتغيير آخر له أحوال خاصة مثلما يرقص الجريح من شدة الألم ، وصفة الرقص التي تخص الإنسان، صيرها الشاعر صفة للحكايا التي هي في واقع الأمر رمز لذكريات الطفولة لدى الشاعر، أو على إحساسه فيما يراه ، نقله إلينا في لوحة فنية بواسطة كلماته، فالكلمة هي "الريشة التي يرسم بها الشاعر صورته الفنية وينقل بها تجربته الشعورية العميقة "[3] :

عَبَقٌ سَاحِرٌ وَ لَحْنٌ شَهِيٌّ لمْ يَزَلْ نَبْضُهُ يَرِفُّ بِأُذْنِي
وَحَكَايَا تَرَاقَصَتْ وَ تَلاَشَتْ لَيْتَ أَنِّي أُعِيدُهَا ، لَيْتَ أَنِّي! [4]

---

[1] دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1987 م،ط2 :66 .

[2] ديوان على جناح نورس : 172 .

[3] الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1981 م ، ط 2 : 5 .

[4] ديوان على جناح نورس : 202 .

وفي صورة أخرى استعار للشرف صفة لبناء وهي الانهيار لرسم تخاذل العرب وضياع فلسطين.. فالبغدادي وبدافع قومي قوي من الذين "تمثلوا الهموم العربية في أشعارهم التي تنزع إلى تجسيد الأمراض العربية"[1]:

في بُطُولاَتٍ شَهِدْنَا زَيْفَهَا نحنُ وَأَنْتُمْ
أَيْ نَعَمْ نحنُ وَأَنْتُمْ
أَبْعِدُوا الأَصْنَامَ وَالأَوثَانَ يَا أَحْرَارَنَا عَنَّا وَعَنْكُمْ
واثْأَرُوا لِلشَّرَفِ المُنْهَارِ لاَ في القُدْسِ* وَحْدَهُ
كُلَّنَا في الهَمِّ قُدْسُ
سَيِّدٌ يَمْلِكُ عَبْدَهْ !
حَاكِمٌ يَغْتَالُ جُنْدَهْ !![2]

ويضيف:(البسيط)

أَتَرْفُضُونَ مَدِيحًا طَاهِرًا عَطِرًا وَتَقْبَلُونَ صَرِيحَ الْغِشِّ وَالدَّجَلِ
مِنْ كُلِّ مُرْتَزِقٍ يَقْتَاتُ ذِمَّتَهُ مُسَوَّقاً نَفْسَهُ بِالبَذْلِ وَالبَدَلِ[3]

---

[1] جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر : نجم الدين غالب الكيب،الدار العربية للكتاب 1987 م، ط1:92 .

* القَّدْسِ هكذا وردت في الديوان

[2] ديوان على جناح نورس : 155 .

[3] مولاي عبدك بين اليأس والأمل : 12 .

المبـحـث الثالث

الرمــز

الرمز:

أورد القرآن الكريم دلالة الرمز في قوله تعالى : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[1] ويرى قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر أن استعمال الرمز في الكلام " فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم"[2] وهو بذلك يفسر على أنه " اصطلاح مشترك بين المتكلم والمتلقي "[3] ، ووضع بن رشيق (ت 456) الرمز في إطار الكناية وجعله من أنواع الإشارات وحدده بأنه " الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ثم

[1] سورة آل عمران : الآية : 41.

[2] نقد النثر :قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، د . ط : 61 .

[3] الرمزية في الأدب العربي : درويش الجندي : 45 .

استعمل حتى صار الإشارة"[1] فالرمز " خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة الصوت إنما هو إشارة بالشفتين ... "[2] إن الرمز "كلمة تتضمن التشابه الموجود بين الرمز والشيء المحسوس المإليه لوجود علاقة سببية بين الرمز والمرموز أحست بهما مخيلة الرامز"[3] فالشيء الذي تمثله الكلمة أو ترمز إليه فهو مرموزها"[4]

فإن "غاية الصورة الرمزية ليس فقط أن تجلو إحساس الشاعر أو فكرته ، بل إنها سابقة على الفكر والشعور"[5]، ويظهر الفرق بين الرمز والصورة في درجة التركيب والتجريد فإن " كلاً من الرمز والصورة يعتمد على التشابه بين الصورة وما تمثله ، والرمز وما يوحي به ، ولكن بينما تظل الصورة على قدر من الكثافة الحسية ، يبلغ الرمز درجة عالية من الذاتية والتجريد يصبح معها طبيعة منقطعة ، مستقلة بحد ذاتها " [6] ودلالة الرمز لا تتوقف على ما يقدمه النص الشعري فحسب، وإنما يعتمد أيضاً على حساسية المتلقي وكفايته في القراءة ؛ لأن " الرمز يقع في المسافة بين المؤلف والقارئ، ولكن صلته بالآخر، إذ الرمز بالنسبة للشاعر محاولة للتعبير، ولكنه بالنسبة للمتلقي منبع إيحاء"[7] مما يمنح للرمز سمة العمق الدلالي وغموض المعاني وتعدد القراءات .

و يعرف بأنه "إشارة غير مباشرة ذاتية ، وغير منطقية ، وهي نابعة من تجربة الشاعر، إنه وسيلة تحديد الرؤيا ، والتعبير عنها بواسطة الصور الناتجة عن الرمز

---

[1] العمدة لابن رشيق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان : 1 : 61 .

[2] لسان العرب : ابن منظور : 97 .

[3] التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية : عدنان حسين قاسم ، مكتبة النجاح الكويت ، 1988 ، د . ط : 123 .

[4] تشريح النقد : نور ثروب فراي ، ترجمة وتقديم : محي الدين صبحي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا د . ط / 1991 : 108 .

[5] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : د . محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978 م ط 2 : 344

[6] الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر : محمد فتوح أحمد : 140 .

[7] نفسه : 140 .

نفسه"[1] والمقصود بهذا التعريف أن الرمز الشعري إشارة بعيدة المرمى، عميقة الأثر استخلصت من مدركات الشاعر الحسية ، ومختزناته الثقافية ، وقوته المتخيلة فاستطاع بها ربط العوالم الحسية ، وما يخبأ وراءها من قوانين كونية بعالمه النفسي ، وما توحيه تجاربه الشعورية ، ومواقفه الإنسانية، ورؤاه الفردية من أبعاد رمزية .

و بذلك قدم الرمز للقصيدة أبعاداً متعددة، رافقت التعبير عن التجربة الشعورية لإفساحه مساحة كبيرة من الإيحاءات، والظلال التي تحيط بالمعاني الدقيقة في إطار تلك التجربة ، ومزجه بين عناصر الكون المختلفة في وحدة متكاملة قائمة على التشابه النفسي .

وبالتالي "لا يمكن أن يخرج مفهوم الاتجاه الرمزي في الشعر الليبي المعاصر عن التأثر بالتجربة الشعرية الرمزية كما تبلورت في الغرب، وامتدادها في الشعر العربي المعاصر"[2] فالرمز يبقى معنى خفيًّا لا يريد الشاعر التصريح به "فالرمز إذن يدل على معان مختبئة في نفس المبدع ، لا يريد التصريح بها ، وإنما يقوده لا وعيه، وأحلامه الباطنية"[3] وبتطور التجربة الشعرية المعاصرة أصبح الاتجاه الرمزي أكثر نضجاً من خلال قدرته على الإيحاء كما يقول أدونيس: "الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص ، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي وإيحائي"[4] فالرمز يمثل رؤيا وتصور، وقفزة خارج المتعارف عليه يقول إيليا حاوي "الرمز ليس أداة تقرير ومقابلة وانتخاب ، فهو لا يقابل واقعاً آخر ولا يفترض عليه ولا يستعير منه ولا يكنى عليه ، بل إنه ينفذ في ضميره وفي نواياه ، فيطلع من قلب المادة الصماء أرواح الحقائق الكامنة فيها"[5].

---

[1] الصورة الشعرية : ساسين عساف، مؤسسة خليفة للطباعة ، دار مارون عبود ، 1985 م : 76 .

[2] الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث : د. قريرة زرقون : 159 .

[3] نازك الملائكة الناقدة : د . عبد الرضا علي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1995 م ، ط 1 : 171 .

[4] زمن الشعر : علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، بيروت ، 1973 م ،ط 3 : 160 .

[5] الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي : إيليا الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت 1983 م ، ط 3 : 142 .

إن الرمز عند الشاعر الحديث هو: "شيء حسي معتبر كالإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين شيئين أحست بهما مخيلة الرامز"[1] وعلى الرغم من البساطة التي نلمسها في شعر البغدادي والوضوح إلا أن هذا لم يمنعه من استخدام الرمز، والحال أن "الرمزية الفنية ليست إلا لوناً من ألوان التعبير المقنع تكون جميلة محببة توافي بطاقات شعورية نشطة تدفع الذهن للتنبه كي يتأتى له الوصول إلى حقيقة المعنى عبر الظلال والألوان المغشية التي ليست معمية وإن كانت في نفس الوقت ليست كاشفة"[2] والرمز لا يقرر ولا يصف بل يومئ ويوحي بوصفه تعبيراً غير مباشر عن النواحي النفسية، وصلة بين الذات والأشياء تتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح[3] ، ويلجأ الشاعر إلى الصورة الرمزية عندما لا يستطيع التعبير عن تجربته الشعرية إلا بالصورة الرمزية فقط؛ "لأنها ذات إيحاء جم ومظهر إيجاز واضح "[4] وليس من اللازم أن ينجح الشاعر في عملية (الترميز) هذه ، بل قد يخفق في خلق مناخ من التآلف بين الرمز والسياق الذي ينضوي فيه فيصبح عامل تشويش واضطراب، والبغدادي كغيره من الشعراء قد يعيد اكتشاف رمز قديم، وقد يعمد إلى ابتكار رمز جديد تبعاً لتجربته الشعرية وثقافته وإبداعه، ونظراً لتأثر البغدادي بمدرستين حديثة وقديمة فقد ظهرت رموزه متنوعة بين رموز مستمدة من الطبيعة، ورموز مستمدة من التراث.

أولاً: رموز مستمدة من الطبيعة :

عندما تفاعل الشعراء الرومانسيون مع مظاهر الطبيعة ، ومشاهدها المتنوعة أصبحت لديهم قدرة على خلق رموز مستوحاة من عناصرها مثل استخدام (العواصف، والزوابع، والرياح... والليل، والنهار والصباح) منها للدلالة على المصائب والمحن

---

[1] الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : د. محمد فتوح أحمد : 36 .

[2] أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ، دراسة تحليلية نقدية موازنة : نظمي عبد البديع محمد ، مطبعة دار الفكر العربي ، مصر: 420 .

[3] الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر : د. محمد فتوح أحمد ، دار المعارف ، 1984 : 40 .

[4] الصورة الأدبية : مصطفى ناصف : 157 .

وعندما تتكرر مشاهد معينة من الطبيعة في الشعر، تصبح رموزاً شعرية تحمل دلالات متغيرة مثل تكرار صورة (الليل) في شعر البغدادي، منحت فيها كل مرة دلالة وإيحاء معيناً ، فمرة نراه يرمز إلى الليل بدلالة البؤس ، وحلول زمن الحزن والضياع من زمن الحكام المستبدين وجورهم وظلمهم كما في قوله :

إِلَى أَنْ تُمِيطَ اللَيالِي دُجَاهَا وَيَسْقُطَ عَهْدَ الدُّمَى وَالقُرُودْ [1]

وتارة نراه يرمز لليل بالجبن وعدم القدرة على اتخاذ القرار، والفشل، والعجز ، ويضع معه نقطة الأمل فالنور المتمثل في النهار يبدد الظلام والأمل يبدد اليأس الذي يسيطر على الجبان، والفاشل، والعاجز، فينبجس الأمل (أطفال الحجارة) من سواد اليأس الذي يغرق فيه الشاعر من واقع العرب:

فَإِنَنَا وَأَنْتُمُ . مَعَاشِرَ الكِبَارْ

كَاللَيْلِ وَالنَّهَارْ [2]

ومرة أخرى يرمز لليل بدلالة الأدب القديم والتقيد بأطره ومواضيعه محاوراً أبا القاسم الشابي الأمل في الجمع بين القديم والحديث، واتخاذ الماضي نقطة انطلاق واجتياز إلى التفوق والنجاح ، حيث يقول : (المتقارب)

أَبَا القَاسِمِ الفَارِسِ المُسْتَظِلّ بِأَرْضِ تُونسَ بَعْدَ السَّفَرْ

أَتَيْنَا نُجَرْجِرُ أَغْلاَلَنَ◌َا إِلَيْكَ ،فَأَنْتَ المُنَى والوَطَرْ

نُكَابِدُ ظُلْمَةَ لَيْلٍ طَوِيـلٍ تَمَلَّكَهُ الْيَأْسُ حتَّى* انْتَحَرْ [3]

وفي قصيدة (جراحات لبنان) يوظف رمز الليل للدلالة على الحرب الأهلية في لبنان والنجم (الأخوّة) هو نقطة الأمل في هذه الظلمة التي سيطرت على نفس الشاعر من وضع حدٍ لهذه الحرب فيقول: (الخفيف)

---

[1] ديوان على جناح نورس : 127 .

[2] ديوان على جناح نورس : 114 .

* حَتْى هكذا وردت في الديوان .

[3] ديوان على جناح نورس : 142 .

إيهِ !! لُبْنَان مَا لِلَيْلِكِ سَاجٍ حَائِرِ النَّجْمِ مُظْلِمٍ مُدْلَهِمّ[1]

من خلال النصوص السابقة ، وما تضمنته صور الليل من دلالات متغيرة يتضح أن الشاعر البغدادي لم يستعمل رمز الليل لدلالة واحدة ، ولو استعملها لأفقدها أهم مقومات الرمز وهو الإيحاء حيث يذكر عدنان حسين قاسم: "أن أسر الحس للرمز محصول في إطار القصيدة الواحدة، وليس من الضروري أن تعطي الدلالة ذاتها للرمز ، حتى لا يتحجر في قالب محدود ، فيغلب عليه الطابع العقلي"[2].

كما تكررت صورة (الطير): النورس، والنسر، والبلبل في شعر البغدادي محتملة عدة أوجه من الدلالات الرمزية، بسبب نشأته في بيئة ساحلية رائعة الجمال وتنقله المستمر•، ومعاصرته لزمن سلبت فيه فلسطين وسلبت معها كرامة المواطن العربي في وطنه، فأصبح يعاني غربة قاسية،فالدلالة الأولى احتملت أن يكون الطير(النسر) رمزاً للحرية وهو رمز يتفق فيه أغلب الشعراء مثل قوله في قصيدة (عندما تسبح النسور) والتي استوحاها الشاعر من رحلته بحراً من طرابلس إلى مالطا للتدريس في جامعتها سنة 1992 م، فالنسر رمز لكل مناضل شريف يجب أن يعانق نغم الحرية عالياً، لكن العوائق متكالبة عليه والحواجز متعالية في وجهه، مما جعله نسراً مهيض الجناح فجعله دلالة للتعبير عن الحرية لليبيين الذين منعوا من السفر جواً، فاستبدلوه بحراً؛ لأن هاجس الحرية، والرغبة العارمة في رفض جميع أشكال القمع الممارس من الدول أو الأفراد تسكن في أكثر قصائده ، فيقول : (البسيط)

فِي قَلْعَةٍ مِنْ قِلاَعِ البَحْرِ غَافِيةٍ فِي حُضْنِهِ تَتَمَطَّى بَيْنَ أَذْرُعِهِ
يُدَاعِبُ الشَّفَقُ الفِضِّـيُّ هَامَتَهَا يَحْنُو عَلَيْهَا ، وَيَسْقِيهَا بِأَدْمُعِهِ
تَبَرَّجَتْ لاحْتِضَانِي عِنْدَمَا لَمَحَتْ فَـتىً يُقِيمُ هَوَاهَا بَيْنَ أَضْلُعِهِ

---

[1] ديوان على جناح نورس : 86 .

[2] التصوير الشعري : عدنان حسين قاسم : 117 .

• بين ليبيا ومالطا وأثيوبيا ، حيث الطبيعة الجميلة من بحر ونورس و ...

أَلْقَيْتُ فِيهَا بِنَفْسِي لاَهِثاً تَعِباً كَسَابِحِ الطَّيْرِ لَمْ يَظْفَرْ بِمَوْضِعِهِ
فَالنسْرُ يُبْحِرُ إِنْ سُدَّتْ مَسَالِكُهُ عَنْ السَّمَاءِ و لَا يَبْقَى بِمَخْدَعِهِ
والحُرُّ إِنْ صَبَّتِ الأَحْقَادُ نِقْمَتَهَا عَلَيْهِ ، قَدْ يَتَحَدَّاهَا بِأُصْبُعِهِ[1]

وإذا انتقلنا إلى قصيدته (عندما تلجم النوارس) وأمعنا فيها النظر، لرأينا أن الشاعر استخدم صورة النورس السجين المكبل الذي صار جواداً ملجم للمفارقة " أي أنها لم تفقد أجنحتها فقط لكنها أُلجمت، فما عاد بوسعها أن تطير، وما عاد بوسعها أن تنطق"[2] ليعادل بها فكرة الحصار الجوي الذي فرض على ليبيا وفكرة سجن الليبيين وحصارهم دون ذنب ارتكبوه، حتى صارت مأساتهم صامتة، وهي أشد أنواع البلاء إيلاماً للنفس ، وأبلغها جرحاً في صميم الروح ، يقول:

وَيْلِي عَلَى تِلْكَ النَّوَارِسِ كَمْ تَظَلُّ مُكَبَّـلاتْ
وَيْلِي عَلَى تِلْكَ النُّسُورِ الْمُلْجَمَـاتِ المُوَثَّقَاتْ
تَسْتَفُّ أَصْنَافَ المَهَانَةِ كَالسَّوَائِـمِ فِي الفَلَاةْ
وَنَجُرَّهَا جَرَّ البَهَائِـمِ ذاهِلاتٍ مُذْهِـلاَتْ
فَتَكَادُ تَجْفَلُ مِنْ حَظَائِرِهَـا و تُفْلِتُ مُطْلَقَاتْ
لَوْلاَ الأَعِنَّةُ و القُيُودُ المُوجِعَاتُ المُفْجِعَـاتْ
شَقِيتْ كَمَا نَشْقَى و لا قَتْ مِثْلَمَا يَلْقَى الأُبَـاةْ
أَلْقَتْ بِهَا وَبِنَا صُرُوفُ الدَّهْـرِ فِي كَنَفْ العُتَاةْ
أَوْلَى بِنَا وَبِهَا التَّحَرُّرُ مِنْ سَلاسِلَ مُجْرِمَـاتْ
أَوْلَى بِنَا وَبِهَا التَّطَهُّرُ مِنْ مَهَانَـاتِ الحَيَـاةْ
الخَوْفُ والصَّمْتُ المُذِلُّ وَ الاحْتِكَامُ إِلَى الطُّغَـاةْ
.....
فَتَوَقَّفَ النَّغَـمُ الشَّهِيُّ العَـذْبُ وَانْقَطَعَ السُّبَـاتْ

[1] ديوان على جناح نورس : 179 .
[2] ديوان على جناح نورس : 167 .

وَإِلى مَتَى تَبْقَى الفَوَارِسُ وَالنَّوَارِسُ مُلْجَمَـاتْ ؟؟[1]

وفي قصيدة أخرى وظف فيها رمز النورس للدلالة على الراحل أحمد الفنيش، فيقول :

وَغَادَرْتَ في يَوْمٍ حَزِينٍ رُبُوعَنَا كَنَوْرَسِ بَحْرٍ لَمْ يَجِدْ بَيْنَنَا وَكْرَا[2]

والدلالة الثانية وظف فيها الرمز نفسه للدلالة على الشاعر نفسه في قصيدته (وقفةٌ على الشاطئ السِّتين)، حيث شبه نفسه بطائر النورس الذي يسيطر الخوف عليه وهو يبحث عن سبل عيشه فوق الأمواج العاتية التي تقلل فرص الحصول على مأربه ، وبالتالي فرص بقائه، وهذا ما أراد الشاعر أن يعبر عنه أي أراد أن يقول أن بلوغه الستين يقلل فرصة استمراره في الحياة، وربما هو طريق عبوره إلى نهايته فيتملكه الخوف والفزع (فزع ترنح فوق موج صاخب) يقول :

يَا شَاطئ السِّتِّينْ جِئْتُكَ سَابِحاً وَتَرَكْتُ فِي عَرض الرِّيَاح مَرَاكِبِي
أَتُرَاي أَعْتَزِلُ الرَّحِيلَ، وأَنْتَهِي مِنْ حَيْرَتِي وأُرِيح كلَّ متاعِبي
مَاذَا يُخَبِئُهُ المَسَاءُ لِنَوْرَسٍ فَزِعٍ تَرَنَّحَ فَوْقَ مَوْجٍ صَاخِبِ
وأُعِيدُ أَنْفَاسِي إِليَّ ، وأَكْتَفِي بخسَائِر حَقَّقْتُهَا وَمَكَاسِب
أَمْ أَنَّنِي سَأَظَلُّ رَغْمَ كُهُولَتِي مُتَشَبِّثاً بأَعِنَّتِـي وَرَكَائِبِـي
يَتَصَيَّدُ الأَوْهَامَ وَهْيَ تَصِيدُهُ بِزَعَانِفٍ مَحْمُومَةٍ وَمَخَالِـبِ[3]

حيث من الواضح أن النورس في هذه القصيدة إن هو إلا رمز، ومعادل للشاعر نفسه في حواره مع ذاته، وقد بلغ الستين من عمره وكتمه لصوت الكهولة بداخله، فهو لا يكتئب لذلك ويتساءل إن كان سيضع نهاية لمتاعبه وقلقه الذي لاقاه في مسيرة حياته ويكتفي بما حققه من أرباح معنوية ويضع حداً لخسائره أم هو مرتبط بالحياة لا يبرح

[1] ديوان على جناح نورس : 181 ـ 184 .
[2] ديوان على جناح نورس : 309 .
[3] ديوان على جناح نورس : 273 .

ميدانها برغم الحالة التي هو عليها بفعل الأعوام الماضية، أما الدلالة الثالثة فقد وظف رمز النورس للدلالة على قصائده الشعرية مثل قوله:

لأَنَّ ذَاكَ النَّوْرَسِ الصَّغِيرِ، لَا يَعْرِفُ الْقُيُودْ
وَشُرْطَةُ المُرُورِ فِـي الحُـدُودْ
وَيَعْشَقُ التَّيَّـارَ وَالإِبْحَــارْ
مُخَلِّفاً وَرَاءَ حُلْمِهِ الجَمِيلْ : مُعَسْكَرَ الخَلِيلْ[1]

ويضيف للتعبير عن قصائد الشعر الحديث برمز النورس:

فَتَنَتْنَا نَوارِسُ مُبْحِرَاتٌ فَكِلانَا بِحُبِّهَا مَفْتُونُ
أَيُّنَا جُنَّ بِالنّوارِسِ قَبْلاً هَلْ أَنَا . يَا تُرَايَ . أَمْ سَعْدُونُ [2]

ويضيف في قصيدة أخرى للتعبير عن قصائده الشعرية :

في الهِنْدِ، فِي السِنْدِ، فِي صَنْعَاءَ مُرْتحِلاً بنَوْرسِي ، فَخَيَالِي كُلُّهُ دِوَلُ [3]

وكذلك وظف رمز النسر والخيول والسماء للدلالة على قصائده الشعرية، كما في قوله :

فَخُيُولِي مَشْـدُودَةٌ بِوَثَاقِي تَشْتَكِي قَيْدَهَا وَتَنْشُدُ حَلَّهْ
وَنُسُورِي رَهِينَةٌ بِاغْتِرَابِـي فَهْيَ مِثْلِي حَبِيسَـةٌ وَمُغَلَّهْ
وَسَمَائِي وَأَيْنَ هِيَ سَمَائِـي طُمِسَتْ مِنْ نُجُومِهَا وَالأَهِلَّة[4]

وفي قصيدة أخرى يرمز للقصائد بالخيول، فيقول :

وَأُلْجِمُ خَيْلِي لِتَرْكُضَ أَنْت [5]

ووظف رمز البلابل(الطيور) للشعر والقصائد :

كَيْفَ تَشْدُو بَلَابِلِي دُونَ رَوْضٍ تَكْتَسِي دَوْحَهُ وَتَرْشِفُ طَلَّهْ [6]

---

[1] ديوان على جناح نورس : 133 .
[2] ديوان على جناح نورس : 329 .
[3] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 28 .
[4] ديوان على جناح نورس : 193 .
[5] ديوان على جناح نورس : 334 .

كما وظف البلابل(الطيور) لكي ترمز إلى أجدادنا في الحبشة :

لا زَالَ فِي الدَّوْحِ شَدْوٌ مِنْ بَلَابِلِنَا وَفِي الشِّفَاهِ حَدِيثٌ لَيْسَ يَنْدَثِرُ [1]

ويضيف في قصيدة أخرى :

فَتَقَشَّعَتْ سُحُبُ الدُّجَى عَنْ أَيْكَةٍ قُصِفَتْ بَلَابِلُهَا مَعَ الغِرْبَانِ [2]

ونلحظ في هذا البيت أنه يستخدم بالإضافة إلى رمز البلابل للقصائد رمز الغربان للدلالة على المعنى نفسه أي القصائد غير الجيدة وهو بهذا يضيف لهذا الرمز دلالة ومعنى آخر يضاف إلى رمزيته ودلالته المتعارف عليها كرمز للإعلام:

تَمَكَّنَ مِنْ سَاحَاتِهِ كُلُّ نَاعِقٍ لَهُ فِي خَبَايَا كُلِّ مُسْتَنْقَعٍ جُحْرُ [3]

وعلى السياق نفسه نلحظ رمز الماء (المستنقع) في البيت السابق للتعبير عن واقع الإعلام العربي بصفة خاصة، والواقع العربي بصفة عامة ، ويستخدم البغدادي الرمز نفسه كدلالة على العصر غير الجيد للشعر بصفة خاصة والواقع العربي بصفة عامة:

أَبْحَثُ فِي جَنَابِهِ عَنْ كُلِّ ما يشُدُّنـي إِلَيْهِ
أَبْحَثُ عَنْ سِلْسِلَةٍ أَضَعُهَا فِي عُنُقِـي
أَبْحَثُ عَنْ لافِتَةٍ حَمْرَاءَ حَوْلَ الطُرُقِ
نُوَجِّـهُ التَيَّارَ وَالمَسَارَ حَسْبَمَا نَشَـاءْ
لأَنَنِـي يَا إِخْوَتِي نَشَأْتُ فِي مُسْتَنْقَعٍ لاَ يَعْرِفُ الهَوَاءْ
وَعَتْمَـةٍ لاَ تَعْـرِفُ الضِّيَـاءْ ![4]

---

[6] ديوان على جناح نورس : 193 .

[1] ديوان على جناح نورس : 258 .

[2] ديوان على جناح نورس : 217 .

[3] ديوان على جناح نورس : 229 .

[4] ديوان على جناح نورس : 77 .

فالنورس، والنسر، والبلابل تعد من الرموز الخاصة التي هي "مجموعة من الألفاظ أو الصور تتكرر كثيراً عند الشاعر بمدلولات خاصة . يفرضها السياق وتتغير من سياق إلى آخر . غير مدلولاتها الحقيقية ؛ فتصبح فيما بعد رموز خاصة"[1] ، ويرد ذكر النسور في الديوان بشكل مكثف وعلى دلالات مختلفة[2]، فالنسور هي دلالة الضمير والإحساس الإنساني اللذين ينبعان من ذات الشاعر، وكذلك تتعدد دلالات المساء في شعر عبد المولى البغدادي فيستخدمه رمزاً للدلالة على العمر :

مَاذَا يُخَبِّئُهُ المَسَاءُ لِنَوْرَسٍ فَزِعٍ تَرَنَّحَ فَوْقَ مَوْجٍ صَاخِبِ [3]

وفي قصيدة أخرى للدلالة على الغربة :

وَالمَسَاءُ الحَزِينُ يَرْقُبُ فَجْراً غَابَ عَنْهُ وَغَابَ عَنِّي بَعِيداً[4]

وكما وظف البغدادي الرمز (الليل . الطير . الخيل . المستنقع . المساء) بطريقة منفردة، فهو يتخذ من بعض المشاهد الطبيعية رموزاً للتعبير عن حالة نفسية اعترته نتيجة الغربة وابتعاده عن وطنه فيجسد غربته في يوم العيد برموز طبيعية من نزف للغيوم إلى حجبٍ للشمس إلى تفجر البحر والرعود منها قوله : (الخفيف)

هَاهِيَ الْآنَ غُرْبَتِي تَتَحَدَّى عَزْمِيَ الرَّاسِخَ القَوِيَّ الْعَنِيدَا
فَإِذَا بِالْغُيُومِ تَنْزِفُ حَرَّى تَحْجُبُ الشَّمْسَ أَنْ تُنِيرَ الوُجُودَا
فَتَوَارَيْتُ فِي عَوَاصِفِ آهَا تِي ، وَفَجَّرَتُ أَبْحُراً وَرُعُودَا
وَتَطَلَّعْتُ مِنْ خِلالِي بَعِيداً وَتَسَوَّرْتُ ، وَاخْتَرْقْتُ* الْحُدُودَا
فَإِذَا بِي بَقِيَّةٌ مِنْ سِرَاجٍ أَوْشَكَتْ عَتَمَاتُهُ أَنْ تَسُودَا
وَشِرَاعٌ مُحَطَّمٌ يَحْضُنُ المَوْ جَ بِأَهْدَابِهِ ، وَيَهْوِي وَئِيدَا

---

[1] الصورة الفنية في شعر محمود درويش : عاطف أبو حمادة ، منشورات الاتحاد العام للمراكز الثقافية غزة 1998 : 56 .

[2] يمكن الرجوع للديوان في الصفحات 167 ،179 ،184 ، 185 ، 194 ، 218 ، 225 ، 259 .

[3] ديوان على جناح نورس : 273 .

[4] ديوان على جناح نورس : 185 .

* هكذا وردت في الديوان والصحيح وَاخْتَرَقْتُ

كَانَ فِي الزَّوْرَقِ الذِي نَسَفَتْهُ زَفْرَةٌ تَنْفُثُ اللَّظَى وَالْجَلِيدَا
إِنَّهَا زَفْرَتِي ، أُجَسِّدُ فِيهَا غُرْبَتِي . يَوْمَ عِيدِهَا . تَجْسِيدَا [1]

وبخلاف تلك الصورة المعتمة للطبيعة للتعبير عن حالة نفسية اعترته نجده يستخدم رموزاً أخرى للطبيعة للدعوة للتفاؤل ولانتصار الحب والحياة، فيستخدم البغدادي (الأغصان . الغرس الأخضر . صوت الغاب . النبع الرائق . الإصباح أزهار . خصباً) والأفعال (يزهو . تشع . ينهل . يرتوي . تعبق . روض . الصبح) فيقول: (مجزوء الرمل)

عِنْدَمَا تُورقُ في الإِنْسَـانِ أَغْصَــانُ المَحَبَّهْ
وَيَرَى فِي غَرْسِــهِ المِّخْضَرِّ عَيْنَيْـهِ وَقَلْبَهْ
وَنَشِيـدُ الغَـابِ مِنْ أَشْبَـالِهِ يَمْـلأُ دَرْبَـهْ
يَرْشِفُ الآمَـالَ نَبْعَـاً رَائِقـاً عَذْبَاً شَهِيًّـا
عِنْدَمَا يَنْبَلِجُ الإِصْبَاحُ عَنْ زَهْـرِ الشَّبـَابِ
بَادِيَ الْبَهْجَةِ يَزْهُـو بِالأَمَانِـيِّ العِـذَابِ
وَتُشِـعُ الوَمْضَـةُ العَذْرَاءُ مِنْ خَلْفِ النِّقَـابِ
تَزْرَعُ العُمْــرَ صَفَـاءً وَوَفَـاء أَزَلِيًّا
عِنْدَمَا يَنْهَلُّ غَيْـثُ البِرِّ وَالإِحْسَــانِ حُبًّا
يُكْسِبُ التُرْبَةَ فِـي الأَرْضِ و فِي الإِنْسَـانِ خِصْبَا
سَيَمُـوتُ الجَدْبُ حَتَّى لَمْ نَعُدْ نَحْصِـدُ جَدْبَا

.....

عِنْدَمَا نَسْتَنْشِقُ البَسْمَــةَ مِنْ أَنْفَاسِ زَهْـرَهْ
قَبْلَ أَنْ يَغْتَالَهَا الحِقْدُ لِكَيْ تَسْكُـنَ قَبْـرَهْ
يَرْتَوِي مِنْ عِطْرِهَا السِّحْـرِيِّ مَنْ أَنْفَـقَ عِطْـرَهْ
لِيَذُوبَ الكُــرْهُ حَتَّى يَخْتَفِـي شَيْئاً فَشَيّـا

.....

[1] ديوان على جناح نورس : 186 .

عِنْدَمَا تَعْبِقُ بِالْأَشْوَاقِ أَزْهَــارُ القُلُــوبِ
لِتُضِـيءَ الغَسَقَ القَاتِمَ فِي الفَجْــرِ الكَئِيــبِ
حَيْثُ تَخْضَـرُّ الأَمَانِـي فـي دُجَـى اللَّيْلِ الرَّهِيبِ
وَيَصُــوغُ الشَّفَقُ الوَرْدِيُّ لَحْناً عَبْقَـرِيًّا[1]

كما استطاع البغدادي أن يستخدم رموز الطبيعة للتعبير عن الواقع العربي والهم العربي الذي كان ولازال يشغله باعتباره عربياً وقومياً عندما يعبر عن خيبة أمله في القمم العربية وما تسفر عنه من قرارات دون أن تلبي طموحات الشعوب العربية ، فيقول: (مجزوء الكامل)

وكم قمة بعثرتها الريـاح فألقت على صانعيها الكدر
....
ولم تنفلت بعد من غمدها ولـم تتمرد ولم تنفجر
ولم تتحسس نزيف الجراح يحركه قيدها المنصـهر[2]

كما اتخذت ألوان بعض المشاهد الطبيعية رموزاً لحالات نفسية وشعورية متنوعة؛ لأن "الارتباطات اللونية تستحضر في القلب والعقل طاقة الأحاسيس التي اقترنت بالتجربة الشعورية، لكن تلك الارتباطات اتخذت سمة فردية محضة، تتصل بذكريات وأحداث ومواقف خاصة تمثل قاعدة موضوعية صالحة للتطبيق في كل الحالات"[3] فطريقة النظر إلى الألوان ترتبط بالتجربة الشعورية للمبدع ، فقد يلون الأشياء بغير لونها الحقيقي، بل يكسبها ألوان انفعالاته الناتجة عن تجاربه الشعورية، نذكر منها استخدامه اللون الأخضر للتعبير عن جمال الشعر، فالشعر يقرأ، والأغنية تسمع :

---

[1] ديوان على جناح نورس : 263 . 265 .

[2] ديوان على جناح نورس : 143 .

[3] التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية : عدنان حسين قاسم ، مكتبة النجاح الكويت ،1988 : 218 .

وَالشِّعْرُ فِي حُضْنِهَا مَا عَادَ أُغْنِيَةً خَضْرَاءَ تَعْزِفُهَا الأَنْدَاءُ والمَطَرُ [1]

أو وصفه للقصيدة باللون الأخضر :

طَافَ الحَيَاةَ عَلَى جَنَاحِ قَصِيدَةٍ خَضْرَاءَ كَالفَجْرِ الطَّهُور تَنَهَّدَا [2]

فالشعر أو القصيدة صوت أو نوع من الموسيقى يمكن أن نصفه إما بالرقة أو بالعذوبة أو الجفاف أو غيرها من الصفات التي ترتبط بالصوت، ولكن الشاعر هنا أسند إليهما لوناً أخضر، أما في قصيدة (عندما تسبح النسور) يعبر الشاعر عن حالة من الارتياح والأمل في بعث الحياة على الرغم من غربته وحصار وطنه فتسبح النسور بدل أن تطير، وذلك برسم صورة مائية لزورق تداعبه النسمات، والبحر الذي أهداه جزءاً من حشاشته "بعثاً للحياة في البحر وفي نفس الشاعر معاً"[3] فيقول:(البسيط)

مَاذَا رَأَتْ في غَرِيبٍ حَلَّ سَاحَتَهَا يُخْفِي لَوَاعِجَ شَوْقٍ مِنْ مَوَاجِعِهِ

تُدَاعِبُ النَّسَمَاتُ الزُّرْقُ زَوْرَقَهُ وَزَفْرَةُ المَوْجِ تَسْرِي فِي مَقَاطِعِهِ

أَهْدَى لَهُ الْبَحْرُ ذَوْباً مِنْ حُشَاشَتِهِ فَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي وَلَمْ يَعِهِ[4]

وصف البغدادي النسمات بـ (نسمات زرق) فأضاف اللون إلى ما ليس له لون ، فالنسيم القادم من البحر عندما نستنشقه نشعر بالارتياح الذي يوحي به اللون الأزرق لون الصفاء والسكينة والعمق، فالنسيم يستنشق ولا يرى بالعين، ومع ذلك أسند له الشاعر لوناً أزرق لتكثيف صورته الشعرية للشعور بتداخل المحسوسات .

ثانياً: رموز مستمدة من التراث:

---

[1] ديوان على جناح نورس : 252 .

[2] ديوان على جناح نورس : 324 .

[3] ديوان على جناح نورس : 166 .

[4] ديوان على جناح نورس : 179 .

قد تستمد الرموز الشعرية من التراث التاريخي والديني ،والثقافي للشاعر ويتم ذلك باستحضار شخصيات تاريخية،وأحداث ومواقف قديمة للإيحاء بالأبعاد الإنسانية والحضارية، وإضاءة الجوانب الغامضة في رؤية الشاعر الفردية تجاه المجتمع ، والحياة.

وهذا النوع من الرموز، كما يقول ساسين عساف :"هي الأكثر أهمية والأشد غنى واكتنازاً شعرياً، إنها تنبع من حدس عميق ومعتم، وأكاد أقول ليس ملك صاحبه بل ملك أجيال، ملك التاريخ، ملك الأمة، وهى لا تنتج عن مجرد تعادل بسيط وظاهر بين أمرين حقيقيين، بل عن أنا الجماعة التاريخية عن تاريخها المعقد والمتفاعل في حالات لاوعيه، وحالات وعيه"[1]، وقد استطاع البغدادي أن يستقي رموزه من منابع تراثية عندما استحضر شخصية تاريخية هي شخصية أبي العلاء المعري للحديث عن الشعر والشعراء ، ومأساة ميلاد القصيدة التي يعانيها الشعراء، يقول : (الخفيف)

شَاعِرٌ إِثْرَ شَاعِرٍ وَقَوَافٍ إِثْرَ أُخْرَى تَغُصُّ بِالشُّعَرَاءِ
رُبَّ شِعْرٍ قَدْ صَارَ شِعْراً مِرَاراً مِثْلَ لَحْدِ القُبُورِ لابْنِ الْعَلاءِ
وَقَوَافٍ عَلَى جَمَاجِمَ أُخْرَى كَبِنَاءٍ عَلَى بَقَايَا بِنَاءِ[2]

هذا فيما يخص الشعر، أما فيما يخص قضايا الشعر وخصوصاً قضية التجديد في الشعر وفي الصراع بين القديم والجديد فالبغدادي يوجه الخطاب إلى رمز الموسيقى الشعرية (الخليل) الذي حوله الآخرون إلى رمز من رموز التسلط ، هذا الصراع بين القديم والجديد ، وميل الشاعر إلى التجديد، والوفاء للقديم باعتباره رمزاً أبوياً يرجع إلى إن: "الكلام في وضعه العادي هو سلعة غير المبدع، أما المبدع فهو يرى أن الكلمات كالخيل البرية الجامحة التي تحتاج إلى ترويض، وهذا ما يفعله الشاعر مع كل استخدام جديد لها، فلذا لا ينبغي لها أن تستأنس بأوضاعها المعتادة، وتأمن مكر التأثير والتغيير

[1] الصورة الشعرية : ساسين عساف : 77 .

[2] ديوان على جناح نورس : 65 .

إذا انتقلت من عالمها إلى العالم الشعري فالكلمة الشعرية تتضمن موت اللغة وبعثها في آن واحد"[1] :

هَلْ يَسْمَحُ الخَليلُ أَنْ أَثُورَ مَرةَ عَلَى
أَطْلاَلِ بَيْتِهِ القَديمْ
أَعيشُ لحظةً واحدةً
.....
وَالوَيْلُ لِلشِّرَاعْ إِنْ تَاهَ عَنْ مَوَاطِنِ الإِرْسَاءِ وَالإِقْلاَعْ
إِلاَ إِذَا اسْتَجَارَ بِالخَلِيلْ
وَأَيْنَ أَنْتَ أَيُّهَا الخَلِيلْ لِتُنْقِذَ الشِرَاعْ[2]

فالشاعر يعالج في هذه الأبيات فكرة الثورة على الطغيان ، فلجأ إلى التراث التاريخي، وأشار إلى شخصية الخليل باعتباره شخصية موسيقية شعرية ورمزاً للقوة وبهذا فالمأساة التي يصورها عبد المولى في هذه القصيدة ليست هي مأساة الشاعر، أو المفكر، أو الأديب فقط في بحثهم عن التحرر من أسر قوالب الماضي، ولكنها مأساة المواطن العربي في بحثه عن حريته المسلوبة ، وكرامته الموءودة"[3] .

ويوظف البغدادي السيف رمزاً للبطولة وشيم الفروسية والقوة والمجد والمقاومة ورفض الخضوع والاستسلام؛ لأنه رمز السلاح الذي خاض به العرب معاركهم حيث يصبح السيف رمزاً للمناضل والمعارض والمتمرد في حديثه عن لبنان:

تِلْكَ لبنان كَمْ تَنَطَّعَ فِيهَا جَامِعٌ لاَ يَلِينُ إِلاَّ بِشَكْمِ
وَهي كَالطَّوْدِ عِزَّةً وَشُمُوخاً لا يَؤوبُ مِنْ غَيْـرِ قَصْمِ
كُلَّمَا اصْطَكَّتْ المجَاذِيفُ فِيهَا بِهَوى الغَادِرِينَ عُرْبٍ وَعُجْمِ
أَطْلَقَتْ مِنْ جِرَابِهَا سَيْفَ حُرٍّ ثَائِرٍ يَرْفُضُ الحَيَاةَ بِضَيْمِ

---

[1] نظرية البنائية في النقد الأدبي : د . صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 | 1998 م : 241 .

[2] ديوان على جناح نورس : 76 .

[3] ديوان على جناح نورس : 72 .

سَوْفَ تَبْقَى مَنَارَةً لحيَاتِي رُغْمَ كَيْدِ العِدَا جَمِيعاً وَرُغْمِي
فَهَلُمِّي لُبْنَانَ نُشْعِلُ نَاراً تحْرِقُ الظُّلْمَ في حِمَانَا هَلُمِّي [1]

وظف الرمز (السيف) للدلالة على الرضوخ والاستسلام وطاعة الحكام، وإرادة الشعب المغيبة:

نَصَّبْتُمْ مِنَ الطُّغَاةِ آلِهَة ،
تَسُومُكُمْ سُوءَ العَذَابْ
مِنْ دَمِكُمْ وَلَحْمِكُمْ تَقْتَاتْ
بِيَدِكُمْ تَصْفَعُكُم
بِسَيْفِكُمْ تُرْهِبُكُمْ [2]

كما وظف الشاعر السيف رمزاً للحرب الأهلية في اليمن في صورة فنية بالغة التأثير، حيث صور السيف يحاصر صاحبه، ويجتاح دمه ولحمه، وما يعنيه الفعل (يجتاح•)،ووصف هذا السيف بالسفاهة لتكتمل الجريمة فيشترك هو وسيفه في الجريمة أي الأخوة في اليمن بعد أن رجع بنا الشاعر إلى فترة زمنية مظلمة تعبد فيها الأصنام وتذبح فيها القرابين ويتقاتل فيها البشر وتدفع فيها الأرواح ثمناً للصراع والتنازع، وهذا الدم المسفوك في ربوع اليمن جعل البغدادي يبكي شعراً، ويثور شعراً، ويتساءل هل نحن حقاً يمانيُّون، وأي فتنة تحرق اليمن موطن بلقيس وسيف بن ذي يزن الذي أصبح يغتال صاحبه وأهله ووطنه في قصيدته (برقية عاجلة أخرى إلى بلقيس) ، فيقول :

هَلْ نَحْنُ حَقّاً يَمَانِيون ؟ يَفِتَناً تَسَّعرَت فِي حِمَانَا تَحْرِقُ اليَمَنَا
وَاحَسْرَتَاهُ عَلَى سَيْفِ بِنْ ذِي يَزِنٍ يَغْتَالُ صَاحِبَهُ وَالأَهْلَ والوَطَنَا
أَصْنَامُ " تُبَّعَ "وَ الأَوْثَانُ مَا بَرِحَتْ تُمَزِّقُ الأَرْضَ ! والأَحْيَاءَ !وَ المُدُنَا
الشِّرْكُ لاَ زَالَ يَحْيَا فِي طَبِيعَتَنا فَأَيُّ وَكْرٍ سَحِيقٍ لَمْ يُقِـمْ وَثَنَا

[1] ديوان على جناح نورس : 87 .
[2] ديوان على جناح نورس : 115 .
• يجتاح : يهلك ويستأصل .

دَمُ الضَّحَايَا قَرَابِينٌ نُقَدِّمُـهَا " لِسَـادَةٍ " أَلْبَسُونَا " ذُلَّهُمْ كَفَنَا

بِعْنَـا جَمِيعاً لِغَيرِ اللهِ أَنْفُسَنَا وَاليَوْمَ نَدْفَعُ مِنْ أَرْوَاحِنَا الثَّمَنَا

سَيْفِي يُحَاصِرُنِي ، يَجْتَاحُ فِي سَفَهٍ دَمِي وَلَحْمِي ، فَسَيْفِي مُجْرِمٌ "وَأَنَا" [1]

ووظفه رمزاً للخيانة وللاقتتال الداخلي في اليمن:

تِلْكَ الخَنَاجِرْ والسُّيُو فُ المُشْهَرَاتُ بِوَجْهِ مَنْ ؟

ويستخدم الشاعر السيف الخشب رمزاً للجمود والاستسلام أو التأسف على ضياع هذه القيم من زمن الخذلان فيصبح رمزاً للتخاذل والاستسلام للحكام العرب الذين يسعون جاهدين للتفاوض والصلح مع إسرائيل :

وَلْيُقْبَرْ شَعْبُ لمْ يَثْأَر

وَلِيُكْسَرْ سَيْفٌ لَمْ يُشْهَرْ [2]

ووظفه للدلالة على الحلم الصهيوني بسلب فلسطين :

لَقَدْ حَقَقْتَ يَا بِيريزُ فِينَا حُلْمَ صُهْيـون

قَطَعْتَ بِسَيْفِكَ المَوْتُورِ قَلْباً فِي فِلسْطِينِ

وَأَشْبَعْتَ الحِمَى غَدْراً عَلَى مَرْأَى المَلاييْنْ

وَنَحْنُ نُعَانِقُ السَّيَافَ بَيْنَ الحِين والحِينْ [3]

تعددت دلالات السيف في شعر عبد المولى البغدادي مع أن السيف رمز تراثي يدل على البطولة والشهامة والنخوة إلا أن السيف عند البغدادي مثل المناضل حيناً وفي أحيان كثيرة مثل الرضوخ، والخيانة، والاقتتال، والحرب الأهلية " لأن الرمز ليس معطى جاهزاً، بمقدار ما هو استنفار لقدرات المتلقي، بما يفتحه من أبعاد إيحائية متنوعة"[4] ، وبهذا أسهم الرمز في رسم الصورة الشعرية.

---

[1] ديوان على جناح نورس : 93 .

[2] ديوان على جناح نورس : 121 .

[3] ديوان على جناح نورس : 134 .

[4] الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث (بدايتها . اتجاهاتها . قضاياها . أشكالها . أعلامها) د قريرة زرقون نصر ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي . ليبيا 2004 م ، ط 1 : 202 .

كما وظف من التراث رمز حارس القصر والمراد خادمه أي لبنان الذي بمعاناته أسقط الأقنعة عن الحكام والزعماء الذين عبثوا وعاثوا في رباه ثم حولوه إلى قتيل بالاقتتال الداخلي، يقول :

كُنْتُ لاَ شَيءَ غَيْرَ حَارِسَ قَصْرٍ يَخْدُمُ السَّيِدَ العَظِيمَ بحَزْم
كُنْتُ لاَ شَيءَ غَيْرَ عَبْدٍ حَقِيرٍ أَخْرَسٍ مِثْلَ سَيْفِهِ وَأَصَمّ [1]

ويلاحظ أنه استخدم رمز السيد للحكام في حين استخدم نفس الرمز للتعبير عن القصيدة القديمة:

وَمُنْذُ ذَلكَ الحِوَارْ النَّادِرْ الطَرِيفْ
أَدْرَكْتُ أَنِّي عَبْدُ كُلِّ سَيِّدٍ وَلَوْ مِنَ الوَرَقْ
أَلْتَمِسُ الأَمَانَ والغُفْرَانْ
الطَّاعَةُ الْعَمْيَاءُ لِلسُّلْطَانِ مَهْمَا كَانْ[2]

وكذلك يرمز للاستبداد:

وَأَنْتُمُ لاَ شَيْءَ غَيْرَ الطَّاعَةِ العَمْيَاءِ وَالخَرْسَاءِ
سَيِّدِي مَوْلاَيَ أَلْفَ حَمْدٍ لَكَ !! [3]

ويستخدم السلسلة بمعنى العقد الرائع يرمز للقصيدة الجيدة:

أَبْحَثُ عَنْ سِلْسِلَةٍ أَضَعُهَا فِي عُنُقِي[4]

ويستخدم السلاسل للرمز للقيد :

حَرَسٌ بِسَلاَسِل غَرْبِيَة [5]

ويستخدم رمز الطبل للتعبير عن الوزن في القصيدة :

---

[1] ديوان على جناح نورس : 85 .
[2] ديوان على جناح نورس : 77 .
[3] ديوان على جناح نورس : 115 .
[4] ديوان على جناح نورس : 77 .
[5] ديوان على جناح نورس : 121 .

كَأَنَّهَا دَقَّاتُ طَبْلٍ أَجْوَفْ [1]

ويستخدمه البغدادي رمزاً للحرب الأهلية في لبنان والمؤامرات التي تحاك ضده من الحكام المتآمرين على أمنه واستقراره:

كُنْتُ لَوْلاَ طُبُولُ حَرْبِكَ وَهْماً رَكَّبُوا فِي خَيَالِهِ أَلْفَ وَهْمِ [2]

ويستخدمه بمعناه الحقيقي وهو التهليل والفرح للتعبير عن عبثية شعر المديح وعدم جدواه، يقول :

والشِّعْر إِنْ لَمْ يَكُنْ حُراً فَلاَ أَحَد يُصْغِي إِلَيْهِ وَلَوْ دُقَّتْ لَهُ الطُّبُلُ

الشِّعْر خَصْمٌ عَنِيدٌ ضِدَّ مَنْ حَمَلُوا ظُلْماً ، وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ لِمَنْ عَدَلُوا

وَيَفْقِدُ الشَّاعِرُ الْعِمْلاَقُ قِيمَتَهُ إِنْ طَأْطَأَ الرَّأْسَ ، أَوْ زَلَّتْ بِهِ الْجُمَلُ[3]

ويستخدم البغدادي رمز الحمى من التراث:

وَتَسَاءَلْتُ كَيْفَ أَحْيَى بَعِيداً عَنْ حِمَايَ الَّذِي تَفَيَّأْتُ ظِلَّهْ[4]

ويضيف في قصيدة أخرى:

أَيَلْفَظنِي حِمَاكَ ، فَأَيُّ صَدْرٍ رَحِيمٍ بَعْدَ صَدْرِكَ يَحْتَوِي[5]

"إن الأسماء والرموز المهمة في حركة التاريخ والحوادث الكبرى والمأثورات الشعبية وما في حكمها من مواقف وحكايات وأساطير وغيرها، تحمل دائماً خصوصيات الشعوب التي تنتمي إليها وهي بالتالي ذات دلالات شعبية متمايزة تصلح لخلق صور جمالية"[6] فالسياق الفني للقصيدة يؤسس من خلال الصورة الشعرية التي تمثل "(الشكل الفني) الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن

---

[1] ديوان على جناح نورس : 76 .

[2] ديوان على جناح نورس : 85 .

[3] خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : 28 ، 29 .

[4] ديوان على جناح نورس : 193 .

[5] ديوان على جناح نورس : 297 .

[6] الاغتراب في الفن ، دراسة في الفكر العربي المعاصر : د. عبد الكريم خالد ، منشورات جامعة قار يونس . بنغازي ط1 | 1998 م : 261 .

جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة" [1]،ويستخدم البغدادي المومياء رمز للشعر الجاد، ويلاحظ أنه مزج بين الرمز والتشبيه في صورة فنية " فقد أراد ما وراء الظاهر في حالة المشبه ، فأوحى بما خفي عن طريق المشبه به عن قصد منه ، وهدفه تحريك أفكارنا ، فالصورة هي ثراء الفكر[2] يقول:(الخفيف)

عِنْدَهَا تَبْرُزُ الدُّعَابَةُ وَ الْجِـ ـدُّ بِوَجْهَيْنِ مُظْلِمٍ وَمُضَاءِ
(إِنَّهَا نُكْتَةٌ وَ إِنْ شِئْتَ مَأْسَـ ـةٌ) لِجَلْبِ الْإِضْحَاكِ وَالإِبْكَاءِ
وَالدُّعَابَاتُ أَحْرَجَتْ مِنْ قَدِيمٍ مَوْقِفَ الْوُجَهَاءِ وَالْعُظَمَاءِ
يَنْطِقُ الْفَنُّ إِنْ بَدَا سَاخِرَ الشَّكْـ ـلِ وَإِنْ جَدَّ فَهْوَ كَالْمُومِيَاءِ
وَمُزَاحُ الْفُنُونِ أَجْدَى مِن الجِـ ـدِّ وَأَبْقَى مِنْ حِكْمَةِ الحُكَمَاءِ[3]

وفكر الشاعر منشغل بوظيفة الشعر، وأغراضه، وأشكاله فالشعر الجاد لديه باقٍ عبر رمز (المومياء) الدالة على البقاء والخلود عبر الزمن ويستدل على ذلك أن الفراعنة القدماء كانوا يعتقدون بالبعث بعد الموت، ولذلك كانوا يحنطون جثت الموتى كي تقاوم عبر القرون عوامل الفناء والتحلل، فقوة الشعور" تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا في التصريح بالأفكار مجردة"[4].

ويستخلص مما سبق أن الرموز يغلب عليها البعد التاريخي العربي الإسلامي، وقد تنفتح بشكل محدود على التراث الإنساني، ولا تغيب الرموز الأخرى المرتبطة بمظاهر الطبيعة ، ومن جهة أخرى قل الاعتماد على الأسطورة بشكل كبير ، وشكل الهم الوطني والقومي (فلسطين ، لبنان ،اليمن ، القارة الإفريقية) وقضايا الصراع مع الغرب، وإسرائيل، والحكام، وقوى الابتزاز العالمي، المحاور الرئيسة التي وظفت الرموز للدلالة عليها في شعر البغدادي ، ويمكن القول أن البغدادي وفق في توظيف الرموز الطبيعية وهو بهذا

---

[1] الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د . عبد القادر القط : 391 .

[2] الصورة الأدبية : د . مصطفى ناصف : 216 .

[3] ديوان على جناح نورس : 68 .

[4] دراسات ونماذج في مذهب الشعر ونقده : د . محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر د . ط : 60

صور لنا الموضوع الذي يريد والهدف الذي يسعى إليه؛ ليتغلغل في نفس المتلقي، وليثير عاطفته ويوجهه الاتجاه الذي يريده، وأن الرمز حاضر في شعره، مبثوث في قصائده، لكنه يعالجه بأسلوبه الخاص من صدق التجربة وسلاسة العبارة، ووضوح اللغة، وعذوبة الموسيقى الشعرية... ويبقى الخطر الذي يتهدد القصيدة كسائر القصائد هو تقنين الرموز داخل أطر يستخدمها البغدادي كغيره من الشعراء انطلاقاً منها وتحليلها على هذا الأساس .

النتائج:

1- أنّ البغدادي شاعرٌ مثقفٌ أسهم في الحياة الثقافية ، فكان له دور فعَّال في الأوساط الأدبية . عن طريق أشعاره . لإيمانه بما للكلمة من دور مهم في بناء الثقافة الوطنية ، وتأكيد الشخصية العربية والقومية .

2- للبغدادي نظرة خاصة في الأدب والفن والشعر ، بَحَثَ من خلالها عمَّا يخدم الإنسان وقضاياه ، ويبني مستقبل الشعوب ؛ لأنه يدعو إلى الالتزام بقضايا الشعب والوطن ، ويشيد بالأدب الذي يصنع الحرية والحياة .

3- له نظرة عميقة تجاه المرأة ، نابعة من ثقافته الإسلامية ،فجسد آلامها وأحلامها في أشعاره

4- الشاعر وقف إلى جانب النضال الإنساني لتحقيق الحرية والكرامةَ ضد الطغيان بنوعيه: الاستبدادي والاستعماري مرشده في ذلك إنسانيته ، فتغنى بقضايا الإنسان في كل مكان وبكل شجاعة نادرة ، فجاءت كثير من قصائده متوهجة بحب إنساني كبير وتعاطف مع قضية الإنسان في الوطن العربي ، والعالم .

5- أنه تميز بأفكاره السياسية التي آمن بها، وحاول أن يحارب عن طريقها من أجل تغيير الواقع المتردي في جميع النواحي، السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

6- أنّ البغدادي امتلك نزعة إنسانية ، وروحاً تضطرم بالحب الإنساني، والتعاطف، انطلقت تجربته الشعرية من خلالها إلى آفاق أرحب وأكثر استيعاباً من حيث الشعور والقدرة على التعبير، فانطلق من خلال إنسانيته ومشاعره وأحاسيسه العارمة ليرسم صورةً شعرية لواقعه، وللإنسان المعذَّب والمضطهد في كل مكان من العالم، فبهذه الروح الإنسانية استلهم من الحياة والواقع قضايا أدبه .

7- أن البغدادي . شاعر . لا يقل شأناً وأهميةً عن شعراء كبار يشكلون قامات سامقة في ليبيا والوطن العربي كأحمد رفيق المهدوي، وكأبي القاسم الشابي ، فإذا كان الشعر يهدف إلى تقديم رسالة خالدة تخدم الإنسان في كلِّ مكان ، فإنّ ما قدَّمه البغدادي من خلال شعره خدمة للأدب وللوطن وللإنسانية يؤكد ذلك .

8- إن الشعراء الليبيين اهتموا بالشخصية في أشعارهم وأنّ قراءة الشعر الليبي تمنحنا القرب من البيئة التي نعيش فيها وأن العالمية في الشعر تنبع من الوطن، وأن مظاهر الشخصية في القصيدة الشعرية في ليبيا أبرزت موقف شعرائها الاجتماعي والسياسي الذي بدأ بيناً في شعرهم باستخدامهم لصور فنية متعددة لرفضهم الواقع الاجتماعي والسياسي وفق منظورهم الذاتي، وتمردهم الفردي، وذلك حين اتضح لهم الفشل في تغيير مساوئ الواقع، ولقد آثر أغلبهم الهروب إلى استحضار الشخصيات التاريخية والتراثية التي توثقت صلتهم بها، وتعمقت نظرتهم تجهاها حتى أنها أصبحت صورة لذواتهم ، وملاذاً لهمومهم ، ووحياً لإلهامهم الشعري .

9- أن الشاعر عبد المولى البغدادي نبغ في توظيف الشخصية في الشعر القصيدة على غرار الشعر العمودي والذي يلاحظ هنا أنها ليست تكملة للوزن وإنما للدلالة النفسية .

10 - بهذه الرؤية الشعرية للشابي استطاع البغدادي أن يحدث توازناً مع الشعر القديم الذي أجاده حفظاً ودِرَاسة ومع الشعر الحديث باطلاعه على المدارس الشعرية الأخرى مثل مدرسة الشابي وشوقي وخليل مطران وأحمد رفيق المهدوي ، وباطلاعه على أنصار الحديث أمثال علي الرقيعي وخالد زغبية وكذلك كبار الأدباء والشعراء مثل الأديب الليبي خليفة التلّيسي، والشاعر العربي نزار قباني .

11 - أن الأدباء العرب اهتموا بالشخصية وإن تباينوا في شكلها ، فقد اتفقوا في أنها تعبر عن شيء واحد

12 - يشترك الشاعر في ليبيا مع غيره من شعراء العربية بصورة خاصة، وما سواهم بصورة عامة، في كيفية تناول القضايا المشتركة ذات الاتجاهات الوطنية والقومية والإنسانية والذاتية .

13 - الاتجاه الرمزي، الذي جعل البغدادي كغيره من الشعراء من الرموز منبع إيحاء دلالي خصب؛ لأن الرمز ليس معطى جاهز، بقدر ما هو استنفار لقدرات المتلقي .

14- أن البغدادي شاعر مبدع ، فهو يعد ظاهرة متميزة في الشعر الليبي والعربي، وقارئ ديوانه يحلق في أجواء رحبة من العاطفة والخيال والموسيقى ، تبرز في صور فنية ومعانٍ تدخل في إطار التجديد مع المحافظة على القالب التقليدي في أغلب القصائد.

15- من أهم سمات شعر البغدادي أن عباراته مشرقة سلسة عميقة ، وموسيقاه عذبة وتظهر قدرته الفائقة في القبض على زمام اللغة، والمعرفة العميقة بأسرار الكلمة وأغوارها وهذا ما يجعل من قراءة الديوان قراءة متجددة بحيث تشعر في كل مرة تقرأ فيها الديوان وكأنك تقرأه لأول مرة .

16–أن الصورة الفنية وسيلة تعبيرية متجددة تعمل في عدة اتجاهات، ومنبعها عند البغدادي إحساسه الذي شكل المعنى في صورة فنية مما يؤكد أنّ " الصورة الشعرية كياناً فنياً نابضاً بالحياة الإنسانية"[1].

17– أن البغدادي ممن أكثروا من استعمال الرمز في شعرهم، وخصوصاً الرموز الطبيعية والتراثية، ولهذا الاتجاه للرمز عوامل موضوعية منها: البيئة الجديدة التي تفتح عليها فكره أثناء اغترابه الاختياري والعوامل المحيطة به وثقافته الواسعة، ومدى فداحة الواقع السياسي الذي يسود البلاد العربية مما اضطره أحياناً إلى استعمال الحديث غير المباشر للتعبير عما يريد ، وهي تقف جنباً إلى جنب مع العوامل الفنية التي أغرته باستعمال الرمز وعوامل تأثره بشعراء التجديد في الصور والمعاني والشعر المحرر من جمود الخيال والمخصب بالفكر ، ومنهم أبو القاسم الشابي.

18– أن توظيف البغدادي للرمز لم يكن بصورة منفردة، ولكن من خلال الاستعانة ببعض الوسائل كالإيحاء والتشبيه وغيرها وهذا يدل على مدى وعيه بأهمية ومدى ارتباط الرمز بصلب التجربة الإبداعية؛ لأن "الرمز ليس كياناً مستقلاً عن التجربة، بل وجوده مرتبط بها ارتباطاً صميماً، وإن التجربة الشعرية ذاتها هي الدافع الأساس في كشف الصيغة الرمزية"[2].

19– صور عبد المولى البغدادي التشبيهية والاستعارية كان حضورها حضوراً تفاعلياً منسرباً في مكونات النص الفنية، الأمر الذي أمدها بقدرات تعبيرية واسعة مكنتها من تجاوز إطارها الذاتي إلى الانفتاح على تجارب إنسانية ، منحتها بعداً دلالياً وعمقاً إيحائياً .

20– أن الدارس لديوان البغدادي لابد أن يلاحظ الحيز الواسع الذي تتمتع به الاستعارة ، وخصوصاً في القصيدة الواحدة ، وذلك لأهميتها في الإيجاز والبيان فهي تأخذنا إلى

---

[1] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم : 7 .

[2] الرؤيا والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب : أحمد الطريسي أعرب ، مطابع إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء 1987 م ، ط1 : 304 .

الغرض المراد بأيسر الطرق وأقصرها، و"أن التجربة الشعورية التي تولد من حدث عظيم لا يمكنها أن تنجب مخلوقاً فنياً رائعاً دون أن يعيشها شاعر مبدع"[1]

21- بعد الإطلاع على بعض من معالم الصورة الشعرية عند البغدادي جاءت الصور الشعرية متنوعة بين رمزية وتشبيهية واستعارية، لتكشف عن رؤيا الشاعر للكون والحياة فهي . الصورة . "فيض من شعور غامر نابع من وجدانه بالحياة والناس والطبيعة والأشياء، ومن تجارب النفس مع هذه جميعاً يكوّن الصورة الشعورية الدافقة التي يحاول أن يرسمها باللغة، بالألفاظ، بالبيت، بالقطعة، بالقصيدة، بموسيقى الكلما"[2]

وأخيراً فإن العديد من النتائج الجزئية التي تظل في ثنايا البحث ، وهي لا تخفى عن بصيرة القارئ المدقق، كما أن قصائد الشاعر عبد المولى البغدادي لا تزال حقلاً خصباً للدراسة ؛ لتنوعها وغزارتها ، مما يجعل المجال مفتوحاً أمام دراسات مستقبلية

والله من وراء القصد وهو المعين.

المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر :

1. ديوان على جناح نورس : د. عبد المولى البغدادي ، تقديم وتعليق : د. سعدون السويح ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1999 ، ط1 .

2 . خمسون عاماً زرعنا روضها أملاً : عبد المولى البغدادي ، دار الخمس للطباعة .

3 . مولاي عبدك بين اليأس والأمل : عبد المولى البغدادي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م ، ط 1 .

وا.. خليلاه : عبد المولى البغدادي ، إشراف هيئة الأوقاف ـ فرع طرابلس.

ثانياً / المراجع

[1] التصوير الشعري : د . عدنان حسين قاسم : 13 .

[2] مع الأدب والأدباء : عبد الكريم غلاب ، دار الكتاب الدار البيضاء ، 1974 : 186 .

1. الأبعاد الأساسية للشخصية : أحمد محمد الخالق ، الدار الجامعية ، بيروت 1983 م ، ط1 .
2. الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر :د. مفيد محمد قميحة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1981 م ، ط1 .
3. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : عبد القادر القط ، دار النهضة العربية بيروت ، 1984 ، ط 4 .
4. الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث : د. محمد الصادق عفيفي القاهرة ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ،القاهرة ، بغداد 1969 م ، ط 1.
5. الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث : د. محمد الصادق عفيفي القاهرة ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، 1969 م ، ط 1.
6. آثار الشابي وصداه في الشرق : أبو القاسم كرّو ، دار الغندور ، بيروت ، 1961 م ، ط 1 .
7. الأدب العربي المعاصر في مصر : د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979 م .
8. الأدب وقيم الحياة المعاصرة : د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980 م .
9. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د . علي عشري زايد الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1978 ، ط 1 .
10. أسرار البلاغة في علم البيان: عبد القاهر الجرجاني ، ت. د . محمد الأسكندراني، دار الكتاب العربي، ط 2/ 1998 م .
11. الأسطورة في الشعر العربي الحديث : د.أنس داود، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، د . ط .

12. إشكاليات القراءة وآليات التأويل : نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1999، ط 5 .
13. أشواق صغيرة، لعلي الرقيعي: تقديم سليمان كشلاف، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1978 م ، ط 2.
14. أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب ، النهضة المصرية ، القاهرة 1973 ، ط 8 .
15. الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1980 م ، ط 5 .
16. أعلام من طرابلس : علي مصطفى المصراتي ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1972 ، ط 2 .
17. الأعمال الشعرية الكاملة : علي صدقي عبد القادر ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1985 ، ط 1 .
18. الأعمال الكاملة : نزار القباني ، الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،2007 م ، ط 1 .
19. الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ،تحقيق عبد السلام هارون مصور عن دار الكتب ، مؤسسة جمال ،بيروت .
20. البلاغة العربية في ثوبها الجديد : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، ط1 / 1984 .
21. بناء الرواية : سيزا قاسم ، الهيئة المصرية العامة ، 1989 .
22. البيان والتبيين : عثمان عمر الجاحظ : تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية .
23. تاريخ الطبري : ابن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، 1966 م ،ط 2 .

24. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) : محمد مفتاح ، المركز الثقافي 1992 م ، ط 3 .
25. تحليل الشخصية : محمد خليفة بركات ، دار مصر للطباعة ، د . ط .
26. التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية : عدنان حسين قاسم ، مكتبة النجاح الكويت ،1988 .
27. التصوير الشعري ، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية : عدنان حسين قاسم ، مكتبة النجاح الكويت ،1988 .
28. تطور الشعر العربي الحديث (الدوافع . المضامين . الفن) : د. شلتاع عبود شراد ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع 1998 م ، ط1.
29. التفسير النفسي للأدب : د . عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت د. ط ، 1963 م.
30. التلّيسي موسوعة وريادة ،كتاب توثيقي يرصد فعاليات الندوة التي نظمت بمدينة بنغازي في 21 ،22 /12 /2002 منشورات تنمية الإبداع الثقافي . ليبيا ،ط 1
31. جذور القومية العربية في الشعر الليبي المعاصر : نجم الدين غالب الكيب،الدار العربية للكتاب 1987 م، ط1 .
32. الحركة الأدبية والفكرية في تونس : محمد الفاضل بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، 1972 م ، ط 1 .
33. الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث (بدايتها . اتجاهاتها . قضاياها . أشكالها . أعلامها) د قريرة زرقون نصر ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا 2004 م ، ط 1 .
34. حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث : فوزي البشتي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1980 ، ط 1 .

35. خليل مطران ، باكورة التجديد في الشعر العربي الحديث : د. ميشال جحا , المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 1981 ، ط 1 .
36. الخيال الشعري عند العرب ،أبو القاسم الشابي: تقديم محمد لطفي اليوسفي ، سراش للنشر 1996م تونس، ط8 .
37. دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1987 م،ط2 .
38. ديوان إبراهيم طوقان ، دار المسيرة بيروت، مكتبة المحتسب ، 198 ، ط 1 .
39. ديوان أحمد قنابة : أحمد قنابة ، تحقيق : الصيد أبو ديب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 .
40. ديوان أشواق صغيرة : علي الرقيعي: تقديم سليمان كشلاف ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1978 ، ط 2 .
41. ديوان الأعمال الشعرية الكاملة : علي صدقي عبد القادر، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1957 ، ط 1 .
42. ديوان البلبل والوكر : إبراهيم الأسطى عمر ، جمع : عبد الباسط الدلال وعبد اللطيف شاهين ، الإسكندرية مطبعة م . ك ، 1967 ، ط 1.
43. ديوان الحنين الضامئ :علي الرقيعي : تقديم خليفة التليسي ، وكامل حسن المقهور ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، 1979 م ، ط1 .
44. ديوان إيقاعات متداخلة : خالد زغبية ، مجلس تنمية الإبداع الثقافي ، ليبيا ، 2009 م ، ط 1 .
45. ديوان بدر شاكر السياب : تقديم ناجي علوش ، دار العودة ، بيروت ، 1971 ، د . ط .
46. معجم البلاغة العربية : بدوي طبانة منشورات جامعة طرابلس ، د . ت .

47. ديوان حافظ إبراهيم ، دار العودة . بيروت 1996 م ، ط1 .
48. ديوان زهير بن أبي سلمى : شرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3 .
49. ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري : شرحه وضبطه وضبط نصوصه وقدم له : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم 1998 م ، ط1 .
50. ديوان سيقبل الربيع : خالد زغبية الدار العربية للكتاب طرابلس ، ليبيا 1989 م ، ط 2 .
51. رؤية نقدية في نقد الشعر : د كمال نشأت ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ، 1991 م .
52. الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث بالمغرب : أحمد الطريسي أعرب ، مطابع إفريقيا الشرق الدار البيضاء ، 1987 ، ط 1 .
53. رحلة عبر الكلمات خليفة التليسي ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ، 1979 م ، ط2 .
54. رفيق شاعر الوطن دراسة عن الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي والحركة الحديثة بليبيا :خليفة محمد التليسي ، طباعة انترسينت مالطا ، 1976م ، ط 3
55. الرمز في الشعر العربي (دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب) : د . الطاهر محمد بن طاهر ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي 2007 م ، ط 2
56. الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي : إيليا الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت 1983 م ، ط 3.
57. زمن الشعر : علي أحمد سعيد (أدونيس) ، دار العودة ، بيروت ، 1973 م ، ط 3 .
58. سوسيولوجيا الغزل العربي : الطاهر لبيب ، محمد حافظ ذياب ، سينا للنشر ، 1994 ، ط 1 .

59. شرح ديوان أبي القاسم الشابي : تعليق د . يحي شامي ، دار الفكر العربي، بيروت 1997م ، ط 1.
60. الشعر الحديث في ليبيا ، دراسة في اتجاهاته وخصائصه : د. عوض محمد الصالح ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2002 م .
61. الشعر العربي الحديث في موريتانيا ((دراسة في تطور البناء الفني والدلالي (1960 . 1995)) : محمد الحسن ولد محمد المصطفى ، الشارقة ، دائرة الثقافة والإعلام ، 2004 ، د. ط .
62. الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش : د. ميشال خليل جحا ، دار العودة | دار الثقافة ، بيروت ، 15 | 4 | 1999 ، ط 1
63. الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) : عز الدين إسماعيل ،بيروت ، مكتبة الأكاديمية ، 1998 م ، ط 5 .
64. الشعر والتلقي ، دراسات نقدية : د. علي جعفر العلاق، دار الشروق الأردن ، 1997 ، ط 1 .
65. الصور الفنية في شعر علي الفزاني: أ. حنان محمد شلوف ، مطبعة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، مصراتة 2007 ، ط 1 .
66. الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1981 م ، ط 2 .
67. الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث . شعر خليفة التلّيسي نموذجاً: نجاة عمار الهمالي، مجلس الثقافة العام ، ليبيا ، 2008 ، د . ط .
68. الصورة الشعرية : ساسين عساف، مؤسسة خليفة للطباعة ، دار مارون عبود ، 1985 م .
69. الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي: مدحت سعد الجبار، الدار العربية للكتاب طرابلس 1984 م ، د.ط .

70. الصورة الفنية في شعر محمود درويش : عاطف أبو حمادة ، منشورات الاتحاد العام للمراكز الثقافية غزة 1998 .
71. علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته : د . صلاح فضل ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، 1992
72. علي صدقي عبد القادر شاعر الشباب : نجم الدين غالب الكيب ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1985 م ، ط 1 .
73. في النقد الأدبي "مكتبة الدراسات الأدبية " : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1988 م ، ط 7 .
74. قراءات في الشعر الثوري :عبد الوهاب الحراري دراسة نقدية في الشعر العربي الليبي ،دار مي للطباعة والنشر ، دمشق، 1992 ، ط1 .

75. قضايا الإنساني الشعر الليبي المعاصر(2000.1970) : سليمان زيدان ، مجلس الثقافة العام 2006
76. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : د. محمد زكي العشماوي ، دار المعرفة الجامعية 1992
77. الكامل في اللغة والأدب ،لأبي العباس محمد بن يزيد للمبرد :تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم ،مطبعة نهضة مصر 3 .
78. الكلمة والمجهر ، دراسات في نقد الشعر : د . أحمد درويش ، دار الهاني للطباعة ، 1993 م .
79. لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، 1992 م ، ط 1 .
80. مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تحقبق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1998 م , د . ط 1

81. المجموعة الأولى من الأعمال الشعرية الكاملة :علي الفزاني ، المنشورة في الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ،1975 .
82. معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين : عبد الله سالم مليطان ، دار مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني ، 2001 م ، ط 1 .
83. نازك الملائكة الناقدة : د . عبد الرضا علي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1995 م ، ط 1 .
84. نظرية البنائية في النقد الأدبي : د . صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 1 | 1998 م .
85. النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ،1987 م ، د. ط .
86. النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير : د. عبد الإله الصائغ ،المركز الثقافي العربي ، 200 م ، ط 1 .
87. النقد المنهجي عند العرب : محمد منذور ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1948 .
88. نقد النثر :قدامة بن جعفر ، تحقيق : 61محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، د . ط .
89. نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب ، شرح محمد عبده ،أشرف على تحقيقه وطبعه : العزيز سيد الأهل ، دار الأندلس ،للطباعة والنشر ، بيروت.
90.
91. النورس والعاصفة دراسات في شعر عبد المولى البغدادي : نسق مقالاته د.علي عبد المطلب الهوني ، د. زهير غازي زاهد : تقديم د . مجمد مسعود جبران ، منشورات الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف طرابلس ،2007 م، ط1 .

ثالثاً / الكتب المترجمة :

1 التجربة الخلاقة ، س.م. بورا ، ترجمة سلافة حجاوي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1982 .

2 الأسطورة والمعنى : كلود شتراوس ، ترجمة صبحي حديدي ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2 1986 م .

3 الشعر والتجربة : أرشيبالد مكليش ، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوشي ، مراجعة : توفيق صانع ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . بيروت . نيويورك 1963 م، د.ط .81

رابعاً **الرسائل الجامعية:** 1 . لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي ،رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير) لغة الشعر عند عبد المولى البغدادي :إعداد الطالبة أم كلثوم محمد سعد المانع إشراف د.علي عبد المطلب الهوني ، للعام الجامعي 2005 . 2006 جامعة المرقب / كلية الآداب و العلوم الدراسات العليا |قسم اللغة العربية.

2 . الشخصية الفلسطينية في شعر أحمد دحبور " دراسة موضوعية "، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على الإجازة العالية (الماجستير) : إعداد إسماعيل عبد

المعطي كلاب ، إشراف د. ساسي سعيد رمضان ، للعام الجامعي 2009 جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم / الدراسات العليا قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

خامساً المجلات :

مجلة الفصول الأربعة ، مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدباء والكتاب العرب ، السنة الثانية يناير 1979 العدد 5

مجلة الفصول الأربعة ، مجلة فكرية ثقافية تصدر فصلية عن رابطة الأدباء و الكتاب ،يوليو 2001 ، السنة الثالثة والعشرين ،العدد96

مجلة اللسان المبين مجلة دورية محكمة متخصصة تصدر سنوياً مؤقتاً عن قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفاتح العدد الأول 2002 .

الفهرس

الموضوع **رقم الصفحة**

المقدمة..... أ – ج
التمهيد .....1 – 16
الفصل الأول :قضايا في شعر عبد المولى البغدادي 17
قيمة الشعر لدى عبد المولى البغدادي ونطرته له .....18 – 35
العروبة والوطن في شعر عبد المولى البغدادي 36– 52
الفصل الثاني شخصيات في شعر عبد المولى البغدادي 53
المرأة في شعر عبد المولى البغدادي .....54 –63
المعلم في شعر عبد المولى البغدادي .....64 –70
السجين في شعر عبد المولى البغدادي .....71 –77
الشخصية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .....78 –80
الشخصية الدينية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي .....81 –88
الشخصية التاريخية واستدعائها في شعر عبد المولى البغدادي 89–103
الشخصية الأدبية والفكرية في شعر عبد المولى البغدادي.....104– 117
الشخصية الشعبية والأسطورية في شعر عبد المولى البغدادي .....118 –126
الفصل الثالث الصورة الشعرية.....127 –131
التشبيه .....132 –145

الاستعارة .....146 –154
الرمز 155–176
الخاتمة والنتائج .....177 –180
فهرس المصادر والمراجع ..... 181 –191
فهرس الموضوعات 192